

التطور النحوى

اللغة العربية

سلسلة محاضرات القاها في الجامعة المصرية

الأستاذ الكبير

BERGSTRAESSER.

أستاذ اللغات السامية بجامعة ميونخ



سنة ١٩٢٩ م

مطبعة النيل بشارع حسن البكر

عني بطبعها
محمد حمدي البكري

أبها السادة

أن الغرض من محاضراتي التي سألقونها عليكم هو درس اللسان العربي من الوجهة التاريخية أي من جهة نشأته وتكوينه وأصول حروفه وأبنيته وأشكال الجملة فيه والتغيرات التي وقعت فيه مع توالي الأزمان واستنتاج الدوال التي سببت خصائص اللسان العربي التي يميز بها في أزهى عصوره يعني في خلال القرون الأولى بيد الهجرة والوجهة الثانية التي يمكننا اتجاهها في علم اللسان هي النظامية وهي أن تنظر إلى طور معين من أطوار تاريخ لغة معينة وتساءل أي هي خصائص اللغة في هذا الوقت وكيف ترتبط كل واحدة منها بسائرهما وما فائده حروفها وأبنيته وما تحوز من الوسائط لتأدية المعاني وكيف تستعملها . وإني أفرق بين هاتين الوجهتين نورد مثل الجمع المكيّر في اللغة العربية فالمسألة التاريخية فيه هي : ما هو أصله ؟ وكيف نشأ من ذلك الأصل ؟ فتجد أنه من الأصل ليس بجمع بل هو اسم جملة Collectif يعني أنه يدل على جنس متركب من غير واحد من الأفراد والجمع يدل على الأفراد المتعددة . ونجد أيضا أن أوائل استعمال الجمع المكسر ترجع إلى زمان قديم وأن القليل من أبنيته يوجد نظيره في اللغات السامية الشمالية وأكثرها خاص بالعربية والحبشية إلى آخر ذلك

والمسألة النظامية هي أي نسبة تقوم بين الجمع المكسر والجمع السالم وسائر الأبنية الدالة على جملة أو كثره وما الفرق بين هذه الأنواع كلها في المعنى وفي الاستعمال إلى آخر ذلك . فتبين أن هذه الوجهة الثانية قريبة من الصرف والنحو العاديين غير أنها هي أيضا علمية محضة لاجتماعية وذلك أنه لا رعاية فيها إلى هل يجوز أن يقال كذا وكذا أولا بل يستفي بالثبات الموجود حقيقة في السماع دون تفريق بين المقبول منه والمردود ومع ذلك فالوجهة النظامية أقرب إلى المعتاد من الوجهة التاريخية ولهذا السبب أترى أن تتبع في هذا الدرس طريقة التاريخ وإن لم ترد أن نعرض موضوعنا على ترتيب تاريخي بل نطلع على أبواب الصرف والنحو بابا بابا ونفحص عن مسائلها التاريخية . وأما ما قلناه من أنا تقتصر على المسائل التاريخية الخاصة باللغة العربية في طور كمالها فبدل على أن درسنا يحتاج إلى تكملة

وهي تاريخ اللغة العربية من ذلك الحين إلى الآن وأهم موضوعاته تكون اللهجات الدارجة على اختلافها

والنظر إلى اللسان العربي من الوجهة التاريخية له فائدتان أولاهما واضحة وهي أكمال معرفة اللغة العربية وشتونها

والأخرى هي التوصل إلى معرفة طرائق علم اللغة الغربي على العموم بأسهل

وجه: وذلك أن علم اللغة الغربي له طرقات السؤال والبرهان بعيدة عن تعليم اللغات العادية في المدارس لا يسهل تفهم مقاصدها والتجود على استعمالها. فالأسهل أن يقرب الواحد إليها ويتعلمها في لغته التي يعرفها أتم معرفة لا في لغة أجنبية وغرضنا الأهم في هذا الدرس أن نسهل تفهم معنى علم اللغة التاريخي بواسطة النظر إلى اللغة العربية

والآن قيل أن نبتدىء بنفس الموضوع نريد أن نشير إلى بعض المصنفات التي تناولها وما يقرب منه وليس بينها ما يختص بالبحث في تاريخ اللغة العربية وحدها ولكنها كلها تشمل الكلام عن تاريخ اللغات السامية وعندها وخير كتاب في تاريخها ومقايستها هو

C. Brockelmann Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. I. 1908. 2. 1912

« الما طول في المقايسة النحوية للغات السامية » وهو مجلدان كبيران أولهما في الحروف وفي أبنية الاسم والفعل . وثانيهما في الجملة . وهذا الكتاب لا يستغنى عن الرجوع إليه كل من يشتغل باللغات السامية أيتها كانت فإنه كنز لا يفنى ومنبع لا ينضب معينه لمعرفة أحوال اللغات السامية ، عجيب الأحاطة بها كلها من الأكدية إلى اللهجات الدارجة العربية والآرامية والحبشية ، كثير النظريات الجديدة المصيبة . وأهم مجلديه هو المجلد الثاني فإن أكثره جديد لم يسبق مؤلفه إليه أحد وله كتابان أصغر حجما من المذكور يقتصران على موضوع المجلد الأول منه وأصدرهما نقل إلى الفرنسية بزيادات مفيدة ومع ذلك فمن نفسه قليلة بالنسبة إلى المكتاب الكبير لا يمكنه القيام مقامه أصلا ، واللغة الفرنسية لا يوجد فيها

كتاب خاص باللغات السامية وصرفها ونحوها غير المذكور إلا أنه يوجد فصل خاص بها في كتاب

A. Meillet et M. Cohen, Les Langues du Monde. 1924.

ولمؤلف هذا الفصل كتاب مهم يتناول الفعل في اللغات السامية وتأديته ثمانى الماضى والحاضر والمستقبل وهو

M. Cohen, le Système verbal sémitique et l'expression du temps. 1924.

واللغة الانكليزية فيها كتابان من هذا النوع أولهما هو أقدم كتاب صنف في هذا الفن وهو

W. Wright, Lectures on the comparative Grammar of the semitic Languages. 1890

وكان مهما مفيدا في زمانه ولم يبق له كثير من الفائدة الآن والثانى أحدث كتاب صنف من هذا الباب وهو

De Lacy O'Leary. Comparative grammar of the Semitic Languages. 1929

وغاياته كثيرة فائدته قليلة

الباب الأول

والآن نبدأ بالبَاب الأول في الحروف الصامتة les consonnes وتتكلم فيه عن

تاريخ الحروف السامية في اللسان العربى

وقبل ذلك يلزمنا أن نبهت بأعجاز فى بعض قواعد علم الأصوات العمومى . ولم يسبق الغربيين فى هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند يعنى البراهمة والعرب وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٧ هـ . أوسنة ١٨٠ هـ . وقد كان علم الأصوات فى بدليته جزءا من أجزاء النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم

وكان أهم أعناء ماكلهم ترتيب الحروف على المخارج والصفات. والمخرج

أو المخرج هو الموضع من الفم ونواحيه الذي يخرج أو يخرج منه الحرف .
فاختلفوا في عدد المخارج فمنهم من عد سبعة عشر ومنهم من عد ستة عشر ومنهم
من عد دون ذلك . والمشهور هو سبعة عشر لكن أولها ليس بمخرج حقيقي
وسننبهه الآن على أن تعود إلى الكلام ههنا فيما بعد أما الستة عشر الباقية فهي

- | | | |
|-----------------|---|-------------------------|
| (١) يخرج ، ، هـ | من أقصى الحلق | الحروف طرف اللسان |
| (٢) ع ، ح | من وسط الحلق | |
| (٣) غ ، خ | من أدنى الحلق إلى الفم | |
| (٤) مخرج ق | من أقصى اللسان معابلي الحلق وما فوقه من الحنك | |
| (٥) ك | من أقصى اللسان من أسفل يخرج القاف قليلا وما يليه من الحنك | |
| (٦) ج ، ش ، ي | من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك | |
| (٧) مخرج ض | من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس | |
| (٨) ل | من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه | |
| (٩) ن | وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى | |
| (١٠) ر | من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلا من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق | |

الثنايا العليا

- (١١) ط ، د ، ت من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا
الحوف الطعمية إلى جهة الحنك
- (١٢) مخرج ص ، س ، ز من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى
وهي الحروف الأسلية
- (١٣) مخرج ظ ، ذ ، ث من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا
وهي الحروف الثنوية

(١٤) الحروف الشفوية } مخرج ف من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا
(١٥) أو الشفوية } و ، ب ، م ، ن بين الشفتين

(١٦) مخرج الفنة من الحيشوم

فهذا كله صحيح ما فيه شك من وجهة نظر علماء الغرب ، غير أن فيه نقصا ؛
مختلا لأن المخرج يشترك فيه أكثر من حرف واحد لأنه يمكننا أن نلفظ من
مخرج واحد أحرفا عديدة مختلفة في صفاتها وعلى ذلك فلا يكفي لمعرفة الحرف
وتمييزه تحديد المخرج وحده دون علامة ثانية هي صفة الحرف مثال ذلك أنه إذا
أطبقتا الشفتين ثم فتحتاهما فالصوت الخارج إما الباء أو الپاء الأفرنجية P والفرق
الأهم بينهما أنه إذا نطقنا بالباء وجد صوت ثان علاوة على صوت فتح الشفتين
وهو صوت خارج من الخنجرة من اهتزاز الأوتار الصوتية وعند نطق الپاء P
ينعدم هذا الصوت وأسهل طريق للاوقوف على الفرق بينهما هو سد الأذنين
بالأصابع فإنه يسمع إذا عند نطق الباء رنة لا تسمع عند نطق الپاء P . وإذا لم
نطبق الشفتين تماما بل تركنا فتحة صغيرة ليخرج الهواء من بين الشفة السفلى
والثنايا العليا صار الصوت فاء فهذه الحروف الثلاثة يعني الباء والپاء الأفرنجية والفاء
قريبة المخرج بعضها من بعض مختلفة الصفات فالخرفان أى الباء والپاء آنيان وثانائيا
أى الفاء متماد وأول الآنيين أى الباء صوتى والثانى والثالث أى الپاء الأفرنجية P
والفاء غير صوتيين فيمكن أن نقسم هذه الحروف الثلاثة على ثلاثة أنواع (١) آنى
صوتى وهو الباء (٢) وآنى غير صوتى وهو الپاء P (٣) ومتماد غير صوتى وهو الفاء .
وأما النوع الرابع أى المتمادى الصوتى فلا يوجد حرف شفوى منه فى اللسان
العربى لكنه يوجد فى كثير من اللغات وهو الـ V الفراتسية والانكازية

| صوتى (مجهور) | آنى (شديد) | متما (رخو) |
|------------------|------------|------------|
| ب . حروف الفلقه | V | |
| غير صوتى (مهموس) | پ . P | ف |

فهذا التقسيم على الأنواع الأربعة المذكورة جائز أيضا في سائر الحروف غير الشفوية . ونحو يو العرب ومقرئوها استعمالوه كما نستعمله في الزمان الحاضر لكن بين تقسيمهم وتقسيمنا فرقين الأول أن لهم إصطلاحات غير إصطلاحاتنا أصل بعضها غامض لكن معناها واضح وهي مجهور بمعنى صوتي ومهموس بمعنى غير صوتي وشديد بمعنى آني ورخو بمعنى متباد فعندهم حروف مهموسة شديدة ورخوة شديدة الخ . فأما الحروف المجهورة الشديدة كالباء فلها عندهم اسم خاص وهي حروف القلقة . — والفرق الثاني — هو أنهم أثبتوا صفة ثالثة بين الشدة والرخوة وهي التوسط والحروف المتوسطة كلها مجهورة عندهم وهي ع ، ل ، ن ، ر ، م فنقول إنه وإن كانت هذه الحروف إلا العين مبادية بدون شك فاهم مع ذلك حق في تميزها عن الحروف الرخوة المجهورة كالذال والعين لأن أمثال الذال والعين لها دوي ناشئ من مخرجها من الفم مع الصوت الناشئ من الحنجرة وتلك الأربعة أي ل ، ن ، ر ، م لا دوى فيها البته ومن أجل ذلك نفرقها نحن عن سائر الحروف فرقانا ما ونسبها صوتية محضة ونسب غيرها ذوات دوى وأما العين وهو الحرف الخامس من الحروف المتوسطة المذكورة فصعب تكبيرها ونطقها متنوع فهي أحيانا مبادية وأحيانا آنية والدوى الممازج لها أحيانا قوى وأحيانا ضعيف فهي في الحقيقة متوسطة بين الحروف ذوات الدوى الصوتية المحضة وبين الحروف الشديدة والرخوة وهذا الجدول يبين تقسيم الحروف على الصفات المذكورة

| شديدة . | متوسطة | رخوة | |
|------------------------|-------------------|---------------------|--------|
| هـ ، ق ، ج ، ط ، د ، ب | ع ، ل ، ن ، ر ، م | غ ، ي ، ض ، ذ ، ظ ، | مجهوره |
| وهي حروف القلقة | | ذ ، و | |
| ك ، ت | | ح ، خ ، ش ، ص | مهموسه |
| ـ | | س ، ث ، حرف | |

هذه هي صورة الجدول الموجودة عند أهل التجديد المتأخرين لكن مادته قديمة ما تغيرت منذ زمان الخليل وسيبويه وهذه الصفات الخمس المقسمة عليها الحروف في هذا الجدول ليست بكافة الصفات التي يمكن وصف بعض الحروف بها بل نجد عند قدماء العرب وعند الغربيين صفات متعددة سواها أهمها أن العرب قسموا الحروف إلى مستعلية ومستغلة . فالمستعلية هي التي يستعملها اللسان عند تلفظها ويرفع نحو الحنك وهي غ ، خ ، ق ، ض ، ط ، ص ، ظ . والمستغلة أي التي يستعملها اللسان عند تلفظها وهي باقى الحروف . وبعض الحروف المستعلية وهي ض ، ط ، ص ، ظ صفة خاصة وهي الأطلاق فهي مطبقة أي *empruntées* في الاصطلاح الغربي وسنذكر معنى هذه الصفة بعد ذلك . فهذه تسع صفات والعاشرة أن ش ، ص ، س ، ز تسمى بحروف الصغير وهذا بين لا يحتاج إلى تفسير وما عدا هذه الصفات العشر المذكورة نعزب عنه صفحا لعدم أهميته لتاريخ اللغات

ونفهم من الجدول والصفات المذكورة بمده ومن جدول المخارج أن بعض الحروف يختلف نطقه الحالى عنه في الزمان القديم وهي ق ، ج ، ط ، ض وظ . أما القاف فهي في العادة اليوم مهموسة لكنها في الجدول مجهورة كما هي الآن عند بعض البدو والطاء أيضا مهموسة اليوم مجهورة في الجدول والفرق بينها وبين القاف أن نطق القاف العتيق لا يزال باقيا في بعض الجهات ونطق الباء العتيق قد انحى وتلاشى تماما وأما الجيم فهي عند أكثر العرب مبطلشة مركبة من لفظي الدال والزاى أي الـ *ge* الفرنسية وهي في الجدول بسيطة مجهورة شديدة مثل نطقها الحالى عند المصريين لكنها لم تكن مثل الجيم المصرية فيها لأن مخرج الجيم المصرية هو مخرج الكاف ومخرج الجيم العتيقة في جدول المخارج وهو مخرج الشين والياء فالرأى الأقرب من الصواب أن الجيم العتيقة كانت مثل الكاف التركية في مثل كلمة كاه أي أنها كانت مشجرة *palatalisé* وهذا الرأى يعضده أن كثيرا من البدو لا يزال ينطقها كذلك حتى اليوم وأنه يحتمل اشتقاق نطق الجيم الكثير الاختلاف عند غيرهم من العرب

من هذا النطق المذكور فالجيم المصرية **g** مثله إلا أنه لا تشجير فيها والجيم العادية المعطشة أصلها أن نطق **g** المذكور صار **d** ثم **d^v** وهذا الانقلاب كثير في تاريخ اللغات نجده مثلاً في اللاتينية فأن الكلمة اللاتينية **gentem** صارت **gⁱentem** ثم **dⁱentem** ثم **gente** وأما النطق الأوسط في هذه السلسلة بين الـ **g** العتيق والجيم الأتينية المعطشة وهو الـ **d** فوجوده أيضاً عند بعض البدو وبعضهم يلفظون الجيم مثل الياء الألمانية أي **d** وهذا النطق مشتق من **d** فأننا إذا أردنا أن نلفظ الـ **d** لزمنا أولاً أن نعد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا وقسماً من ظهر اللسان على الحنك وإذا لم نعد لسان بل قربناه من الثنايا والحنك زالت الدال وبقيت الياء الألمانية وأما نطق الزاي القائمة مقام الجيم عند كثير من أهل الشام وغيرهم فنشأه من الجيم المعطشة مثل منشأ نطق الياء الألمانية من الـ **d** . .

ألى هنا نختتم بحثنا في الجيم وهي ثالث الحروف التي لفظها العتيق غير لفظها الحاضر وأما رابعها وهي الضاد فهي الآن شديدة عند أكثر أهل المدن وهي رخوة في الجداول كما هي الآن عند أكثر البدو ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق لأن مخرج الضاد في جدول المخارج من حافة اللسان ومن القدماء من يقول من جانبه الأيسر ومنهم من يقول من الأيمن ومنهم من يقول من كليهما فيخرجها قريب من مخرج اللام الذي هو أيضاً من حافة اللسان وذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام من بعض الوجوه والفرق بينهما هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالضاد وأنها من ذوات الدوى واللام غير مطبقة صوتية محضة فالضاد العتيقة حرف غريب جداً غير موجود حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية ولذلك كانوا يكتنون عن العرب بالمناطقين بالضاد ويغاب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب غير أن للضاد نطقاً قريباً منه جداً عند أهل حضر موت وهو كاللام المطبقة . ويظهر أن الأندلسيين كانوا يتلفظون بالضاد مثل ذلك ولذلك استبدلوا الأسبان بالـ **ld** في الكلمات العربية المستعمارة في لغتهم مثال ذلك أن كلمة القاضي صارت في الأسبانية **alcalde** . وبما يدل أيضاً

على أن الضاد كانت في نطقها قريبة من اللام أن لمخشري ذكر في كتاب
المفصل أن بعض العرب كانت تقول الطجع بدل اضطجع . وإنشأ نطق الضاد عند
لبدو من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه ونطقها عند
أهل المدن نشأ من هذا النطق البدوي بأعتماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل
تقريبه منه فقط فصار الحرف بذلك في نطقه شديداً بعد أن كان رخواً
والآن تكلم عن آخر الحروف الخمسة التي يختلف نطقها قديماً عنه الآن وهو
الظاء وهي الآن عند كثير من أهل المدن أحد حروف الصفيح وعند سائر العرب
مثل ذال مطبقة وهذا هو نفس نطقها العتيق . فنرى من ذلك أن نطق الظاء
كان قريباً من نطق الضاد وكثيراً ما تطابقتا وتبادلتا في تاريخ اللغة العربية وأقدم مثل
لذلك مأخوذ من القرآن الكريم وهو الضنين في سورة التكاوير فقد قرأها
كثيرون العننين بالظاء مكان الضاد التي رسمت بها في كل المصاحف وعن قرأها
بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وكذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) كما قال يحيى في
كتاب الكشف

والآن لكي نفيد خلاصة بحثنا كتابة نحتاج إلى واسطة ووسيلة غير الخط
العربي وذلك لأن الخط العربي لا يبين تماماً الاختلافات الجزئية للنطق التي تكلمنا
عنها وكذلك الأبجدية اللاتينية فهي لا تقى بالفرض أيضاً . ولهذا السبب اخترع
اللاتينيون أبجديات خاصة صوتية عددها كثير لا يحصى كرها هنا إذ يستعفى
لغرضنا الأبجدية اللاتينية بزيادة بعض إشارات متممة زاده فيها المستشرقون
لتأدية الحروف السامية خاصة فتشير إلى الحروف المطبقة بزيادة نقطة أسفل
الحرف اللاتيني نحو **z** أي الصاد وهذه النقطة تستعملها أيضاً لتأدية الحاء فتكتبها
h ومنهم من يستعملها لتأدية القاف فيكتبها **k** ونحن نكتبها **q** والحروف الرخوة
نشير إليها بزيادة خطاط تحت الحرف نحو **d** ، **t** فالأول معناه حرف مخرج
مخرج الدال لكنه ليس بشديد كالدال بل رخو أي الدال . والثاني معناه الراء
والحروف المشابهة للشين من حرف الصفيح تشير إليها بزيادة زاوية صغيرة فوق
الحرف نحو **s** أي الشين و **g** أي الجيم المعطشة . والتشجير تشير إليه بزيادة خط

(٢) القسم الثاني الحروف الصوتية المحضة

(٢) الحروف النقية ١، ٢

(ب) الحروف النقية الأتية

المخرج الفني } من الثابت n
 } من الشفتين m

و **d** في هذا الجدول علامة خاصة اخترناها لتأدية ذلك النطق الصادر العتيق للضاد ومعناها حرف دخو مجهول مطابق مخرجه قريب من مخرج الدال وهو يشبه اللام

وبمكننا الآن أيضا أن نقيّد تغيرات نطق الحروف التي ذكرناها فتصبح **q > g** ق . هذه الإشارة تقيّد أن الحرف أو الكلمة قد تغير نطقه إلى نطق آخر وضدها علامة < ومعناها أن الحرف أو الكلمة صدر من حرف آخر

أو كلمة أخرى عند المصريين **g' > g** ج =
عند سائر أهل المدن **d' > g** ج =
d > t ط =
d' > d ض =
عند كثير من أهل المدن **d' > t** ظ =

فهذه هي خلاصة بحثنا المتقدم والآن نوجه نظرنا إلى مسألة أخرى وهي العلاقة بين نطق الحروف العربي القديم ونطق الحروف في اللغة السامية الأم أي الأكدية التي تفرض أن كل اللغات السامية نشأ منها . هل كانت الحروف تنطق في اللغة العربية في عهد الحليل بن أحمد وسيبويه كما كانت تنطق في عهد اللغة السامية الأصلية أم هل تغير نطقها ؟ والفرق بين العهدين كبير جدا يمكننا إدراكه إذا ما علمنا أن اللغة الأكدية أي اللغة السامية التي كانت سائدة في العراق ونواحيه في زمان البابليين والآشوريين ترجع مستنداتها إلى الألف الرابع قبل المسيح ولا ريب أنها أحدث من اللغة السامية الأصلية بأجيال لا نعرف عددها . والإجابة على هذا السؤال يجب علينا مقابلة حروف اللغات السامية كلها وهذا عمل لا يمكننا

تفصيله الآن ونكتني بأراء نتائجها وهي أن اللغة العربية رغم طول الزمان الماضي عليها قبل بروزها في ميدان التاريخ قد حفظت الحروف الأصلية حفظاً آمناً من سائر اللغات السامية الأخرى ما عدا لغة الكتابات اليمنية العتيقة أي لغة معين وسبأ إلى آخره . فستتني من ذلك الأطلاق عدة عوارض وهي الفاء والسين والشين والحروف المطبقة . أما الفاء فكان أصلها الياء مثل ما نجدتها في كل اللغات السامية غير العربية والحبشية مثلاً الفم هو في لغة الحبشية العتيقة $a\bar{p}$ لكنه في الأكديّة $p\bar{u}$ وفي العبريّة pe وفي الآرامية pum . والخط الصغير فوق الحرف الصائت يفيد أنه ممدود . وأما السين والشين فكانتا في الأصل ثلاثة أحرف سيناً وشيناً وثالثاً لا نعرف نطقه الأصلي تماماً وربما كان سيناً جنبية مخرجها من حافة اللسان أو شجرية . أما الجنبية فتوجد في بعض اللهجات اليمنية الدارجة كالمهرية أما الشجرية فتشبه حرف ich في اللغة الألمانية فالنسبة بين هذه الأحرف الثلاثة والأصلية وبين الحرفين المذكورين العربيين غريبة جداً فأننا نجد السين بقي نطقها على ما كان عليه مثاله كلمة أسر التي هي $es\bar{u}$ في الأكديّة و $esar$ في الآرامية والشين الأصلية صارت سيناً عربية مثاله كلمة سمع التي هي $Senu$ في الأكديّة و $Sana$ في العبريّة و Sma في الآرامية .

وأما الحرف الثالث وهو السين الجنبية والشجرية وعلامتها s فصارت شيناً مثاله كلمة عشر التي هي $eser$ في العبريّة و $eser$ في المهرية وأما في الأكديّة فصار هذا الحرف شيناً مثل ما صار في العربية فعشر فيها $esru$ وفي الآرامية صار أخيراً سيناً بعد ما كان في أول الأمر كالخرف العبري نطقاً فعشر فيها $šir$ ثم صار $šir$ فالسين العربية نشأت من حرفين السين السامية الأصلية في بعض الكلمات والشين في بعضها . والشين العربية نشأت من السين الجنبية أو الشجرية



| | | | |
|---|---|---|------------|
| ل | ص | س | سامي أصلي |
| س | س | س | عربي وحبشي |
| ص | س | س | عبري |
| س | س | س | اكدي |
| س | س | س | آرامي |

ونود الآن أن نعلم متى حصل الانقلاب المذكور الذي تبادل به بعض حروف
الصفير في اللغة العربية . وليس لنا من سبيل لتعيين ذلك الوقت تاريخيا مطالعا
أي تعيين في أي سنة كان أوفي أي جيل ولكن يمكننا أن نؤرخه تاريخيا
نسبيا أي بالنسبة إلى حوادث معروفة حصل قبلها أو بعدها وهذا هو الطريق
المؤدي إلى ذلك

إننا نرى بعض الكلمات الآرامية العربية اشتركت في هذا التبادل فصارت
الشين الآرامية فيها سينا عربية والسين الجنبية أو الشجرية الآرامية شينا عربية .
مثال ذلك السارية أي العمود والخشبة الكبيرة ، عربية من *sarita* والسياع أي
الكس الذي يبيض به الجدار عرب من *sia a* (إعلامة الباء) وبالعكس أسم
دمشق مأخوذ من *dammeseq* والشیطان مغرب من *sātānā* فن الحال
أن تكون العرب بدات الشين بالسين والسين الجنبية أو الشجرية بالشين عند
استعارتها لهذه الكلمات بل كانت عربت مثلا *sarita* بالشارية ثم صارت بعد ذلك
سارية وقت ما صارت الشين سينا في كل الكلمات العربية والكلمات المعربة معها ومع
ذلك فأنا نرى بعض الكلمات الآرامية المعربة لم يحسها تبادل حروف الصفير نحو
كلمة الشرقرق وهو اسم طائر مغرب من *sraqraqā* والسكين المعربة من *sakkina*
والسبب في عدم تغيرها وبقاء حروفها على ما كانت عليه في الآرامية هو أنها عربت
بعد زمان تغير حروف الصفير فإنه لو كانت عربت قبله في وقت تعريب السباع
وما من نوعه لكان الشرقرق صار سرقرقا كما صار الشباع سيناعا : فالحاصل أن
تبادل بعض حروف الصفير في اللغة العربية وقع في طور تعريب الكلمات الآرامية .

الموجودة في اللغة العربية منذ أقدم زمان وأما نفس هذا التعريب فهو أيضا لا يمكن أن يؤرخ إلا تاريخا نسبيا وذلك أنا نعلم أن العرب جاورت الآراميين وخالطتهم منذ حوالي القرن الخامس قبل الميلاد . فهذا وقت ابتداء لاستعارة الكلمات الآرامية أي وقت لا يمكن أن تكون استعيرت إلا بعده وإما وقت انتهاء لها أي وقت لم تستمر إلا قبله فيستنتج من أن كلمة السكين تقع في القرآن الكريم فترى أن السين السامية صارت سينا في العربية والدين الجنيبة أو النجربة صارت سينا في مدة الألف سنة بين القرن الخامس قبل الميلاد والهجرة

وبإذن الآن أن نعود إلى مسألة الأطلاق التي صكنا أهلناها عند الكلام عن مخجات المروف .. فالأطلاق في اللغة العربية نوع من الاستعلاء الذي هو رفع أقصى اللسان نحو ما يليه من الحنك ويزاد على ذلك تقاص ما في الحلق وأقصى الفم وهذا التعريب من النطق بالحروف المعطقة سائد في كل اللهجات العربية والآرامية المستعملة اليوم لكن اللهجات الحبشية يوجد فيها نطق يخالفه تماما وخاصة زيادة صوت كالهز إلى الحروف المعطقة يعني أنه قبل إخراج الحرف من مخرجه يتفلق فم الحنجرة تماما ثم ينطق الحرف ثم يفتح فم الحنجرة فيصدر من ذلك الصوت الزائد المذكور الشبيه بالهز نحو ^h s^h ويحتمل أن يكون هذا النطق الحبشي للحروف المعطقة هو الأصلي أو القريب من الأصلي وأن النطق العربي لها مشتق منه وما عدا ذلك فيظهر أن الطاء والظاء ومعها القاف كانت مهدوسة في الأصل وصارت مجهورة في اللغة العربية عند انقلاب طريقة الأطلاق

بوهذه التغيرات كلها مما سماه قداماء العرب أصولا مطردة ونحن نسمية قوانين صوتية ومعنى ذلك أن كل ياء مثلا في أي كلمة وجدت من اللغة السامية الأم (الاصلية) صارت ياء في اللغة العربية بغير استثناء . وإن وجد استثناءات قليلة فلها سبب خاص يلزمنا استخراجه

سواء المطرود هو الاتفاق ونسمى تغيرات الحروف اتفاقيه إذا حصلت ليس في كل كلمة وقع فيها هذا الحرف بل في بعضها فقط فلا قانون لخصوها بياهي في الظاهر حصلت اتفاقا وفي الباطن ينبغي أن يكون لخصوها وعدم حصولها

الاصطلاح

سبب لا نعرفه نحن والتغيرات المطردة منها مطلقة ومنها مقيدة بالشروط أما المتعلقة فكأن بدل الياء فاء فأنا لا نجد لهذا الانقلاب شرطاً صوتياً يقيد به وأما المقيدة فتألفها أن الميم الأصلية في أواخر الكلمات صارت نونا عربية وذلك أن قاب الميم نونا مطرد من جهة أنه حصل في كثير من الكلمات لكنه مقيد من جهة أنه اقتصر على أواخر تلك الكلمات فقط ولم يتعداها إلى أوائلها ولا أواسطها مثاله التوبين فان أصله ميم كما كان في الأكديّة والسبئية مثل بيت baitun ، بيت haitin ، يتأ baitan أصلها بيتهم bitum ، ويقيم bitim ويقيم bīam وكذا إن in فانها في العبرية im وقليل من الكلمات لم يطرأ على أواخرها هذا التغيير لسبب خاص مثالها الضمائر نحو أنتم وهم والسبب في بقاء الميم فيها على حالها هو أن الميم لم تكن في الأصل انتهائية في هذه الضمائر فأصلها اتتموا وهو بالواو وكثيرا ما توجد على هذه الصورة في قرآت القرآن الكريم وفي الشعر

فإن تساءلنا أية علة أوجبت هذه الانقلابات الصوتية القانونية أي المطردة لم يمكننا أن نرد جواباً شافياً فأنا لا نعلم علل تغيرات النطق علماً بيناً يقينياً إلا في قليل من الحالات منها أن الأكديّة فقدت كل الحروف الحلقية الخنجريّة كالعين والحاء . وسبب ذلك أن العراق كان يسكنه في أول الوقت الشوميريون ثم دخله قوم من الساميين وامتزجوا بأهله فاتخذ الشوميريون لغة الساميين لغة لهم ولما كانت الحروف الحلقية غير معروفة لم ينطقوا بها في اللغة السامية أيضاً بل أهملوها فتلاشت ولا توجد في اللغة الأكديّة التي نشأت هكذا . فاعلة التي أوجبت انقلاب الحروف في هذه الحال هي امتزاج اللغتين وهي من أهم علل تغير اللغات عامة — وعلة أخرى — هي ذوق العصر . مثال ذلك في اللغة العربية أن بعض أهل القاهرة كان استخشن نطق القاف واستغاضه فأبدله بالهمز وهذه العادة سادت بين أهل القاهرة الخاصة ثم العامة ثم سرت منها إلى بعض المدن الكبيرة كدمشق ثم إلى أصغر منها كالقدس الشريف . فهذه أيضاً علة مهمة لتغير اللغات يمكننا كثيراً ما لا يمكننا إثباتها وخاصة في الأزمان السالفة التي لا نعرف كيف كان ذوق أهلها

وإتنا إن لم نعرف العلة الأولية لتغيرات الحروف في أكثر الحالات فقد عرفنا أحيانا العلة الثانوية الصوتية وخاصة في التغيرات الاتفاقية وبعض المعارضة المقيدة بالضرورة وأهم مثال لذلك التشابه والتمثيل Assimilation أى أن حروف الكلمة مع توالي الأزمان كثيراً ما تتقارب بعضها من بعض في النطق وتشابه هذا التشابه نظير ما سماء قدام العرب إدغاما غير أن التشابه والأدغام وإن اشتركا في بعض المعاني اختلفا في بعضها : وذلك أن معنى الأدغام اتحاد الحرفين إلى حرف واحد مشدد تماماً أو اختلافا نحو آمنا وادعى . أما آمنا فالتدوير المشددة نشأت عن نوين أولاهما لام الفعل والثانية الضمير فاتحادهما إدغام وليس بتشابه وأما ادعى فأصل الدال المشددة دال وتاء : الدال فاء الفعل والتاء تاء الافتعال قلبت دالا فهذا إدغام وهو تشابه أيضا

| إدغام | تشابه |
|-------------------|------------------|
| آمنا (n + n) | إدعى (dā > dā) |
| إضطجع (dā > dā) | |

والتشابه في هذا المثال كلي إذ تطابق الحرفان تماما وأما إذا تشابه الحرفان ولم يتطابقا كالتشابه جزئيا نحو اضطجع وازدجر العطاء والدال أصابها تاء وقامت طاء التشابه المضاد ودالا لتشابه الزاى . فهذا تشابه وليس بأدغام إذ الحرفان لم يتحددا إلى حرف واحد مشدد

فينقسم التشابه إلى كلي وجزئى . وينقسم من جهة أخرى إلى مقبول ومدبر ومتبادل والأمثلة المذكورة هى من التشابه المقبل قاعدى من التشابه المقبل السمكى واضطجع وازدجر من التشابه المقبل الجزئى . ومقبل معناه أن اتجاه التغير من الحرف السابق وهو فاء الفعل إلى الحرف التالى وهو تاء الافتعال فأنمر الحرف السابق فى التالى وغيره. ومثال التشابه المدبر كلمة عبت وربعت بألفاظ الدال والعطاء وبتهديد التاء فى النطق فاتجاه التغير هنا من الحرف التالى إلى السابق وأنمر التالى أى تاء الضمير فى السابق أى لام الفعل وقلبه إلى ما يشابهه فى النطق وإن لم يعتبر التغير فى الأملاء بخلاف المثالين السابقين أى ادعى واضطجع اللذان يكتبان مثل ما ينطقان وعبت وربعت لا يكتبان مثل ما تنطقان بل أملاء حسب

تابع لأصل حروفهما . ومثال التشابه المتبادل كلمة اذكر فإن فاء الفعل أى الذال
وتاء الافعال تشابهتا واستبدلتا بحرف ثالث يخالف لهما جميعا هو الدال

| متبادل | مدبر | مقبل | |
|--------|------------------------------------|--------------------------------|-------------|
| ادخكر | عبدت وربطت اخذتم جنب (أى جيب) | ادعى اطرد اذكر اضطجع وازدجر | كلى جزئى |

وإذا نظرنا الى أنواع التشابه من وجهة علم الأصوات وجدنا أنها تتفاوت تبع
مقدار تغير الحروف فقد تتغير فى الحرف صفة واحدة فقط وأمثلة ذلك عديدة
منها ما هو تشابه كلى مقبل نحو كلمة ادعى فإنه تغيرت صفة واحدة لتاء فقط
فصارت مجهورة بعد أن كانت مهموسة ونحو كلمة اطرد التى أصبحت تاء الافعال
فيها مطبقة وقد كانت غير مطبقة . ومنها ما هو تشابه جزئى مقبل مثل اضطجع
وازدجر ومنها ما هو تشابه مدبر مثل عبدت وربطت . ثم منها تشابه متبادل مثل
ادكر فإن الذال الرخوة صارت شديدة أى دالا والتاء المهموسة أصبحت مجهورة
أى دالا أيضا . وإذا قلنا اذكر بدل ادكر أو اخذتم (أختم) بتشديد التاء
بدل اخذتم تغير أشد من السابق ذكره فإن أصل الحرف المتغير فى الأولى تاء
مهموسة شديدة أصبحت ذالا بمجهورة رخوة وفى الثانية على العكس وأمثال ذلك
نادرة وقد لا يقتصر التغير فى الحرف على صفة أو صفتين بل يتعدى ذلك الى
الخروج مثاله كلمة جنب فإن نونها تنطق ميمًا فصار مخرجها من الشفتين بعد أن
كان من طرف اللسان والثنايا العليا وهذا تشابه جزئى مدبر . وقد يعيب التغير
المخرج والصفات معا فيتجرد الحرف عن طبيعته تماما ولا يبقى منه أثر الا المدة
من الزمان التى كان يحتاج اليها لنطقه فأنها تضاف الى مدة نطق الحرف الآخر
فتضاعف ويحدد ذلك الحرف مثال ذلك اتصل وانسر فإن أصل التاء المشددة
فيهما تاء الافعال وفاء الفعل التى هى فى الأصل واو أو ياء مختلفة عن التاء التى
قبلت اليها اختلافا تاما

وكل التشابهات المذكورة يتلاحق فيها الحرفان المتشابهان فى كلمة واحدة
ويوجد سواها تشابه بين الكلمتين يشابه فيه آخر حرف من الكلمة الأولى

الى أول حرف من الكلمة الثانية أشهره إدغام الذون المجزومة في آخر الكلمة
تدرينا كانت أو غير تدوين الى ر ، ل ، و ، ي ، م فأمثلة التشابه بين الكلمتين
غير هذه كثيرة في قرآت القرآن الكريم

وأنواع التشابه المذكورة كلها مطردة أى يحصل التشابه فيها في كل الكلمات
المماثل بناؤها الأمثال التي أوردناها ، ومنها اتفاقية لا تحصل إلا في بعض
الكلمات وعددها كثير جدا نكتفي بذكر القليل منها مثال ذلك مما قلب فيه
صفة واحدة كلمة المطقة أى الحلاوة أصلها المتقة بالياء فأما مطابقة هـ في العبرية
المستبدلة من التاء حسب القوائين الصوتية للغة العبرية فتشبهت التاء
الغير المطبقة بالالف القريبة من الحروف المطبقة فصارت طاء مطبقة . ومما قاب
فيه التخرج كلمة عند أصلها عمد كما هي في العبرية *imadi* ومعناها معى بالميم فصارت
الميم الشفهية نوناً سنية لسبب جوار الدال السنية . ومما تلاشى فيه الحرف
الأصلي تماماً كلمة أخذ فأصل التاء المشددة فيها تاء الافتعال والهمزة التي هي
فاء الفعل والفرق بين اتعد واتخذ أن التشابه في الأولى مطرد يشترك فيه كل
الأفعال التي قاءها واوا وفي الثانية اتفاق لأن كثيراً من الأفعال التي قاءها
همز لا يشترك فيه بل يخفف الهمز فيها نحو ايتسر . وهذه الأمثال من التشابه
المزيد . أما المباديل فمثاله كلمة ست أصلها سدت كما هي في الكتابات اليمنية العتيقة
فتشبهت الدال بالياء بالاضافة الى الهمس بدل الجهر وتشبهت التاء بالدال بالانقلاب
الى الددة بدل الزخرفة فصار الحرفان تاء مشددة . وإذا كان أصل الست سداً
كان الأولي أن يكون الدال من سادناً بالياء غير أن الوقف قامت سداً مشددة
للسين الابتدائية وهذا التشابه يخاف التشابهات المذكورة كلها في أن الحرفين
المتشابهين لا يتصل أحدهما الآخر فهو تشابه منفصل بخلاف المتصل وأمثلة
التشابه المنفصل أقل بكثير من أمثلة المتصل منها ما ذكره نحو ربو العرب من أن
السين إذا وقعت قبل غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز لإبدالها حاداً كقوالك
صلخ بذك صلخ وصرط بذك صراط

فخلاصة القول إنه كثيراً ما تشابهت حروف الكلمات بعضها ببعض وأن هذا

التشابه من أهم العوامل التي سببت إبدال الحروف ، ومن القريب وجود هذا الضرب من إبدال الحروف أيضا وهو التخالف *disimilation* فإن قال قائل ما بال اللغة تشابه فيها الحروف المختلفة في بعض الأوقات وتختلف الحروف المتشابهة في بعضها قلنا أما التشابه فقد رأينا حاصل في أكثر الحالات بين الحروف المتصلة ونادرا بين الحروف المنفصلة والأمر في التخالف على عكس ذلك . ولهذا قرئ في العلة أيضا . أما التشابه فانه وإن أثرت فيه النفس نوعا فيرجع أكثر التأثير إلى الأعصاب والعضلات وكيفية حركتها وذلك أن نتيجة التشابه إبدال تسهيل واختصار للنطق مثال ذلك أنا إذا نطقنا كلمة حبيب بالثون ليزيد اللسان نحو الثنايا العليا وإعماده على أصولها ثم نجذب به إلى وراء ونطبق الشفتين وإذا نطقنا بها بالميم أي (جيب) استغنيا عن حركة اللسان بتقديم إطباق الشفتين لحظة وكل التشابهات أو أكثرها على هذا المثال . . وأما التخالف فالعلة نفسية بحضة نظرية الخطأ في النطق فأما نرى الناس كثيرا ما يخطئون في النطق ويألفون شيئا غير الذي أرادوه وأكثر ما يكون هذا إذا تابعت حروف شبيهة بعضها ببعض لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تكرر وتتابع فيها حروف متشابهة وكثيرا ما يتسارع الصبيان بالتسابق إلى نطق أمثال هذه الجملة بسرعة وبدون خطأ وللتخالف نوعان : متصل ومتصل . فالمتصل ما كان بين حرفيه فارق نحو كلمة اخضوضر أصلا اخضر ضر من اخضر فأبدلت الراء الأولى واوا لجوار . مثال هذا النوع هو الغائب . والمتصل ما تجاور فيه الحرفان وهو على الأخص في الحروف المشددة . والحرف المشدد هو حرفان مثالان متساويان مدغمان إلى حرف واحد . وقد يفك الإدغام ويصير الحرف المشدد حرفين مختلفين بقاب أول نصفه إلى حرف آخر مثال ذلك أن السنبلة في العبرية *sibbole* وفي الآرامية *sebbelta* بالياء المشددة أي الياءين وصارت أولاهما في العربية نونا والقنفذ في الآرامية *quppda* بالياء المشددة أي الياءين وصارت أولاهما في العربية نونا أيضا . وهذا النوع من

تختلف الحروف المشددة بقلب أول حرف منها إلى التون هو الأصل ~~مكرر~~ وقوعا وقد يصير النصف الأول من الحرف المشدد راوا أو لاما نحو كلمة فرقع أصلها فقع بتشديد الفاء وكلمة باطح أى ضرب بنفسه الأرض أصلها بطح بتشديد الباء وتختلف الحروف المشددة له علة تقسية أيضا مختلفة قليلا عن علة التخاليف المتعدي وهي أن المتكلم يرجو أن يؤثر في نفس السامع تأثير زائدا فلا يكتفى بالضبط على الحرف وتشدده بل يضيف إليه حرفا آخر لزيادة ذلك التأثير والتخالف نادر باللغة إلى التشابه وهو نادر في اللغة العربية بالنسبة إلى بعض اللغات السامية الباقية خصوصا الأكديّة والآرامية

ونتيجة تغير آخر أصله قريب من أصل التخاليف وهو التقديم والتأخير أي أن حرف من حروف الكلمة يقدم وآخر يؤخر مكانه . وعلمته أن ترتيب الحركات في التصورات لسهولة من تهيئها الموجب للتخالف ونحن نشاهد ذلك في الكتابة بالآلة السكتية فانا إذا لم نتفقد كتبنا كل الحروف اللازمة اسكن على ترتيب غير ترتيبها

واللغة العربية كثيرا ما احتفظت بالصورة الأصلية للكلمة مع الصورة الجديدة أي التي طرأ عليها التقديم والتأخير . فأحيانا يمكن معرفة أيتها هي الأصلية بالرجوع إلى اللغة العربية وحدها كما هو الحال في كلمة مزراب ومرزاب حيث أن الفعل منهما زرب لا رزب يتقرر أن الكلمة الأصلية مزراب وأن مرزاب مقلوب منها . وأحيانا نحتاج إلى استمرار الكلمات المقابلة معني في سائر اللغات السامية مثال ذلك أنا نجد في العربية شحال وشامل أي الشمال ونرى من العربية أن شحال هو الأصل وشامل مقلوب منه . وأحيانا فقدت اللغة العربية الصورة الأصلية وحافظت على الصورة الجديدة فقط ومثال ذلك كلمة مع قامها في العربية دائما على هذه الصورة إلا أنا نجدها تقابل الكلمة العبرية *birke* وفي العربية *berek* وفي الآرامية *bucka* وفي الحبشية *berk* فأصلها بركة ثم قلبت إلى ركة وأمثال التقديم والتأخير عديدة جدا في اللغة العربية نكتفي بذكر بعضها نحو غصروف أو غرضوف

ومبهوت أو مبهوت وصفحة أو صحيفة أو صحيفة وجدت أو جندوجيد
أو جذب

تكللنا حتى الآن عن تغيرات اتفاقية الحروف أمكننا أن نعرف عليها
الثانوية الصوتية وكثيرا مالا يمكننا ذلك فسنعدد أمثلة لها على ترتيب صوتي مع
صرف النظر عن سببها . والترتيب الصوتي هو الذي استعملناه عند التكلم عن
أنواع التشابه الصوتية . فمن التغيرات الاتفاقية للحروف ما يقلب فيه صفة
واحدة للحرف نحو كلمة نزع يقابلها في العبرية ^vnasa بالسین فهوى من ذلك أن
أصل الزاي سین مهوسة ، صارت مجهورة . وكلمة سلب التي هي في العبرية ^vsalap
بالفاء انما شئت عن الياء حسب قوانين الأصوات السائدة في اللغة العبرية فصارت
الياء ياء في العربية . ومثلها كلمة بذروهي في العبرية ^vpazar وبرغوث وهو في
العبرية ^vparos أما سائر حروف هذه الكلمات فهي أيضا في العربية مخافة
لها في العبرية غير أن الاختلاف من نوع التغير المطرد السابق ذكره آنفا . فإنا
يئنا أن الينين السامية صارت سینا في العربية ونزيد الآن أن القال السامية
صارت في العبرية زايا والباء سینا والخین عینا والحاء حاء . وعند الانقلاب من
الهمس الى الجهر نشاهده في كلمة جحد قائمها في العبرية ^vKilled بالكاف فصارت
الكاف الممهوسة جيما مجهورة مثل المصرية ثم جيا ومطاشة فهي كل هذه الأمثلة
انقلبت في الحرف صفة واحدة فقط . ومثال ما انقلب فيه صفتان كلمة زاد أي
طام يتخذ لاسفر قائمها في العبرية ^vseid بالصاد فأصبحت الصاد الممهوسة المطابقة
زايا مجهورة غير مطبقة . ومثال ما انقلب فيه الخرج كلمة لسي يطابقها في الأكديّة
^vmasu بالميم الشفهية فأصبحت نونا صنية

وقد يوجد بين تغيرات الحروف ما ظاهرا اتفاق وهو في الحقيقة مطرد
مثال ذلك إبدال اثناء بالفاء في بعض الكلمات نحو التوم أو القوم وهي على
هذه الصورة في القرآن الكريم . والندام أو القدام أي المصغاة . والفرقية
والفرقية أي ثياب بيض من الكتان . والجدث أو الجدف أي القبر . والأرجح
أن الأصل فيها كلها هو اثناء والدليل على ذلك أن التوم بالعبرية ^vsum

وبالآرامية *inna* بالشين والهاء الناشئين عن الاء . وحقبة الأمر في ذلك أنه في بعض لهجات العرب كانت الاء تقطع فاء في كل الكلمات التي وقعت فيها : فأبدال الاء بالفاء في تلك اللهجة أو اللهجات مطرد غير أن سائر العرب استمار النطق بالفاء بدل الاء في قليل من الكلمات فقط فيظهر الأبدال عندهم اتفاقاً . وإبدال الفاء من الاء كثير في تاريخ اللغات نفاً في بعض لهجات اللغة الإنكليزية وخصوصاً في اللغة الروسية حتى أن الحرف اليوتائي الذي يال على الاء تحذف في الروسية فاء

إلى هنا تكلمنا عن إبدالات الحروف بحالة عامة والآت نريد أن نوجه نظراً بحالة خاصة إلى تغيرات بعض الحروف التي كثرت انقلاباتها في العربية وهي زمرتان . أولهما الحروف الصوتية المحضة . والثانية حروف اللين والهمز . . أما الحروف الصوتية المحضة وهي ل ، ر ، ن ، م فيتمثل بعضها بعضاً من جهة أن الغالب على نطقها كلها الصوت الناشئ عن اهتزاز الأوتار الصوتية في الحنجرة ولهذا السبب كثيراً ما يستبدل بعضها من بعض أو تقدم وتؤخر . ومثال الأبدال كلمة غامل فإنها تقارب الكلمة الآكدية *amaru* بالراء التي معناها رأى . وكلمة صم وهي في العبرية *selen* وفي الآرامية *salma* باللام . وأحياناً نجد الأبدال في داخل اللغة العربية نحو البرسام والبسام . ومثال التقديم والتأخير مضافاً إلى الأبدال كلمة خصر بتقديم الصاد إلى الوسط وهي في سائر اللغات في آخر الكلمة مع ابدال الراء من اللام أو النون في بعضها فإنها في الآكدية *hinsu* وفي العبرية *hinsu* وفي الآرامية *hansā* أو *halsā* ومثال آخر كلمة صحن وهي في أكثر اللغات السامية باللام مع تأخير الحاء المقدمة في العربية في بعضها فإنها في العبرية *sallahal* وفي الآرامية *slāhā* أو *sahua* وفي الحبشية *sahl* وأغرب الأمثلة كلمة أرملة الختوية على ثلاثة من الحروف الصوتية المحضة فإنها في الآكدية *almattu* أصلها *almanu* وفي العبرية *almana* مثل الآكدية وفي الحبشية *maballat* فأبدال واحد من الحروف الصوتية المحضة بالياء التي ليست منها واللغة الآرامية تتفق مع العربية في هذه الكلمة فأنت فيها *armalta* كأرملة .

وأحوال الهمز متنوعة والنحويون والمقرئون وفوها حقها شرحا وتفصيلا ونحن
نقتصر هنا على ما يهمنا منها من وجهة تاريخ اللغة العربية : كثيرا ما يحذف الهمز
بالأبدال واوا أو ياء أو غير عوض وأقدم ما حدث ذلك في اللغة السامية الأقدم قبل
أن تفرق الأقوام الناطقون بها . . والقانون الصوتي لهذا الحذف الأقدم هو أنه
إذا توالي هزتان أولاهما في أول مقطع والثانية في آخره حذفت الثانية وامت
الحركة قبلها . مثال ذلك كلمة أو أصلها أو ، أ المقطع أوله همزة وآخره هـ زة
أيضا فحذفت الهمزة الثانية وامت الفتحة قبلها . والدليل على أن هذا الحذف
سامي الأصل وجوده في العبرية والآرامية أيضا فإن كلمة أمر يطابقها في العبرية
amir وحركة هـ نشأت عن الفتحة الممدودة حسب القوانين الصوتية الخاصة
باللغة العبرية وفي الآرامية يطابقها amar وحركة هـ تقابل حركة هـ العبرية في
هذه الحالات . ومثال آخر لهذا النوع من حذف الهمز كلمة إيروما يوازن بناءها
من أبنية الأمر أصلها i-lir ونما يدلنا على أن سبب حذف الهمزة الثانية التي
هي فاء الفعل هو وقوع همزة قبلها هو أنه إذا وحلتا هذا الأمر بالغاء أو الواو
بقيت الهمزة الثانية على حالها لزال همزة الوصل قبلها فكان فائر وأثر . ومثال
شاذ من هذا النوع كلمة أول فاتها كان يلزم أن تكون أول على وزن أفعل كما
أن المؤنث أولى على وزن فعلى . وأول لم تصر أول كما أن أول صارت أو باء
عوض عن مد الحركة بتشديد الحرف بعدها فصارت الكلمة أول

هذا هو أقدم أنواع الحذف ويده إلى النوع الثاني وهو أنه إذا وقع هزتان
في أول مقطعين متتالين خففت الثانية وهذا النوع قسمان . منه ما يكون مقطعه
الأول من الهمزة المتحركة فقط . ومنه ما تركب مقطعه الأول من الهمزة المتحركة
وحرف ساكن . مثال الأول كلمة أئمة أصلها أئمة ومقطعا الأول هو الهمزة
المتحركة أ فخففت الهمزة الثانية وأبدلت ياء . ومنهم من يقول أئمة بتحقيق
الهمزة والنحويون يستسكرون ذلك . ومنه كلمة رياء أصلها رثاء أي المراءة .
وآيب أصلها آئب وجاء أصلها جائى . ومنه أيضا براء جمع بريء وكان الأولى
أن تكون برأؤ على قياس ظرفاء جمع ظريف فحذفت الهمزة وامتد المقطعان

وعوض عن المقطع الناقص بالتأوين فصارت السكامة منصرفة بعد أن كانت غير منصرفة كما أنه عوض بالتأوين عن مقطع محذوف في مثل جوار جمع جارية فإنه على القياس جوارى كفواعل غير منصرف . وربما كان من هذا القسم صيغة المتكلم من مضارع الأفعال الرباعية فأثما أفعل وأصلها أفعل نحو ^vusaksid^v في الأكديّة والشين الأكديّة تقابل هنا الهززة العربية فحذفت الهززة الثانية مع حركاتها ونلى قياس هذه الصيغة حذف الهمز في سائر الصيغ أيضا فقالوا يفعل بدل يؤفعل الخ .

ومن القسم الثاني الذي فيه المقطع الأول مركب من همزة متحركة وحرف ساكن كلمة أريت أصلها أريت فحذفت الهززة الثانية وأرى بدل أراى ومن أرى سرى الحذف إلى يرى وإلى يرى الخ . ومنذ كلمة أسل بدل أسأل ومنها سرى حذف الهمز إلى تسل وغيرها وبالعكس فإن تحقيق الهززة أى عدم تخفيفها وحذفها الذى هو صحيح لا مانع له في تسأل نقل إلى المتكلم فقالوا أسأل بدل أسل فكان الأصل هو الحذف في المتكلم الواحد والتحقيق في الباقي نحو يسأل تسأل أسل . ومن المرجح أن تكون كلمة أنا من هذا القسم أيضا فالظاهر أنها مركبة من أن الموجودة في أنت وأنهم ومن أ الموجودة في صيغة المتكلم من مضارع الفعل نحو أفعل كما أن أنت مركبة من أن بينها ومن ta الموجودة في صيغة المخاطب من مضارع الفعل . ومن ذلك القسم جمع التكسير على صيغة أفعل وأفعال للكلمات التي عينها همز نحو آرس جمع رأس وآبار جمع بئر . والفرق بين هذه الأمثلة والمذكورة قبلها من هذا القسم هو أن حركة المقطع السابق تمد في هذه ولا تمد في تلك فأنا نجد أرى وأسل وأمناها بالفتحة المقصورة وآرس وآبار وأمناهما بالفتحة المدودة والعلة في هذا الفرق أنه في النوع الأول الذى لامد فيه حذفت الهززة في وقت أقدم بكثير من وقت حذف الهززة في النوع الثانى فأنا نرى كلمة أنا يقابلها في الآرامية ^{ana} التي حذفت فيها الهززة أيضا بخير بد للحركة قبلها . وحذف الهززة في مثل آرس وآبار مع مد الحركة قبلها خاص باللغة العربية ليرتقى الى زمان أقدم من زمان افتراق العرب عن الأقوام

السامية الشمالية

وهذا الباب من تخفيف الهمز كله باب من أبواب التخالف المذكور آنفاً ضد التشابه وذلك أن سبب الحذف والأبدال فيه توالي حرفين متماثلين لكن يختلف هذا التخالف عن الأنواع الأخرى بأن نتيجه تسهيل النطق أكثر مما لو حذف أو أبدل أي حرف آخر إذ أن الهمزة أصعب إخراجاً من غيرها من الحروف فينبغي لأخراجها تعاقب فم الحنجرة وهو مفتوح في غيرها فينقطع الزفير المتواصل الخروج أثناء الكلام . والنوعان المذكوران من تخفيف الهمز شائعان في اللغة العربية قديماً وحديثاً وعامياً ونظيرهما فقط .

تقتصر اللغة العربية الفصحى السائدة اليوم وقراءة القرآن السائدة في الشرق وهي قراءة حفص عن عاصم . وأما سائر قراءات القرآن الكريم فنما ما يخفض فيه الهمز تخفيفاً أكثر من ذلك بكثير والنحويون أيضاً يذكرون أن الهمزة كانت تخفف تخفيفاً زائداً في بعض لهجات العرب القديمة المختلفة فكان تدرج تخفيف الهمز من أهم علاماتها وكانت لهجة الحجاز تخفف الهمز أكثر من اللهجات الأخرى ويؤيد قول النحويين رسم القرآن الكريم التابع لهجة الحجاز فكثيراً ما يبدل فيه الهمز بالواو والياء أو يخفض . وإذا أردنا أن نفهم ما يبدل عليه رسم القرآن في حالة تخفيف الهمز ينبغي أن نترك كل الحركات والأشكال المضافة للحروف الهجائية مكتفين بالحروف نفسها فنشرحها على الطريقة التي نشرح عليها المستندات الآرامية فإن الخط العربي مشتق من الآرامية والأملاء العربي المتبع قريب من الأملاء الآرامية فإذا اطلعنا على الأملاء الآرامية رأينا الهمزة وسومة بالألف دائماً وبالعكس كل ألف تشير إلى همزة إلا في أواخر الكلمات فإن الألف فيها حرف مد يشير إلى الفتحة الممدودة وإلى غيرها من الحركات الممدودة في بعض الأوقات مثال ذلك أن *ma* بالسريرية المقابلة لمات حرفاً بحرف لا تشير إلى *ma* أبداً بل معناها *ma* (et) وهي بالعكس *ma* ونملا تختمل أن قرأ *ma* و *ma* . فأفهم فرق بين الأملاء الآرامية والعربية أن استخدام الألف كحرف مد في الأملاء العربية لا يقتصر على أواخر الكلمات فقط بل

يكون في أواسطها أيضا وهذا نشاهد في رسم القرآن الكريم في حال الأكتشاف
 لافي حال الكمال فكثير من الألفات المستعملة في الأملاء العربي العادية لتأدية
 الفتحة الممدودة ساقط في القرآن الكريم نحو فعائه أى فعلاءه وفعات أى فاعات
 وكتب أى كتاب ويقوم أى يقوم وأمال ذلك كثيرة . . فالخلاصة أن الألف
 في رسم القرآن تدل على الهمز في بعض الحالات وعلى المد في بعضها وأنه لا همزة
 بغير ألف دالة عليها . فإذا وجدنا أن كثيرا من الهمزات لا توضع بألف عزونا
 ذلك إلى أن الهمزة كانت تحذف في لهجة الحجاز فكانت إذا الهمزة تحذف بعد
 كل حرف ساكن نحو مل *milun* بدل *milzun* وشطه أى *salahu* بدل *salahu*
 وقرنا أى *quranan* بدل *qurānan* ومثله المودة أى *al-mawā'idatu* بدل
al-mawā'idatu إلا بعد لام التعريف فكانت الهمزة تكتب بالألف نحو الابل طبقا
 لرسم الكلمة بغير الألف واللام أى ابل غير أن كلمة أصحاب الأيكة ترسم
 بالألف في بعض المواضع وبغيرها أى أصحاب ليكة في بعضها ولا ريب أن سبب
 ذلك هو أن بعض كتاب القرآن الكريم لم يكن يعرف كلمة ايكة بغير الألف
 واللام فحذف همزة الأيكة قياسا على حذف سائر الهمزات الواقعة قبلها حرف ساكن
 وكانت الهمزة تحذف إذا وقعت هي ساكنة بعد حركة مع مد هذه الحركة
 وذلك واضح في الكسر والضم نحو ير ويؤخذ وأما في الفتح فتجد في الرسم ألما
 في أكثر الحالات نحو تاويل وأخطانا لانعرف أهي علامة الهمز أم علامة المد
 غير أن المقرئين يذكرون أن كلمة إدارتم في سورة ق ترسم بغير ألف بدل
 ادارتم ونسب على أمثلة لذلك غير المذكورة في كثير من المصاحف العتيقة الكوفية
 نحو أخطانا بدل أخطانا وتويل بدل تاويل واستجرت بدل استاجرت فنتنتج من ذلك
 أن الألف في هذا الباب كله تشير إلى المد لا الهمز وأن نطق الكلمات في لهجة
 الحجاز كان *lauil* و *lanat* الخ . . وأما الهمزة بين حركتين يعني الهمزة المتحركة
 بعد حرف متحرك أو حرف مد فأنها بعد الكسرة والضممة أو قبلها كانت تبدل
 بالياء أو الواو في أكثر الحالات رسما ونطقا وإذا وقعت بين فتحتين بقيت على
 حالها في الأملاء العادية وكتبت بالألف بيد أن نطقها على ما ذكره النحويون

كان وسطا بين النطق بالهجر وبغير الهمز ويضرب هذا على رسم القرآن الكريم أيضا . لكننا نجد شواذ لهذه القواعد حذفت فيها الهمزة أصلا منها أن كلمة رأي ترسم برا وخاططين بخاطين ويستبثونك يستبثونك ومنها في بعض المصاحف العتيقة يومذ بدل يومثذ ومطعن بدل مطعن وجار بدل جائر ولائمن بدل لأملأن واطمنوا بدل اطمأنوا واشمزت بدل اشأزت وأريتم بدل أرايتم والمثشت بدل المثشآت . . . وما يشترك فيه لهجات اللغة العربية من هذا أن لا أن صارت إن وأن يآل صارت يال نحو ياتقوم وأن يآبا كثيرا ما تبدل ييا

بجمل القول أن أكثر الهمزات كانت لا تنطق في لهجة الحجاز إلا ما كان منها في أوائل الكلمات وبعض ما وقع منها بين حركتين ، وبعض لهجات نجد خالفت لهجة الحجاز في ذلك فبقيت أكثر الهمزات فيها سالمة على حالها كما نشاهدها في شعرهم . وما حذفت فيه الهمز في كل اللهجات العربية لسبب خاص لام التعريف فأصلها فيما يظهر الهمزة القطع غير أنهم سلكوا فيها مسلك همزة الوصل فأسقطوها في وسط الكلام وأثبتوها في الابتداء فقط . . . وهمزة الوصل نفسها ليست بحرف أصلي من حروف اللغات السامية وأصلها أن الحرف الأول من بعض الكلمات صار ساكنا في وسط الكلام نحو يا بني أصله *yabini* وبسم أصله *bismi* وفاعل وربما كان أصله *fa-fa'al* فأذا وقعت كلمة منها ابتداء زادوا إلى أولها همزة الوصل لأن الابتداء بساكن لا يمكن في اللغة العربية بخلاف كثير من اللغات فقالوا ابن واسم وافعل ، في وسط الكلام أي اذا وقعت بعد حركة لا تحس الحاجة إلى ألّف الوصل إلا أنهم أثبتوها في الأملاء خلافا للنطق . وقد تكون الهمزة الزائدة أحيانا همزة قطع لاهزة وصل مثالها أعجوبة بدل عجبوبة فبقي على حالها في وسط الكلام أيضا نحو بأعجوبة

هذا جلي ما بهما من أحوال الهمز وانتقل الآن إلى الكلام عن الواو والياء وتاريخ تبدلتهما . وقد عد قداماء العرب هذين الحرفين من سائر الحروف الهجائية وخصصوهما بخرج وهو الأول عندهم ومموء بالجوف ونحن نخالفهم في ذلك . فأننا نرى نطق الواو والياء أو بالأحرى أو ضاع أعضاء النطق الخاصة بنطقهما

مطابق تلك الخاصة بنطاق الضمة والكسرة ، مطابقة تامة فتعد الواو والياء بين الحركات أو الحروف الصائتة voyelles لا بين الحروف الصامتة .. غير أن ثابت فرقا بين الواو والضمة وبين الياء والكسرة من جهة بنية مقطع الكلمة فإن المقطع يتركب من حروف يؤثر على السمع أحدها . أكثر من باقيها وأشدها تأثيرا نسميه بمركز المقطع وما عداه من الحروف هو طرفا المقطع . ومركز المقطع يكون في أكثر الحالات حركة أي حرفا صائتا بيد أنه قد يكون أحيانا حرفا صوئيا محضاً من الحروف الصامتة أو حرفاً من حروف الصغير أو غيرها . وأمثلة ذلك كثيرة خصوصا في اللغات الأسلافية slaves وتوجد أيضا في بعض اللغات العربية الدارجة وخصوصا في التمرية مثال ذلك أن لام التعريف كثيرا ما فقدت الحركة السابقة للام فيقولون filhait بدل في البيت .. فالواو والياء إذا كانت مركزا للمقطع نسميها ضمة أو كسرة وبالعكس إذا كانت الضمة أو الكسرة طرفا للمقطع نسميها واوا أو ياء فالواو في نفسها عين الضمة والياء في نفسها عين الكسرة وإنما تفرق الواو عن الضمة والياء عن الكسرة من جهة وظيفتهما في مقطع الكلمة . ولذلك نسمى الواو والياء شبهي الحركات ونشير إليهما في الخط الصوتي بعين علائق الضمة والكسرة أي : u , i بزيادة هلال صغير تحتهما مثل u i . ويتقرر ما وعقناه من طبيعة الواو والياء أنهما حرفا العلة لأنه يسهل انتقالهما عن طرف المقطع إلى مركزه ويسهل أيضا اتحادهما بالحركات إلى حركة واحدة

ممدودة

فالاتحاد نوعان : الأول اتحاد الواو أو الياء الساكنة مع ضمة أو كسرة سابقة لها فتقال الواو مع الضمة يوجد ومثال الياء مع الكسرة سيرة فهتان الحالتان بسيطتان وأما الواو مع الكسرة فتصير كسرة ممدودة نحو مية أصلها موة. والياء مع الضمة منها ما يصير كسرة ممدودة أيضا نحو بيض جمع أبيض أصلها بيض ومنها ما يصير ضمة ممدودة نحو يوبس أصلها ييبس .. والنوع الثاني هو اتحاد الحركة السابقة للواو أو الياء بالحركة التالية لها مع حذف الواو أو الياء تقدمها مثال ذلك غزا أصلها غزو ورمي أصلها رمى

والواو والياء انقلابات غير الاتحاد منها الياء في بعض الحالات حذفنا إذا وقعتا بعد حرف ساكن نحو مقول بدل مقوول ونحيط بدل نحييط التي أبدات من نحيط ولغة بدل لغوة وكرة بدل كروة وقلة بدل قلوة وأرية بدل إرية . والواو أو الياء في هذه الأمثلة تحذف بغير عوض كالمحز في مثل أرى وأسل وقد يعوض عن الواو أو الياء المحذوفة بعد الحركة التي قبلها كمدها في مثل آرس وآبار مع حذف الهمزة فيهما مثال ذلك كلمة آسى جمع سوق وآدر جمع دار على وزن أفعل . . وحذف الواو والياء في الأمثال المذكورة مما يشبه التخالف وذلك أن حركة الواو فيها كلها هي الضمة وحركة الياء هي الكسرة فيتتابع حرفان مثلاًن ومن انقلابات الواو أنها إذا كانت لام الفعل صارت ياء في كثير من أبنية الفعل وبعض أبنية الاسم مثال ذلك من الدلو أدليت وتدلّيت وأدل وهو مستمدة عن أدلى التي أبدات من أدلو ونظيرها معنى جمع عصا أصلها عصى . . قلبت الواو ياء أيضاً في كل الحالات التي وقعت فيها ساكنة قبل ياء أو متحركة بعد كسرة نحو كي من كوى بدل كوى وجياد جمع جواد ورضى من الرضوان وعلى من العلو بدل علو وأما حوار وطوال وأمثالهما فاشتقت حديثاً عن جاوره وطويل فحافظوا فيها على وار أصولها . . وقد تبدل الواو ياء في غير هذه المواضع نحو ديمومة من الدوام وهذا للتخالف بين المقصعين . . وعكس هذا الانقلاب أي قلب الياء واوا أقل بكثير مثاله الأموى من أمية واو بدل الياء . وهذا نوع من التخالف أيضاً

والواو والياء قد تستبدلان من الهمزة وبها وأكثر هذا التعبير اتفاقاً يذكر النحويون أمثلة له منها أن أسماء اسم العلم أصلها واسماء وأن أدية اسم علم مذكر تصغير اليد أصلها يدية وأن في اسم يرب لغة بالهمز بدل الياء أي أثرب وأن جمع الحبال خؤولة ومنه في القرآن الكريم أقت بدل وقت وكذلك قرأها أبو عمرو . . وأحد أنواع تبديل الواو والياء بالهمزة مطرد قديم جداً وهو في حالة وقوعها بعد فتحة معدودة مثاله قائم وسائر إلى غيرهما . والدليل على أن ذلك التبديل يرتقى إلى اللغة السامية الأم هو أننا نجد في الأكديّة والآراميّة .

ويوجد في اللغة العربية شذوذ لهذا القانون الصوتي لها علة تختص بها منها قول
وزاوية وزوايا

ونود أن نختم كلامنا عن الحروف الصامتة بمناقشة مذكورة نحويو العرب
عنها فقد أفرد الزخشرى - مثلاً - وهو من أشهر علماء النحو القسم الرابع من
كتاب المفصل لما سماه المشترك وهو ما يشترك فيه سائر أجزاء الكلام من الأسماء
والأفعال والحروف أى الأدوات وهو يقرب مما نسميه نحن بحث الأصوات :
وبين أبوابه ما يخص الحروف الصامتة باب في تخفيف الهمز وأو ما أنا إليه قبل .
وباب في الأدغام وذكرناه آنفاً . وباب في الاعتلال أى فى الواو والياء . وبابان
في زيادة الحروف وفى إبدال الحروف . أما باب زيادة الحروف فقد تكلم فيه
عن الحروف التي زيدت إلى مادة الفعل لأفادة معنى من المماثي كزيادة الهمز في
الأفعال الرباعية وهذا مما يخص الحروف لا من جهة صوتها ونطقها بل من
جهة معناها ويخدمتها ولا حاجة لنا الآن إلى تفصيله . وفى باب إبدال الحروف
ذكر كثيراً مما هو إبدال للحروف في الحذيفة غير أن بعضه ليس بعام في العربية
بل هو مختص بلهجة من أجهاتها نحو من بدل إن عند طيبي . وهي تشبه hen
الآرامية التي معناها عين معنى إن العربية . وأضاف الزخشرى إلى ذلك أشياء
ليس بهذا موضعها . مثال ذلك أنه ذكر أن الهمزة في ماء وأمواء أبدلت من
الهاء مستنداً في حكمه على وجود الهاء في مياه جمع ماء ، وهذا بخلاف الحقيقة
إذ أنا نستنتج من استعراض اللغات السامية الأخرى أن الصورة الأصلية لكلمة
ماء كانت mai أو قرينة منها وأن الهاء في مياه وما مائلها من الجموع زائدة . ولو
ألم الزخشرى باللغات السامية لسلم من الوقوع في هذا الخطأ . وذكر الزخشرى
أن الميم في كلمة قم أبدلت من الواو ونحن نعرف أنها ميم التميم الذي هو التنوين
فى اللغة العربية فكان الرفع qm والحفص qm والنصب sam ، والميم فيها لم
تصر يوماً مع سائر الميمات النهائية بل بقيت على حالها لأنهم كانوا يتلفظونها
نكاتها أصلية فأضافوا إليها الأعراب والتنوين فصارت قم ، قم ، فما نقلت الميم
من آخر الكلمة إلى وسطها ومن أجل ذلك لم يجر عليها القانون الصوتي الذي

بمقتضاه أصبحت الميم الأتھائية نونا في اللغة العونية وذكر الزخشي أن التاء في الأخت والبنت أبدلت من الواو وذلك أنه ظن أن مادتهما أخو وبنو وأن التاء أصلية لام الفعل قامت مقام الواو ونحن نعرف أن الأخت والأخت من الأسماء القديمة جدا التي مادتها مركبة من حرفين فقط لامن ثلاثة أحرف وأن التاء وإن لم تسبقها فتحة هي تاء التأنيت فهي في غير اللغة العربية وخصوصا في الأكديّة والعبريّة كثيرا مالا فتحة قبلها . مثال ذلك أن الخمسة في الأكديّة ^vhamistu وفي العبريّة ^vhameset أحملها ^vhamisi كلاهما بشين ساكنة . . ففي الأمثلة المذكورة كلها كان أصل الحرف غير ما ذكره الزخشي وقد أصاب الزخشي في معرفة أصل الحرف في كثير من الكلمات غير أنه ضل طريقة الأبدال في بعضها فزعم أنها قصيرة وهي في الحقيقة طويلة منحرفة . فقد ذكر مثلا أن التاء في كلمة تهمة أبدلت من الواو وهذا هو عين الصواب إلا أن التغير ليس من التغيرات الصوتية المحضة كما رأى هو ، وإنما أبدلت الواو بالتاء بواسطة بناء الأبنية وذلك أن الافتعال من وهم هو انهم بقلب الواو تاء بان تشابه ثم إدغامها في تاء الافتعال وانهم كما تبع في مظهرها فظنوا أنها من هم كتبع فاشتقوا منها كلمات عديدة فأوها التاء ، منها التهمة . . وأحيانا ذكر الزخشي أن حرفا مبدل من آخر والأمر في الحقيقة على العكس . مثال ذلك أنه زعم أن التاء في كلمة لصت أبدلت من الصاد الثانية في أصل والحقيقة أن التاء هي الأصل والصاد الثانية مبدلة منها فنحن نعرف أن الأصل معرب من اليونانية بواسطة الآرامية أي السريانية وهو في اليونانية أي ^vlestes وفي السريانية ^vlestes ، فيتضح من ذلك أن لصت هي الأصل وأن أصل أبدلت منها بتشابه التاء للصاد ثم إدغامها اليها ومن هنا نرى أن الأبدال أكثر ضلالات النحويين والغريبين القدماء نشأ من جهلهم باللغات السامية ، على أن بعضها كان شائع الاستعمال في زمانهم .

والآن بعد الكلام عن الحروف الصامتة تنتقل إلى القسم الثاني من الحساب الأول في الحروف الصائتة فنقول إن النحويين القدماء وإن كانوا ألما بخوارج الحروف الصائتة إلما مقبولا حسانا فلم يوفقوا إلى معرفة طبيعة الحروف الصائتة لأنهم كانوا يتأثرون بالخط خلافا للمطلق فرأوا أنه في بعض الأحيان لا يستعمل

شئ. البتة بين الحروف الصامتة نحو فعل وأحيانا يكتب بينها حرف من حروف المد نحو فاعل فلم يدروا أن الحالتين سيان في أن تنطق بعد الفاء حركة في كليهما إلا أنها مقصورة في الأولى ومدودة في الثانية بل ظنوا أنه وإن كانت الفاء متحركة في كلتا الحالتين أضيف إلى الحركة في الحالة الثانية شئ غيرها هو الألف وهذه الضلالة هي منبع ضلالات ومشكلات كثيرة نجتنبها نحن إذا فهمنا أن الحركات منها مقصورة ومنها مدودة وأن الحركات المدودة يشار إليها بحروف المد .. ولهذا السبب نرسم للحركة المقصورة والمدودة بإشارة واحدة نحو a لا فتحة ولا تفرق بين الممدود منها نحو .. والممدود وضع ثان في تركيب الأصوات غير مد الحركات هو التشديد فان الحروف المشددة وخصوصا المتعادية منها من أهم خصائصها أن امتداد نطقها أطول من امتداد نطق الحروف غير المشددة فالتشديد مد للحروف الصامتة نظير لدالحروف الصائتة أى الحركات. وفي بعض اللغات تقتصر الحروف المشددة على كونها مدودة وفي بعضها يحتوى التشديد على خصائص أخرى غير المد

أما عدد الحروف الصائتة فهي في اللغة العربية ثلاثة : الفتحة أى a والكسرة أى i والضممة أى u والحركات المدودة الموجودة في اللغة العربية توافق الحركات المدودة الموجودة في اللغة السامية الأم والفرق بينها في اللغتين طفيف غير أنه يحتمل أن اللغة السامية الأم كان لها حركة مدودة رابعة هي e وهذه الحركة صارت ē في العربية الفصحى مثال ذلك أن كلمة جار يطابقها في العبرية ger وتار يطابقها ner وإن خالفتهما في المعنى فإن معنى ner في العبرية الدور ، وعلى في العبرية ē .. وأما الحركات المقصورة فيظهر أنها كانت في الأصل اثنين لا ثلاث يعنى حركة كاملة هي الفتحة ، وحركة ناقصة أحيانا تشبه الكسرة . وأحيانا تشبه الضمة ونحن نشاهد في العربية آثارا كثيرة تدل على أن الكسرة والضمة لافرق بينهما في الأصل معنى ووظيفة منها أن كثيرا من الأفعال ما فيها أما فعل أو فعل وقد يوجد فرق بين الصيغتين لكنه قليل الأهمية بالنسبة إلى الفرق بين فعل وفعل أو بين فعل وفعل .. وكثير من الإفعال متطابقة أما يفعل أو يفعل والفرق بينهما أقل من الفرق بين فعل وفعل .. وأحيانا لا يقتصر

التطابق على الحركتين المقصورتين بل يتعداهما إلى المدودتين مثال ذلك أن
فعل وفعل قريب بعضه من بعض

هذه هي الحالة في اللغة العربية . ومقابله سائر اللغات السامية تؤكد
الاستنتاج من العبرية وذلك خصتان : إحداهما أن اللغة الحبشية فيها حركتان
مقصورتان فقط هما المنحة المقابلة للمنحة العربية والـ c انقابلة للكسرة والضمة
والأخرى أن كثيرا من الكلمات التي وزنها فعل يقابله في سائر اللغات السامية
فعل وبالعكس . مثال ذلك أن البكر هو في الأكديّة *bukru* وفي العبرية *h̄k̄or*
وفي الآرامية *bukra* وظل في الآرامية *tulla* والأكديّة والعبرية توافقات
العربية في أن الظل فيهما *selisillu* والبئر في الأكديّة *buru* والآرامية توافق العربية
فهي فيها *berā* وأما العبرية فيوجد فيها كلا الشكلين يعني *h̄er'ōr* والاسم في
الأكديّة *sumu* وفي الآرامية *sinā* أصلها *sum* والعبرية توافق العربية فهو فيها
sem وبالعكس فالب في الأكديّة *libbu* وفي العبرية *leb* وفي الآرامية *lehba*
والأم في العبرية *em* وفي الآرامية *emma* وهي في الأكديّة *ummu* كما هي في
العربية . ومن الغريب أن بعض القراء قرأوا أم في القرآن الكريم حسب نطقها
في بعض اللهجات العربية العتيقة . والركبة ذكرنا أنها في الأكديّة *birku* وفي
العبرية *berēk* وهي في الآرامية *burkā* بالضمة مثل العربية والظفر في الآرامية
ep̄ra وفي العبرية يشتق منه كلمة *sipporen* وهي في الأكديّة *sipru* موافقة
للعربية وقد يوجد في العربية بالكسرة أيضا . . . وما يجب اعتباره أنه في
أكثر الكلمات المذكورة يلاحق الكسرة والضمة حرف شفهي كالياء في البكر
والبئر واللب أو الفاء في الظفر أو الميم في الأم والاسم ومن يرجع إلى هذه
المسألة فيها بعد

وكأنني بكم تتساءلون كيف يكون أصل حركتين متضادتين تضاد الكسر
والضم حركة واحدة ؟ أجل أن أصابهما واحد وسأعرض لكم من النظريات
الصوتية والمشاهدات في اللغة العربية نفسها ما يثبت لكم صحة ذلك . . إن كل
الأصوات صامتة كانت أو صائتة جنسان : صوت نبات وصوت انتقال . . وذلك

أن الصوت إما أن يخرج وآلات النطق من اللسان والحناك والشفيتين وغيرها ثابتة باقية في وضعها أو يخرج وآلات النطق تمر وتنتقل وتحرك من وضع إلى وضع . والأول هو الغالب على النطق ولو لم يكن كذلك لما أمكن فهم الكلام البتة . غير أنه لا بد من تداخل أصوات انتقالية في الأصوات الثابتة . مثال ذلك أنه إذا نطقنا كلمة ما وجب ضرورة أن تكون الشفتان أو اللمطبوقتين ثم مفتوحتين فلا بد من تحريكهما وانتقالهما من وضع الانطباء إلى وضع الفتح فإذا نالنا انقطع النطق في هذه الأثناء بل تظل الحنجرة مفتوحة والأوتار الصوتية مهتزة وسير الزفير متواصلا يخرج صوت أو أصوات أثناء ذلك الانتقال ضرورة وهي أصوات انتقالية غير أن مدة الانتقال قصيرة جدا بالنسبة إلى مدنى الثبات قبله أثناء نطق الميم وبعده أثناء نطق الفتحة المحدودة . ولذلك لا نذكر أكثر الأصوات الا انتقالية بالسمع

ولنرجع الآن إلى مسألة تطابق الكسرة والضمة فنقول إن الفتحة في اللغات السامية كانت دائما حرفا ثابتا فان آلات النطق كانت توضع في وضع معين لنطقها فهي حركة ظاهرة معينة وإن اختلفت أنواع نطقها اختلافا جزئيا ظاهرا . والكسرة والضمة كانتا حرفين انتقاليين ، فهما حركتان نافضتان غير معينتين ليس بينهما فرق معلوم ثابت بل صوتهما تابع للحروف الصامتة السابقة والتالية لها في الكلمة وما يؤكد ذلك ما ذكرناه من أن التردد بين الكسرة والضمة أكثره في جنوار حرف شفهي فيكون مبدأ انتقال أعضاء النطق أو انتهاء شبيهها بمخرج الضمة الذي هو أيضا من الشفتين فيحتمل أن تكون الحركة الانتقالية ضمة تبعاً لذلك الحرف الشفهي أو كسرة تبعاً لمخرج الحرف الآخر الذي يلاصقه ومن هنا توجه إلى المسألة العملية وهي : هل يوجد في اللغة العربية نطق بالكسرة والضمة كالذي وصفناه آنفا ؟ فربما قال قائل إنه توجد حركة متوسطة بين الكسرة والضمة فيما ذكره النحويون والمقرئون من إشتام الكسرة بالضمة أو بالعكس في مثل قيل ورد أي *qūla, qūla* بالـ *u* الفرنسية أو الـ *u* المانية . فتقوّر هذا صحيح لا شك فيه غير أن هذه الحركة المتوسطة بين الكسرة والضمة ليست بحرف انتقالي بل هي حرف ثابتي ومخرجها معين فلا علاقة لها بمسألة

ومما يثبتنا على حليها حقيقة أننا نشاهد في بعض اللهجات العربية الفارسية مثل لهجة الشام أن الكسرة والضمة كثيرا ما تلفظان بغير مخرج قائم ثابت ، بل في أثناء انتقال أعضاء اللسان من مخرج الحرف السابق لهما إلى مخرج الحرف التالي فمما لا كسرة ولا ضمة ولا \ddot{a} بل أنواع من الصوت مضربة مبهمّة تؤثر على كنهها الحروف المجاورة لها وبناء الكلمة . مثال ذلك كلمة $y'des$ أى القدس فحركاتها حركة لا نظير لها بين الحركات المعينة المحدودة الكاملة بل هي حركة ناقصة انتقالية

فيتضح مما يبين أن عدد الحركات في اللغة السامية الأم كان قليلا جدا فكانت المحدودة منها ثلاثا أو أربعا والمقصورة اثنتين . ومعنى ذلك عدد الحركات المتخالفة معني ووظيفة لانطلاق . فإنا قد رأينا أن الحركة الناقصة الانتقالية كانت تنارب الضمة في بعض الحالات والكسرة في بعضها ولها مع ذلك أنواع لا تحصى ولا تحدد غير أنه لا فرق بينها في المعنى والوظيفة ، والحركة الكاملة أى الفتحة لها أيضا أنواع من النطق متعددة فتراها أحيانا تقارب الـ e وأحيانا الـ o على حسب طبائع الحروف الصامتة المجاورة لها . . فهذا التنوع في نطق الفتحة جنس من أجناس التشابه وهو من تشابه الحروف الصامتة للصامتة . . وقد يؤثر على نطق الفتحة عوامل غير المذكور . ونشاهد في بعض اللهجات العربية مثلا لهجة الشام أن أنواع نطق الفتحة منصلة بعضها ببعض لا تفرق بين اثنين منها وذلك أننا إذا ابتدأنا مثلا بكلمة تنطق الفتحة فيها e نحو $talz$ أمكننا أن نجد كلمة أخرى يفتقر نطق الفتحة فيها منه في الأولى فرقا لا يمكن أن يدرك بالسمع وهم جريا إلى أن نصل إلى الكلمات التي فيها نطق الفتحة مثل o نحو $toil$ والأرجح أن الحالة في الفتحة وسائر الحركات كانت في اللغة السامية مثل هذه . . فهذا من أهم خصائص اللغة السامية خلافا مثلا للغات الهندية والآيرانية والمغربية الموسومة بالـ *indo-europeennes* فإننا نرى أمما التي اشتقت منها كانت تحتوي على خمس حركات مقصورة متخالفة وظيفية ومعنى . وكثير من بنائها أى اللغات الهندية والآيرانية والعربية المستعملة اليوم محتوية على أكثر من ذلك من الحركات المقصورة . والحركات

في هذه اللغات لا تفصل بعضها ببعض كأصوات الفتح في لهجة الشام بل بين كل اثنين منها فارق فوجد مثلاً في الأتراكزية كلمات but و-but, hat, het إلاؤها الضمة ونطقها نوع من أصوات الفتح - لا يختلف بعضها عن بعض إلا بالحركة وزي الحركات متقاربة تقارباً ينافي غير أن بين كل اثنين فارقاً لا توجد كلمة في الأتراكزية حركتها بين حركتي hat, het أو بين but, bat والكلمات المذكورة وإن تقاربت حركاتها فهي مختلفة في المعنى اختلافاً تاماً فـ bet منها المخاطر ، hat منها الوطواط ، hut منها الكن

والحركات المدودة في اللغة السامية الأم عددها أكثر وتنوعها أقل منها في الحركات المقصورة فالفتحة المدودة دائماً كانت قريبة من هـ إلى غير ذلك ، وأما اللغة العربية فالفتحة المدودة على ما قاله النحويون والمقرئون كثيراً ما كانت تقارب حركة هـ وشاهد مثله في كثير من الهمجات الدارجة وهذا ما سموه إمالة الفتح والآن نحو الكسرة أو الياء ، والمقرئون وقفوا الأمالة كل حتماً مقتصرين على ما وجد منها في قرأت القرآن الكريم والنحويون لم يوقفوا إلى ضبط حالاتها وتفسير قواعدها تماماً وهم يناقضون المقرئين في كثير من التفصيلات ونحن لا نكتفينا ولا يلزمنا هنا تبين كل ذلك بل نستغنى عنه بنظر عام .. فالأما جنسان الأول هو تنوع نطق الفتحة المدودة تشبيهاً لها بالحروف المجاورة لها وبسائر حركات الكلمة وهو نظير ما ذكرناه من تنوع نطق الفتحة المقصورة ومن هذا الجنس قل ما يوجد من الأمالة في الهمجات الدارجة أو أكثره ومنه أيضاً ما أماله القراء البصريون وأشهرهم أبو عمرو وبعض الكوفيين والمدنيين كأمالة الألف المدودة قبل راء مكسورة في مثل أبصارهم وحمارك ، وهذا الباب واسع جداً والجنس الثاني وهو أهم الجنس إمالة ما لا داعي لأماته في الحروف المجاورة للفتحة المائلة ولا في سائر حركات الكلمة ومن هذا الجنس ما أوماً إلى إمالة الأملاء وبالأخص رسم القرآن بيا تكون حرف المد بدل الألف نحو رمي ومن المهم أن الياء أثبت في رسم القرآن قبل الضمائر أيضاً نحو رميها والإملاء المادي أبداه بالالف في هذه الحالة فتكاثرت وماها فترى من رسم القرآن أن الفتحة

المدودة كانت مماله عند الحجازيين في أواخر كثير من الكلمات نحو إلى وإحدى ورمى وما يشابهها في أن لامه ياء ورماها إلى آخره . وقد ذكرنا قبل أن أصل الفتحه المدودة في على وإحدى ومثلها حركة هـ وقد بينا أن الفتحه المدودة في مثل رمى نشأت من اتحاد aia في رمى قالاً رجح أن الياء كانت أثرت في نطق الفتحتين المجاورتين لها وأمالتها إلى الـ e فصارت الحركة المتحددة هـ لا هـ .

فينضج الآن أن لهجة الحجاز حافظت على كثير من الفتححات المماله أى هـ . الموجودة في اللغة السامية الأم ولم تبدلها بالفتحه الخالصة مع أكثر لهجات العرب ولم تحتفظ بها كلها فبانري كلتي جارونار اللتين أصلهما ger , ner ترسمان بالألف لا بالياء . والفراء منهم من تبع الرسم في إمالة الفتححات المرسومة بالياء أو الكثير منها ومنهم من أهملها ولم يعل تلك الفتححات هـ والأول هو الحال عند الكوفيين خاصة ما عدا عاصم ولهذا السبب لا أعمال الألف في قراءة القرآن الكريم السائدة اليوم في المشرق وهى قراءة حفص عن عاصم إلا في قليل من الحالات . . ومن القراء من يميل بعض ما هو مرسوم بالألف أيضا من هذا الجنس من ذلك أن حمزة أمال الفتحه في مثل جاء وزاد وشاء القى عينها ياء وفي خاف القى عينها واو غير أنها أشبه ذوات الياء في أن صيغة المتكلم منها خفت على وزن زدت فربما كانت الفتحه المدودة في زاد وأمثالها متحدة aia كما هى في رمى فأصلها هـ لا هـ وبما يؤكد هذا الرأي أن بعض المصاحف المكبة كان رسم فيها جيا بدل جاء على ما رواه المقرئون فلذا كان الأمر كذلك لزمنا أن نفرض أنه في لهجة الحجاز المتبعة في رسم القرآن كانت حركة هـ العتيقة سالمة على حالها في أواخر الكلمات . بدلة من الفتحه الخالصة في أواسطها وأن لهجة مكبة خاصة وبعض لهجات غيرها كانت تحافظ على هـ في أواسط الكلمات أيضا

وأضكر تثيرات الحروف الصائتة الواقعة في اللغة العربية غير المذكورة إلى الآن اتفاقية وليس فيها إلا قليل من المطردة فبقيت الحركات السامية على العموم سالمة على حالها . في اللغة العربية إلا أن الحركة القصيرة الناقصة الانتقالية صارت حركتين كالمبتين في كثير من اللهجات العربية فهى بعضا ضمة وبعضا

كسرة .. وأما التغيرات للحروف الصائتة فهي في الممدودة التقصير وفي المقصورة الأبدال والحذف والزيادة فلا يوجد في العربية إبدال للحركات الممدودة إلا نادرا جدا إذا صرفنا نظرنا عن الأمثلة المذكورة آنفا ولا يوجد إبدال للحركات المقصورة إلا نادرا أيضا . والأبدال هو انقلاب مخرج الحركة . فاللحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة غير أن تحديدتها وتمييزها . شكل ولا تمن الحاجة إلى الكلام عنها هنا .. والمد والتقصير والحذف والزيادة كلها تغيير للعدة التي يشغلها تطلق الحركة . أما الأبدال فأهم أنواعه التشابه وهو جبران : تشابه الحركة لحركة أخرى أو تشابهها لحرف صامت ، والأول لا بد أن يكون منفصلا لأن بين الحركتين حرفا صامتا فارقا بينهما مثال ذلك : نذأحاما من ذو ومنخل أعلاما منخل فهي من أسماء الآلة التي ميمها مكسورة دائما وستين جمع سنة بدل ستين وعصى جمع عصا بدل عصى على وزن فعول فأصبحت العين مكسورة تبعاً لكسر الصاد التي سبقتها بعد . وكثيراً ما يكون الحرف الفارق بين الحركتين حرفاً حلقياً نحو امرئ بدل امرئ وامرؤ ونعم وبئس أعلاما نعم وبئس على وزن فعل وأشهر مثال لذلك ضمير الغائب المتصل الذي تقلب ضمته كسرة بعد كسرة أو ياء ساكنة نحو به وفيه وعليه وبهم وفيهم وعليهم وهذا من التشابه المقبل وما ذكر قبله من ستين وامرئ ونعم إلى آخره من التشابه المدبر . ومن أنواع هذا الجنس من التشابه مطرد وقانونه الصوتي أن كل فعلول وفعليل صار فعلولا وفعليلاً في اللغة الفصحى وكثير من اللهجات احتفظت بفعلول وفعليل مثال ذلك تلميذ وهو عرب من *talimida* الآرامية وجمهور أصله جمهور غير أنه في تيفتى مفعول وتفعيل إذا كانت مصدرا لم تتغاب الفتحة ضمة أو كسرة .. وتشابه الحركة لحرف صامت نوعان : فالحرف إما أن يكون حرفاً حلقياً أو من شبه الحركات أي واوا أو ياء . ومن هذا الباب بعض إبدالات مطردة منها أن مضارع الأفعال التي لامها حرف حلقى دائماً على وزن يفعل لا يفعل ولا يفعل نحو فتح يفتح وكان ينبغي أن تكون يفتح أو يفتح كمضارع سائر الأفعال التي ما هيها على فعل وسبب الميل إلى الفتحة أن الإنسان في نطقه

الحروف الحلقية يجذب إلى وراء مع بسط وتسطيح له وهذا عين وضعه في نطاق الفتحة . وإذا قال قائل ما الببب في أنهم مالوا إلى الفتحة في مضارع فعل خاصة وليس في سائر أبنية القول والاسم ؟ فالجواب : أما الفرق بين مثل يفتح ومثل يفتح إلى آخره فهو أن يفتح أقدم بكثير من سائر المضارعات وهي ترتقى إلى أول طور تكون اللغات السامية ، وكان القياس ليس بقوى بعد في ذلك العهد وشاهد آثار ذلك في أن الأفعال متنوعة تنوعاً زائداً في بنائها : منها ما ماخذه بالفتحة ومضارعه بالفتحة أو بالكسرة أو بهما إلى آخره فغاب في مثل يفتح التشابه الصوتي على القياس في اللغة السامية الأم وبقي كذلك في أكثر اللغات السامية والعربية معها وإن وجد بينها شواذ قليلة فيفتح في الأكدية *ipte* أصله *iptah* وفي العبرية *iptah* وفي الآرامية *neptah* وفي الحبشية *jeftah* ومثل يفتح أحدث بكثير وكل أمثاله بنيت على قياس واحد تغلب فيها القياس على التشابه الصوتي . وأما الفرق بين مثل يفتح ومثل وسع أو فاتح فهو أن المضارع كان في الأصل مجزوماً ثم زيد إليه في العربية الضمة في الرفع والفتحة في النصب . والماضي آخره مفتوح من زمان قديم جداً والأسماء لا تكون أواخرها مجزومة أبداً إلا في الوقف فكانت الحركة في مثل يفتح تجاور الحرف الحلقى في مقطع واحد وهما في مثل وسع وفاتح من مقطعين *sa-ti-hun* فهذا الجوار أقل اتصال من الأول فلم يؤثر فيه الحرف الحلقى على الحركة تأثيره في الحالة الأولى . وأما الأفعال التي عينها حرف حلقى فتأثيره في الحركة التالية له وتقاييه إياها فتحة اتفاقاً نادر بالنسبة . منه في المضارع يضع ويهب ينبغي أن تكون قد كانت يهب ويضع ، لأن الواو في الأفعال التي فاؤها واو حذفت فيها مضارعه بالكسرة فقط ولم تحذف في مثل يوجل ومن ذلك في الماضي سأل ورأى اللتان مضارعهما بالفتحة أيضاً أي يسأل ويرى ، فلا بد من أن تكون الحركة أبدلت في أحد منهما أي من الماضي والمضارع . ولما بدلنا على أيهما هو ، آتانا نرى سأل يقابلها في العبرية *sa el* وفي الآرامية *sa el* ورأى يقابلها في الحبشية *re'cia* وزد على ذلك أن سمع ماضيها بالكسرة ، فالأفعال المذكورة أي سمع ورأى وسأل وعدد قليل غير هذه هي

بجموعة في نفسها ، ووجبة الأتفات ، فهي وإن كانت متعددة شبيهت بالأفعال اللازمة وبنيت على فعل يفعل رعاية لأن الأدرالك بالحواس والاستخبار ليس بعلم وفعل بل هو تأثير وانعاباع .. فهذا أول نوعي تشابه الحركة لحرف صامت اختياري وثانيهما تشابه الضمة لياء بعدها وقلبها كسرة ، وهذا ألا بدال من المطردة ومثاله من الضمة الممدودة رمى بدك رموى وععى بدل عصى . ومن الضمة المقصورة أدل جمع دلو على وزن أقفل فكان يلزم أن يكون أدلو وقد ذكرنا آتفا إبدال الواو بالياء فصار أدلى ثم شبهت الضمة بالياء فأصبح أدلى ثم اتحد المقطعان الآخرا فنتج أدل

الى هنا تكلمنا عن إبدال الحركات ونوجه نظرنا الآن الى تقصير الحركات الممدودة فهو مطارد قبل حرف ساكن مثال ذلك رمت أصلها ramaiat فكان ينبغي أن تكون ramat بالفتحة الممدودة فقصرت ورام أصلها ramiiin فأتحدت الحركتان فأصبحت ramii ثم رام .. ويعتضى هذا القانون الصوتي ينطق مثلا في البيت بالكسرة المقصورة والأملاء يحافظ على الياء تبعا لأصل الكلمة . وهذا القانون قديم سائد في أكثر اللغات السامية والشواذ منه قليلة في اللغة العربية ، منها الفاعل من الأفعال المضاعفة نحو دال .. ومن الغريب أن التقصير قديم على الحركات الممدودة البسيطة الى المتركتين أى diphthongues وهما الفتحة مع الكسرة يعنى ai أو مع الضمة يعنى au فالفتحة مركز المقطع والكسرة أو الضمة طرفه الأخير ولذلك تكتب بالواو أو الياء . فمثال تقصير الحركة المتركة لست فأصلها ليست من ليس فقصرت الـ ai لأجل الساكن بعدها وأصبحت فتحة مقصورة وأكثر أنواع تقصير الحركات الممدودة اتفاق . منه تقصيرها في أواخر الكلمات فانا نرى الحركة الممدودة الانتهائية في بعضها قد نحافظ على الأمتداد نحو عا وقيا ولما . وقد تقصر نحو بم وفيم ولم . وقد يحذف نحو كم أصلها كما . وفي بعضها تقصر أو تحذف نحو أنتم وهم وأمثالهما فهي مجزومة وإذا وقعت قبل ألف الوصل فمضمومة على أصلها نحو هم المفلحون .. وبعض الحركات الانتهائية الممدودة في الأصل يكتب دائما بحرف المد نحو رمى وغزا وعسى وفيها وفعلنا الخ

وكلمة أنا ليست من هذا القبيل ، فالألف فيها زائدة لا تشير الى مد الحركة وهي في الشعر العتيق تكاد أن تكون مقصورة دائماً . وبعض الحركات الانتهائية الممدودة في الأصل يكتب أبداً بغير حرف مد نحو فيه وله وأنت . فالحركة الأخيرة في هذه الكلمات كلها كانت ممدودة في الأصل ونعرف ذلك من مقابلة سائر اللغات السامية فضمير ^vsi يقابله ^vsi في الأكديّة و ^vsi - في الحبشية . وأنت في العبرية ^vantemnu وأنتم في الحبشية ^vantemnu د إلى آخر ذلك . . والأرجح أن كل الحركات الممدودة الانتهائية كانت تقصر في اللغة السامية الأم في بعض المواضع ولا نعرف في أيها ، وهذا من قواعد الوصل وهي تؤثر في اللغات السامية وخصوصاً في العبرية تأثيراً زائداً . واللغات الهندية والأيرانية والعربية ليس لأكثرها قواعد مثلها ما عدا اللغة الهندية العتيقة يعني Sanskrit فقواعد الوصل فيها أكثر تأثيراً منها في غيرها حتى اللغة العربية أيضاً ولذلك استعاروا لسزبون لتأدية معنى الوصل الاصطلاح الهندي : هو sandhi أي تركيب . . وقد يوجد في اللغة العربية أثر من تبادل مدالحركات الانتهائية وقصرها وهو أن ضمير الغائب المتصل أي به أو به وإن كتب بغير حرف مد فكثيراً ما ينطق بالضممة أو الكسرة الممدودتين حسب ما قاله النحويون والمفردون ولزم في قولهم المد إذا كان المقطع السابق مقصوراً أي لا يحتوي إلا على حرف متحرك بحركة مقصورة فقط ، فلزم نطق مثل له وبة بالحركة الممدودة ، وأما مثل إياه وفيه وعليه فجاز فيه المد والقصر . والقصر أكثر استعمالاً . ومثل ضمير الغائب كلمة هذه فالكسرة الانتهائية فيها دائماً ممدودة ، وسبب حذف حرف المد في إملائها كلها أنها في الوقف مجزومة نحو له وبه وهذه ، والأولاء العربي دائماً يتبع حالة الوقف والابتداء لا الوصل . . والفاعدة المذكورة لها أساس وزني rythmique يشاكل أوزان الشعر وذلك أن تتابع المقطعين الممدودين ليس بمقبول للسمع في بعض الأوقات فاجتنبوه ، ومن ذلك أنهم قالوا قتال في مصدر قاتل وكان الأولى أن يكون قيتالاً لامتداد الحركة الأولى في قاتل فقصروها لكي لا يتابع الممدودان ، ومنه أيضاً رضيع يعني مراضع وحليف يعني محالف وما يشبههما ، فكان الأولى أن تكون راضيع وحالف تبعاً لامتداد

الفتحة في راضع وحائف، ومنه تراث بدل laurat ونجاء بدل tangah على وزن تفعال وهذا من تقصير الحركة المركبة

هذه هي حالة الحركات الممدودة الانتهائية في الأملاء العادي وأما في رسم القرآن فكثيرا ما تحذف الياء الدالة على الكسرة الممدودة في أواخر الكلمات ضميرا كانت أو غيرها نحو يقوم ودعان والداع ويوم يات ، وذلك يدل على أن الكسرة الممدودة الانتهائية كانت تقصر في لهجة الحجاز في كثير من الحالات وحذف الحركات قليل في اللغة العربية منه ما ذكرناه من حذف الحركة الأصلية في ابن وامم ، وحذف الحركة الثانية في نعم وبئس بدل نعم وبئس ويوازي ذلك الكرش بدل الكرش والسرقة بدل السرقة والمعدة بدل المعدة وقد تحذف الحركة الثانية من فعل ضمير قلب الأولى كسرة نحو كبّد بدل كبّدوهو كبّد أيضا ونفس بدل نفس فهي في العربية دائما بالحذف وكذا في العبرية nepes بدل naps غير أنها في الأكديّة على الصورة الأصلية وهي napistu بناء التأنيث وقد تحذف حركة بين حرفين متماثلين أو متشابهين فيدغمان وهذا ما سماه المقرئون الأدغام الكبير ، ويقع أحيانا في وسط كلمة واحدة وأحيانا بين كلمتين مثال الأول من المثلين مكى بدل مكني وتامنا بدل تامنا وهما في القرآن الكريم وإنا بدل إنا ونعما بدل نعم ما . ومن الشبهين يذكر بدل يتذكر وأمثاله في القرآن الكريم كثيرة . وقد يحذف مع الحركة همزة قبلها نحو الله بدل أله والناس بدل الأناس . فأصل حذف الهمزة هاهنا في التعريف ثم نقل إلى التشكيك أيضا فالوا ناس بدل أناس .. والأدغام الكبير بين الكلمتين كثير في قراءة أبي عمرو وغيره مثال ذلك يشفع عنده بدل يشفع عنده

والنوع الآخر من أنواع تغيرات الحروف الصائنة وهو الزيادة فنادر أيضا في العربية منه أن أكثر الأسماء التي وزنها فعل قد تكون على فعل أيضا ، نحو أذن وأذن وهي في الأكديّة uznu وفي العبرية uzen أصلها uzen فرى من ذلك أن أذن بالذال الساكنة هي الأصل وأن أذن المتحركة مقاربة منها . ومن الزيادة زيادة فتحة بعد عين بعض الأسماء التي وزنها فعل أو فعلا

إذا كان أحد الحرفين الأخيرين حاقيا أو صوتيا محضا نحو طاب مصدر طلب فانا نرى الماضى بالفتحة والمضارع بالضممة فكان ينبغى أن يكون المصدر على وزن فعل لا فعل .. ومن الزيادة زيادة حركة بعد حرفين ساكنين فى آخر الكلمة نحو يمر أو يمد فى المضارع المجزوم من الأفعال المضاعفة وزيادة حركة بعد حرف ساكن فى آخر الكلمة إذا تبعته همزة الوصل نحو عن البيت وزيد الطويل ومئات القاعدان مطردتان وسائر أنواع زيادة الحركة اتفاقية

هذا ما نخصنا من أحوال الحروف الصائتة ونالحق به ملاحظتين لاحتاجان إلى باب على حدته — : أولاها فى الترخيم ، والثانية فى الضغط .. أما الترخيم وهو اختصار الكلمة وحذف أكثر من حركة واحدة منها فقد ذكر النحويون كثيرا منه وخصوصا فى النداء نحو يا حار بدل يا حارث ، فالنداء وما يشاكله من الأمر والسؤال والتحية والقسم والأمر كثيرا ما يختلف عن سائر الكلام بأنه لا ينطق مثله بل ينادى وبصاح به فيتغير تغيرات لا توجد فى سائر الكلام ، منها الترخيم الزائد ، مثاله من السؤال أين بدل أى شئ ، ومن التحية عم صباحا وزعموا أن أصلها إنعم صباحا ، ومن القسم م الله وزعموا أن أصلها أئمن الله وربما كان أصل التاء فى تالله أيضا كلمة رخت فلم يبق منها إلا حرف واحد .. ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف ، وهو حذف أحدهما من متالين أو هما حرفان مثلاً ن أو شيهان نحو تذكرون بدل تتذكرون ، وأمثلة ذلك فى القرآن عديدة ، ويقتلوني بدل يقتلونى وأسطال بدل استطال واسطاع بدل استطاع وبلحارث بدل بنو ابحارث وأيم الله بدل أئمن الله .. ونوع آخر من الترخيم اختصار كلمة سوف قبل المضارع بس والداعى إليه أن سوف كانت اسما معناه النهاية والغاية و saupa

بالأرامية فى هذا المعنى فصارت أداة بعد أن كانت اسما فرخت مع حط درجتها ومثله كثير فى تاريخ اللغات .. هذه هى الملاحظة الأولى أما الثانية فتدور على الضغط والنفمة وهذه مسألة مشكلة صعبة ، فكل لغة لها نفمة خاصة بها وذلك أن مقاطع الكلام تختلف فى ألحانها الموسيقية ، فبها ما هو عال ومنها ما هو واطئ فتندرج بين تلك الغائتين . وأيضاً منها فى أكثر اللغات ما يرتفع فى أثنائه اللاحق

ومنها ما يندرج فانا وإن لم نغن عند النطق المادى للكلمات فكل كلام يمازجه شيء من الغناء وهو كثير في بعض اللغات وقابل في بعضها. مثال الأول الصينية ومثالها أيضا بعض اللهجات الألمانية فيقولون فيها مثلا *nun sag mal, warum bist du denn nicht eher gekommen* أى يا للعجب لماذا ما جئت قبل هذا. فتجد الآن الحان العالية تؤثر على السمع تأثيرا أكثر من الوطيدة، فتقدر اللغة أن تميز بين أجزاء الكلام المهمة وغير هارفع اللحن في الأجزاء المهمة. وبعض اللغات تكتمن بذلك منها الفرنسية فتتابع المقاطع فيها على سوية كأنها تنظم مثل خرزات السبحة. وبعض اللغات تضعف إلى النغمة التي وصفناها الضغط بمعنى أنها تفرق بين المقاطع والكلمات بمقدار القوة التي تنطق بها أيضا. فبعض المقاطع قوى كأنه يصاح به وبعضها ضعيف كأنه يهوى به، وكل كلمة حد مقاطعها أقوى من الباقي فيكون هو المضبوط وصاحب ضغط الكلمة. وكل جملة إحدى كلماتها أقوى من الباقي فتكون هي المضبوطة وصاحبة ضغط الجملة. ومن هذا الضرب من اللغات، اللغة الإنجليزية والألمانية فإذا قابلنا مثلا جملة لم أراه اليوم في اللغات الثلاث المذكورة انضح الفرق فهي في الأنكليزية *I have not seen him to-day* وفي الألمانية *Ich habe ihn heute nicht gesehen* فتجد أقوى المقاطع في الأولى *seen* وفي الثانية *sch* ونسمه بـ *accent aigu* ويتبعه في القوة في الأولى *day* وفي الثانية *hen* ونسمه بـ *accent grave* والجملة في الفرنسية *je ne l'ai pas vu aujourd'hui* فكل مقطع يكاد أن يكون مثل صاحبه فانه وإن ازدادت القوة قليلا إلى آخر الجملة فالفرق في القوة بين المقاطع قليل أقل بكثير منه في اللغات الأخرى، والازدياد يتدرج لاتضاد بين المقاطع مثل ما يوجد في تلك

والآن بعد هذه نوطئة العامة توجه نظرنا إلى اللغة العربية خاصة فتعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدماء لم يذكروا النغمة ولا الضغط أصلا غير أن أهل الأداء والتجويد خاصة رمزوا إلى ما يشبه النغمة ولا يفيدنا ما قالوه شيئا، فلا نص نستند عليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن. وما يتضح من اللغة العربية تقسيمها ومن وزن شعرها أن الضغط

لم يوجد فيها أولم يكد يوجد . وذلك أن اللغات الضاغطة كثيرا فيها حذف الحركات الغير المضغوطة وتقصيرها وتضميفها ومد الحركات المضغوطة وقد رأينا أن كل ذلك نادر في اللغة العربية . وإذا نظرنا إلى اللهجات العربية الدارجة وجدنا فيها كلها فيما أعرف الضغط وهو في بعضها قوى وفي بعضها متوسط غير أنها تتخاف في موضعه من الكلمة في كثير من الحالات ، فمن المعلوم أن المصريين يضغطون في مثل مطبمه المقطع الثاني وغيرهم يضغطون الأول فلو أن الضغط كان قويا في الزمان العتيق لكانت اللهجات على أغلب الاحتمال حافظت على موضعه من الكلمة ولم تنقله من مقطع إلى مقطع آخر . وأما وزن الشعر فبراعى فيه مد المقطع فقط أهو مقصور أم ممدود ؟ خلافا للشعرين الأنكليزي والألماني فإنه لا رعاية فيه ، لمدة المقطع بل للضغط فقط

هذا ما يمكن استخراجه في خصوص الضغط في اللغة العربية وأما النعمة فلا نعلم في خصوصها شيئا أصلا

الباب الثاني

في الأبنية

نقسم هذا الباب الى ثلاثة أقسام .. الأول في الضمائر وما جازها من الأسماء أى أسماء الأشارة والاستفهام . والثاني في الأفعال . والثالث في الأسماء الباقية أما الضمائر فتعدها منفصلة نحو أنا . ومتصلة وهي إما أن تدل على الرفع نحو فعلت وأفعل فالحروف الزوائد في المضارع من الضمائر أيضا . أو تدل على الجر نحو كتابي ، أو على النصب نحو ضربني .. ومن جهة الأصل والاشتقاق فهي ثلاثة أنواع : الأول يحتوي على ضمائر المتكلم والمخاطب والمنفصلة وعلى المتصلة المرفوعة . والثاني عليها مجرورة ومنصوبة . والثالث على ضمائر الغائب .. أما النوع الأول فهذا جدول ما يوجد منه العربية

| المتصل المرفوع في المضارع | المتصل المرفوع في الماضي | المتفصل | |
|---------------------------|--------------------------|------------|---------------------------|
| أ ن | ت نا | أنا نحن | المتكلم المفرد » الجمع |
| هـ وا ن لـ | ت | أنت | المخاطب المفرد المذكر |
| | ت | أنت | » » المؤنث |
| | تم | أنتم | » المجموع المذكر |
| | تن | أتن | » » المؤنث |
| | تأ | أنها | » المتنى |

وقد ذكرنا أن الضائرات المنفصلة للمخاطب مركبة من المتصلة المستعملة في الماضي ومن مقطع أن وهو يحتمل أن يكون من أدوات الإشارة . وضمير المتكلم المفرد مركب من أن an' عندها ومن الضمير المتصل المستعمل في المضارع أي 'an' وذلك أن الحرف الزائد في المضارع هو في المتكلم المجموع وفي المخاطب عين الحرف الموجود في الضمير المتصل من الماضي ، يعني التون في المتكلم المجموع والتاء في المخاطب .. وفي المتكلم المفرد يتخالف الضميران المتصلان أحدهما الهذرة والآخر التاء المضمومة وفي بعض اللغات السامية ترى ضمير المتكلم المفرد المنفصل يجمع بين الضميرين المتصلين . فهو في الأكديّة 'anaku' أصله 'an + ku' وفي العبرية 'anoki' والفرق بينهما الضمة في الأكديّة موافقة للعربية والكسرة في العبرية والضمة هي الأصل والكسرة مأخوذة من الضمير المتصل المجزور أي ' في مثل كتابي .. ونشاهد تخالفا بين الضميرين الأكدي والعبري وبين الضمير العربي هو أن حرف الضمير في هتين اللغتين هو الكاف وفي العربية التاء والكاف هي الأصل وبدلتا على ذلك الاحتجاج الآتي : لو كانت التاء هي الأصل لكنا نضطر أن نفترض أنها قابت كافا في بعض اللغات السامية بغير علة ظاهرة مفهومة وبالعكس إذا كانت الكاف هي الأصل فهنا سبب إبدالها تاء بسهولة وهو أن التاء موجودة في المخاطب فأدخلوها إلى المتكلم أيضا على قياس المخاطب ، وبما يؤكد

ذلك أن الكاف سالمة على حالها في بعض اللغات السامية ، فالأكدية ذكرنا أن الضمير المنفصل فيها *anaku* والمتصل هو *ku* - ، والعبرية وإن كان الضمير المتصل فيها *ni* - فالتفصل *anōki* كما قلنا . والحبشية المتصل فيها *ku* - والاحتجاج المذكور يدل على قاعدة مهمة وهي أن الاختلاف في حياة اللغات أقدم من الاتفاق في أكثر الحالات . مثله ما ذكرناه من أن التخالف في الحروف بين الضمائر المتصلة أي أن المتكلم بالكاف والمخاطب بالناء أقدم من توافقهما أي أن كليهما بالناء .

وأما المتكلم المجموع فتجده مبنيًا على غير صيغة الضمائر المتصلة الباقية تمامًا . وحركة أول نونية كانت في الأصل كسرة لافتحه فتجده في الأكديّة *ninu* أصلها *nihnu* وفي الحبشية *nehna* وإبدال الكسرة بالفتح فيها تشابه الحركة للحرف الخلقى وقد ذكرنا مثله عند التكلم على الحروف الصائتة . والمتكلم المجموع أي نحن يختلف عن مفرد أي أنا اختلافًا تامًا وليس بينهما شيء من العلاقة التي تعودنا أن نجدناها بين الجمع ومفرده ، ولذلك سبب واضح قلنا وإسبب عبرنا عن الصيغتين بالمفرد والمجموع فالنسبة بينهما ليست في الحقيقة نسبة جمع إلى مفرد فالجمع متكون من أفراد متساوية أو متشابهة نحو البيوت التي كل واحد منها بيت ولكن المتكلم المجموع أي نحن ليس بمتكون من أفراد متساوية كل واحد منها متكلم مفرد أي أنا ، ألم تروا أن (نحن) لم تكن عبارة عن (أنا وأنا وأنا) بل عن (أنا وأنت) أو (أنا وأنت وهو) إلى آخره ولهذا السبب اشتق كثير من اللغات ضمير المتكلم المفرد والمجموع من مادتين مختلفتين منها اللغات الهندية والإيرانية والغرية مثله *nos, ego* في اللاتينية و *hemeis, ego* في اليونانية . والمخاطب جمعه مشتق من مفرد بزيادة ميم في المذكر ونون مشددة مفتوحة في المؤنث ، والميم مجزومة على العادة لكنهما كانت في الأصل مضمومة كما قلنا آنفاً . وإذا حارت الميم الانتهاية وسطية بالحق ضميرها عادة مضمومة والضممة ممدودة لأنه في وسط الكلمة لا داعي إلى تقصير الحركة أو حذفها نحو قطعوه وشاهد مثله في المخاطب المؤنث المفرد فقد يكون قتلته وقد يكون قتلته . والممد

هو الأصل والقصر مأخوذ من قتلته بغير الضمير الملحق وفي قتلته وقلته غلب القصر على المد تماما . وأما حركة التاء في المخاطب المجموع فهي ضمة في المذكر منه والمؤنث وكانت في الأصل كسرة في المؤنث كما هي في الأكديّة والأرامية فالذكر في الأكديّة *attunu* والمؤنث *attina* والمذكر في الأرامية *attun* والمؤنث *atten* فكان ههنا أيضا الاختلاف أقدم من الاتفاق والكسرة في *attinna* هي عين الكسرة في أنت مفرد أتن وفي المضارع والأمر نحو تفعلين وتفعلي واقعلي . فبقي المخاطب المثنى وهو مشتق من المجموع بالحاق فتحة ممدودة وهي علامة التثنية فيها . ولأن المخاطب المثنى مشتق من المجموع وضعناه بعده في الجدول ويتضح من ذلك أنه حديث بالنسبة إلى سائر الضمائر ولا يوجد في إحدى اللغات السامية غير العربية فاختارته هي . والعرب كانوا يستحبون التثنية أكثر من سائر الساميين ويستعملونها استعمالا أوسع منهم

ولنوجه نظرنا الآن إلى النوع الثاني من الضمائر وهي المتصلة المجزورة والمنصوبة ولا فرق بين القسمين إلا في التكلم المفرد فالجرفيه ز أو ن والنصب n نادرا نى . فهي :

| | تكلم | | مخاطب | | | |
|--|------|-----|-------|------|-------|------|
| | | | مفرد | | مجموع | |
| | جر | نصب | مذكر | مؤنث | مذكر | مؤنث |
| | | | | | | |
| | ى | ز | ك | ك | كم | كن |
| | نى | ننى | ك | ك | كم | كن |
| | نا | نا | ك | ك | كم | كن |

فأدناها غير مادة النوع الأول إلا في التكلم المجموع ، وعلامات الجمع والتثنية في هذه مثلها في تلك

وضمائر الغائب التي هو النوع الثالث من الضمائر موضعها الحقيقي بين الضمائر وبين أسماء الأشارة ، تشارك الضمائر في الأقسام إلى منفصلة ومتصلة ، مرفوعة ومجزورة ومنصوبة ، وتشارك أسماء الأشارة في أنه يكفي بها عن الأسماء .

أمثال ذلك أنى إذا سئلت أين زيد ؟ أمكنني أن أجيب هو في البيت بدل زيد في البيت فأكني بالضمير عن الأسم . والكناية قريبة من الإشارة ومشتقة منها وما يدل على ذلك أن الـ العربية المطابقة لـ العربية معانها ذلك في كثير من الحالات . وضمائر التكلم والمخاطب تفيد معاني خاصة بها مستقلة لا يكفى بها عن شيء آخر من الأسماء كما قلناه القدماء . قال الكلام من طبيعته وجوهره أنه كلام متكلم فـ (أنا) المتكلم أصل كل كلام ومنبعه وأقدم منه . والمتكلم لا يكلم نفسه في الأصل بل مخاطباً فـ (أنت) المخاطب أصل ثان ومنبع للكلام أقدم منه أيضاً . فإذا سئلت أين أنت ؟ وأجبت ، أنا في البيت لم يكن السائل بـ (أنت) من اسمي ، ولا كنت أنا بـ (أنا) عن اسمي أيضاً . فلو سأل أين عمرو ؟ وتقرض أن اسمي عمرو لكان المخاطب ليس بإي بل غيري وأنا الغائب . ولو أجبت عمرو في البيت لكنت لا أنكلم عن نفسي بل عن غيري اسمه عمرو أيضاً . فالحلحلة أن ضمائر الغائب نوع بنفسه بين الضمائر وبين أسماء الإشارة . وهذا جدول ضمائر الغائب في العربية

| | المفرد | | الجموع | | الثنى | |
|---------------------------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|
| | المذكر | المؤنث | المذكر | المؤنث | المذكر | المؤنث |
| المتفصل | هو | هي | هم | هن | هما | هما |
| المتصل بالجرور والمذوب | هـ | هـ | هم | هن | هما | هما |
| المتصل المرفوع في المضارع | يـ | تـ | يـ | يـ | يـ | تـ |

فإذا قارنا هذا الجدول بالجدولين السابقين عثرنا على فرقين بين بنية ضمائر التكلم والمخاطب وبين بنية ضمائر الغائب . أولهما أن المتفصلة من هذا ليست بمركبة من المتصلة ومقطع أن . والثاني أنه لا يوجد في الغائب ضمائر متصلة مرفوعة خاصة بالماضي . فإن قال قائل ، فإذا ماذا تكون الفتحة في فعل والتاء في فعلت وفعلتا ، والفتحة الممدودة فيها وفي فعلا ، والضممة الممدودة في فعلوا ، والثون في فعلن ؟ قلنا له أما الفتحة الأتمائية في فعل فأصلها مجهول ومنها غامض ومع

ذلك يتضح كل الاتضاح أن لا علاقة بينها وبين هو أو به . وأما سائر الحروف المذكورة فبعضها علامة للمؤنث وبعضها علامة للتانيث وبعضها علامة للجمع وليس فيها ضمير . وذلك أن التاء في فعات وفعلنا هي عين تاء التانيث المستعملة في الأسماء وليس بينهما فرق إلا أنه في الأسماء يلحق بالتاء الأعراب والتووين (فاعلة) ويوقف عليها بإلهاء . والفتحة الممدودة في فعلا وفعلنا هي علامة للتانيث المعروفة وهي مستعملة في المضارع والأمر أيضا نحو لم يفعلوا ولا تفعلوا ، وفي الرفع تلحق بها النون المكسورة نحو تفعلان مثل ماتا لحق بثنية الاسم غير المضاف نحو فاعلان . والضمة الممدودة في فعلوا هي عين علامة للجمع الصحيح في مثل ضاربو زيد . وتوجد في المضارع وفي الأمر أيضا ، وفي المضارع المرفوع يضاف إليها النون فصارت يفعلون طبقا لـ ضاربون . فبقيت النون في فعلان وفعلان أيضا في الأمر نحو افعلن وفي المضارع نحو يفعلان وتفعلن ، فيشارك فيها المخاطب والغائب فلا يحتمل أن تكون ضميرا بل لا بد من كونها علامة للمؤنث المجموع . وإذا اطلعنا على الحرفين الزائدين الخاصين بالغائب في المضارع لاحظنا أحدهما وهو التاء لاعلاقة له مع سائر ضمائر الغائب وربما كانت التاء علامة للتانيث . وأما الباء فيمكن أن تكون ضميرا في الحقيقة . وأما المتصلة والمتصلة المجرورة أو المنهوبة من ضمائر الغائب فكلها يبدأ بإلهاء وهذه الحالة أيضا من الاتفاق الحديث الذي قلم مقام اختلاف قديم نشاهد آثاره في بعض اللغات السامية وخصوصا في المهرية فضمائر الغائب فيها he هو ، si هي ، hem هم ، sen هن فحرف المذكر هو الهاء كما هي في العربية وحرف المؤنث هو السين المقابلة للسين في اللغات السامية الشمالية . ولم يحافظ على السين لغة من اللغات السامية الشمالية إلا الأكديّة ، وهذه أشاعتها وتقاتها إلى المذكر أيضا بدل الهاء فصارت الضمائر فيها su^v هو ، si^v هي ، $sunu^v$ هم ، $sina^v$ هن . والمفرد من ضمائر الغائب هو في العربية وفي أقدم المستندات الآرامية أي hu و hi غير أن آخره في الأملاء الف تدل على همزة قد سقطت فتنتج من ذلك أن الأصل كان hi و hi^v أو بالأحرى si^v وأن الهمزة حذفت في العربية وأبدلت واوا في المذكورين

فى المؤنث ، ولا شك فى أن ذلك الأبدال كان فى زمن قديم جدا أقدم من زمان سائر تنقيحات الهمز فى اللهجات العربية بكثير فانا لا نجد لاهز أثرا فى العربية أصلا . فينبغى أن يكون قد سبب هذا الحذف سبب خاص بهذين الضميرين ولا نعرفه معرفة يقينية .. والحالة فى جمع ضمير الغائب وتنقيته هى عن حالتيهما فى ضمير المخاطب وهذا يدل على أن ضمير الغائب وإن كان أصله ووظيفته غير أصل ضمير المتكلم والمخاطب ووظيفتهما فقد خلق بهما فى نفس اللغة السامية الأم والآن بعد أن حللنا الضمائر توجه نظرنا الى أسماء الأشارة وهى حسب ماقلناه قريبة من ضمير الغائب ، فنجد عددها كثيرا فى كتب الصرف والنحو غير أن أكثرها نادر الوجود لا تكاد أن توجد فى النثر البتة ، ومن المرجح أن اللهجات العربية القديمة كانت تخالف تخالفا يندنا فى أسماء الأشارة على مثل ما ترى عليه اللهجات الأرامية أو اللهجات العربية الدارجة من التخالف الكثير فى أسماء الأشارة فجمع النحويون كل ما وجد منها فى سائر اللهجات على اختلافها وأودعوه كتبهم بغير تفریق بين لهجاتها ونحن نقتصر هنا على المؤلف الكثير الوجود من أسماء الأشارة ونضيف إليها الاسم الموصول فانه فى الأصل من أسماء الأشارة أيضا واسم ذو معنى صاحب فانه قريب من أسماء الأشارة فهذا جدولها

| المفرد | المذكر | هذا | ذلك | ذو | ذی | ذا | الذى |
|---------|--------|-------|-------|-------|------|------|--------|
| » | المؤنث | هذه | تلك | ذات | | | التي |
| المجموع | المذكر | هؤلاء | أولئك | أولو | أولى | ذوو | الذين |
| » | المؤنث | | | أولات | | ذوات | اللاتى |

فنشاهد فى هذا الجدول اضطرابا واختلافا زائدا وكنا فهمنا أن ذلك يدل على قدم أشكال الكلمات وعدم تشابهها بعضا ببعض والذى هو أقرب الى القياس هو ذو فتراها تعرب مثل الأب وتؤنث على وزن اللات والشاء وستكلم عنهما فيما بعد ، ولها جمع صحيح غير أن لها جميعا ثانيا مخالفا للقياس .. وأما تنقيتها فتراها

من الجدول مع غيرها من التنبئات لأن كلها حديث وأكثرها قياس وبقاؤها نادر.
وأما مادة ذرو وأولو فهي عين مادة القسم الثاني من هذا وهؤلاء .. ويوجد بين
أشكال اسم الموصول أيضا ما هو على قياس سائر الأسماء وهو الجمع فتري المذكر
والمؤنث منه يتخالفان كما هي الحالة في الأسماء ولا فرق بينهما في هؤلاء وأولئك
وأخذت علامة الجمع المذكور من الجمع الصحيح غير أنها *ina* دائما لا يعز بين
للفروع منها والمنصوب والمجرور وسبب ذلك التشابه المفرد الذي
هو مبني على الكسرة المحدودة . واللاتي اشتقت من التي بعد الحركة على قياس
مدها في الجمع المؤنث الصحيح

أما سائر الصيغ التي لم تبني على قياس الأسماء فإن (هذا) يقابلها بالعبيرية
hazze وكلاهما مركب من الهاء والذال غير أن *ha* في العبرية آلة التعريف وتلحق
باسم الإشارة إذا كان تأكيذا لاسم آخر نحو *ha is hazze* أي هذا الرجل وإن
لم يكن تأكيذا سقطت نحو *ze ha is* أي هذا هو الرجل فيتفارقان هذا و *hazze*
في المعنى والوظيفة وإن تفاربا في البنية مع أن بينهما فرقا لبنية أيضا هو أن *ze*
العبرية ربما كان أصلها *ze* فلا تقابل ذا العبرية مقابلة تامة .. و (ذى) توجد
في العبرية أيضا وهي أصل ذه في هذه فهي في العبرية مذكورة وفي العربية مؤنثة
فتري الفروق واقعة بين العربية والعبرية في هذا الباب مع كون العربية فيه أقرب
إلى العربية من سائر اللغات السامية فبدلتا ذلك على أن أسماء الإشارة وإثبات
كانت عناصرها قديمة سامية الأصل فحدد معناها وافترق بعضها ببعض في زمان
أحدث من زمان تكونها في كل لغة على حدتها .. وأما جمع هذا وهو هؤلاء
فيقابل في العبرية *ha'elle* والنسبة بينهما شبيهة بالنسبة بين هذا و *hazze* . فاللام
في العربية والعبرية جمع الذال في أسماء الإشارة ، وفي غيرها من اللغات السامية
أيضا كالأرامية والحبشية ف (هذا) في الأرامية العتيقة *du* وفي الحبشية *ze*
والجمع في تلك *elle* ونى هذه *ellu* فيحتمل أن يكون جمع الذال على السلام
سامي الأصل .. وأما ذلك فركبة من ذا المذكورة ولام غير لام الجمع المشار
إليها فيما قبل قريبة من اللام المؤكدة فهي مثل لأنعان ، وإها لكيرة ، وضم

إلى الذال واللام حرف ثالث هو الكاف ومنها الإشارة إلى ماهو لا يماز
ونجدها مؤدية لعين هذا المعنى في الأرامية العتيقة نحو dek أى ذاك ، والكاف
بشاهدتها في (تلك) و (اولائك) أيضا واللام لانجدها إلا في تلك وهي
ساكنة هنا بخلافها في ذلك والأصل هو tilika فحذفت الكسرة الثانية تخفيفا
وتخالفا لتجاور حرفين متاينين في tilika ثم قصرت الكسرة المدودة لأن بعدها
حرفا ساكنا و z هذه أبدلت من ذي قياسا على تاء النأيت وقد توجد التاء في
أسماء الإشارة الخاصة بسائر اللغات السامية أيضا . واللام التي وجدناها في ذلك
وتلك ناقصة في جذعها وهو اولائك وربما حذفت لاختلاف لونها قالوا ilika ' ila
لتجاور حرفان متان .. والضممة في أولائك وفي أولو بقصورة مثلها في هؤلاء
ولملاؤها بالواو مأخوذ من رسم القرآن الكريم وهو من الغرائب الكثيرة
في رسم القرآن

وبقى الآن اسم الموصول فأول عناصره لام التعريف ، وثانيها التأكيد،
وثالثها ذى وهي هنا مذكرة كما هي في ze العبرية على ما قلناه قبل بخلافها في هذه.
ومؤثما z المذكورة آنفا . والذي يعاينها في العبرية hallaze حرفا بحرف غير
أن ha هي أداة التعريف في العبرية كما ذكرنا ومعنى hallaze هو هذا لا الذي ..
وبعض العناصر الأشارية يستخدم في غير أسماء الإشارة أيضا منها الهاء في
ههنا والكاف في هناك . وربما كان منها الذال في إذ وماشا كما افاظا هرفي العربية
أنه كان يوجد اسم بمعنى الوقت هو اذ نشاهد جره في مثل حينئذ ونصبه في اذا
وإذا . غير أن الأرجح هو أن أصابها كلها أداة إشارية صارت اسماء فيها بعد ..
ومن العناصر الأشارية الألف واللام للتعريف وثما يدل على أنها في الأصل لم
تكن للتعريف فقط بل كانت أداة للإشارة أنها حافظت على معنى الإشارة في
بعض الحالات نحو اليوم أى في هذا اليوم ، والليلة أى في هذه الليلة .. ونلاحظ
بالإشارة الاستفهام قد قول إن (من) و (ما) أصلهما واحد يعني (ما) والحقت بها التون
وهي من العناصر الأشارية أيضا وإن لم توجد في العربية بين أسماء الإشارة ،
فتدل (ما) على الأشخاص إذا وقعت مع هذا الحرف اللاحق وعلى الأشياء إذا

وتجت بدونه .. وبعض اللغات السامية يستعمل *ni* و *ni* أيضا كما أن أكثرها يستعمل ذا وذى ولا أثر لـ *ni* في اللغة العربية الفصحى .. ومن أسماء الاستفهام (اى) وهى مضافة دائما في العربية مع أنها وصف في بعض اللغات السامية الأخرى مثال ذلك من السريانية *aina hel* أى أية قوة ومن الحبشية *ai-nu hezh* أى أى قوم . فبدلنا تداخل *na* وهى من أدوات الإشارة أو *ni* وهى من أدوات الاستفهام بين الكلمتين على أن التركيب وصفى لإضافى

إلى هنا تم القسم الأول من هذا الباب . ونبدأ بالثانى في الأفعال فتقول . إن اللغة العربية وإن قاربت اللغة السامية الأم في أكثر حروفها وضمائرها وهى في بناء أفعالها وبعض أسمائها أبعد عن الأصل من اللغتين الأكديّة والعبريّة وقريبة من اللغة الحبشية والأرامية . فالعربية مع الحبشية والأرامية أصل - لغات الأبنية القديمة ومعانيها من بين سائر اللغات السامية .. وأما الأكديّة والعبريّة فتختلفان اختلافا ظاهرا بينا فالأكديّة وحيدة بين أخواتها في بعض الحالات والعبريّة ترافق فيها سائر اللغات السامية العربية .. فهذا هو تقسيم اللغات السامية من جهة نظام أبنية الفعل — فاللغة العبريّة متوسطة بين الأكديّة وسائر اللغات السامية . أما الأكديّة فلها خاصتان تمتاز بهما : أولاها أنه لا يوجد فيها ماض متعد على وزن فعل وفعل إلى آخره .. قلت ماض متعد وكان الأخرى أن أقول ماض يدل على عمل وقيل اختيارى بخلاف التأثر والالتطباع . وقد ذكرنا فيما سبق أن بعض الأفعال المتعدية نحو سمع ليست من هذا القبيل . وبالعكس نجد أفعالا لازمة تدل على عمل اختيارى نحو مشى وفكر .. والخاصة الثانية الأكديّة هى أن فيها صيغتين للمضارع : أحدهما مثل المضارع العربى والأخرى تختلف عن تلك بإدخال فتحة بعد فاء الفعل والأولى تدل على الماضى والثانية على الحاضر والمستقبل مثال ذلك *ipbir* أى قبر ، *iqabir* أى يقبر

ومن الغريب أن شبه هذا المضارع الثانى *iqabir* (يوجد في الحبشية واللغات العربية النجانية نحو *ieqaber* ، *ieqaber* في الحبشية ، *ifoteh iflah* في المهرية غير أن معناه في هذه اللغات غير معناه في الأكديّة وذلك أن *ieqber* مثلا معناه

النصب والجزم أى يقبر و *ieqalver* معناها الرفع أى يقبر .. والمستشرقون مختلفوا
الآراء فى سبب هذا التقارب الغريب بين الأكديّة واللغات المذكورة .. وأما فعل
وفعل اللازمان إذ لم تدل على عمل اختياري فيقابلهما فى الأكديّة صيغة معنهما البقاء
على حالة واحدة نحو *marṣat* أصلها *marīṣat* أى مرخت وأحيانا تقابل هذه الصيغة
صيغة المفعول الماضى أيضا نحو *katim* أى كتم . وقد حافظت العبرية على استعمال المضارع
بمعنى الماضى محافظة واسعة نحو *uṣi iqbōr* أى فخر وأكثر ما يكون ذلك بمد واو
العتاف والعربية فقدته إلا بمد لم وإن وأخواتها نحو لم يفعل وإن يفعل أى ما فعل
وإن فعل ، فالمضارع مجزوم فى هذه الحالات كما هو فى العبرية إذا دل على الماضى
مثال ذلك أن (لم يقم) يقابلها فى العبرية *uṣi iqbōm* أى فقام مع أن (يقوم)
يقابلها *iqbōm* صيغة ومعنى ومن الضمة فيها بخلاف قصرها فى تلك يدل على أن
الميم كانت محرّكة فى الأصل مثلها فى العبرية . *iqbōm* معناها ليس يقوم بالرفع فقط
بل يقوم أيضا بالنصب فيظهر أن العربيه ميزت بين هتين الصيغتين وكانت فى
الأصل واحدة

تخلاصة قولنا إن العربية ابتدعت حاضيا متعديا دالا على عمل اختياري على
صيغة فعل متفقة فى ذلك مع سائر اللغات السامية العربية وأنها ابتدعت مضارعا
منصوبا علاوة على المجزوم والمرفوع مختصة بذلك وحدها دون سائر أخواتها ..
وأما الحاق النون المؤكدة بالمضارع والأمر فتجد مثلا فى الأكديّة والعبرية أيضا
وهو نادر فى الآرامية فيمكننا أن نعزو ذلك إلى اللغة السامية الأم وإن تخالفت
اللغات المذكورة تخالفا يسيرا فى معنى النون المؤكدة وكيفية الحاقها . فالأكديّة
تستخدم الميم لا النون وكانت الميم فى الأصل تقتصر على الأفعال المؤدية لمعنى
الحركة فتدل الميم فيها على انتهاء الحركة إلى غاية نحو *uṣabil* أى بحث و *uṣabilam*
أى بحث فوصل المبعوث به إلى الموضع المبعوث به إليه . وفى العبرية لا تلاحق النون
إلا قبل الضمائر المتصلة المنصوبة نحو *ebnenna* أصلها *ebnenha* أى أبنيها ..
فالخصائص المذكورة تميز العربية عن سائر اللغات السامية ويمارز بعضها تباينا سائرها
تخصيص معانى أبنية الفعل وتنويعا وذلك بواسطة : إحداهما اقترانها باللامبات

نحو قد فعل وقد يفعل وسيفعل وفي السبب لا أفعل بخلاف ما فعل ولن يفعل
 بخلاف لا يفعل وما يفعل . والأخرى تقديم فعل كان على اختلاف صيغة نحو كان
 قد فعل وكان يفعل وسيكون قد فعل الى آخر ذلك ، فشكل هذا ينوع معاني
 الفعل تنوعا أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة كانت من سائر اللغات السامية قريبا
 من غني الفعل اليوناني والفريزي أو بالأحرى أغني منهما في بعض الأشياء ، وهذا
 من أكبر الأدلة على مسجبة اللغة العربية وطبيعتها فهي أبدا تؤثر الممين المحدود
 على المبهم المطلق وتعمل الى التفريق والتخصيص .. فاللغة العربية أكل اللغات
 السامية وأعيا في هذا الباب أي باب معاني الفعل الوقتية وتيرها وهي مع ذلك
 أحدثها انكشفت انكشافا زائدا على ما في غيرها وابتعدت عن الأصل ابتعا دأ أكثر
 منها . وللغة السريانية أقرب الشكل الى العربية في بعض ما ذكرناه فهي أيضا قد
 أقدم قبل الفعل صيغا من صيغ كان أو تؤخرها بعدد وكان في السريانية *hān* وكثير
 ما حذفت الهاء وصارت *ua* مثال ذلك *klab-ua* أي كان كتب غير أنه ليس في السريانية
 فرق ثابت بينهما وبين *klab* بغير *ua* فهي *klab-ua* عين معنى *klab* أي كتب
 في كثير من الأحوال وهذا يظهر طبيعة السريانية بخلاف العربية فهي ولدت
 حازت كثيرا من وسائل التنويع والتخصيص فلا تستفيد منها بل تعمل الفروق
 وتبقى مبهمة المعاني مسهبة الألفاظ .. ونستثني من ذلك أن السريانية استخدمت
 اسمي المفاعل والمفعول لتأدية بعض المعاني الوقتية ، والعربية لا تسأيرها في ذلك
 فانه وإن أمكننا أن نقول أتا كاتب لتأدية معنى الزمان الحاضر فهي أقل استعمالا
 وإيضاحا من *katebna* في السريانية . وأما اسم المفعول فلا يستعمل في العربية أصلا
 كالاستعمال في السريانية في مثل *smi-lan* أي مسنوع لنا بمعنى قد صنعناه ، غير
 أن العربية لا تحتاج الى هذه الوسيلة لأنه يمكنها تأدية المعنى بغير اشتباه بضم قد
 الى الماضي

وأما أبذية الفعل من تفعل ومفاعلة الى آخره فنراها في بعض
 اللغات السامية وبالأخص في الأكديّة كثيرة التركيب تلاماتها من تشديد العين
 وتاء التفعّل ونون الأفعال وغيرها مع بعضها تركبا لا حد له مثال ذلك في الأكديّة

| العلامات الموجودة فيها | الكلمة | المعنى |
|------------------------|--------------------------|---------|
| n t t | 'ittaskan ^v | عمل |
| t t n | 'istanatti ^v | شرب |
| n t t n | 'atanabriq ^v | برق |
| t t t | 'uptathuru ^v | اجتمعوا |
| t s تشديد | 'uscrappis ^v | عرض |
| t t s تشديد | 'ustabarri ^v | أشبع |
| t t t s | 'ustalamhir ^v | قبلت |

وينبغي على الظن أن اللغة السامية الأم كانت على مثل هذا والعربية استغنت
عن هذا الفضول وأكتفت بالقليل منه وهذا جدول

| أولى | تأني | | |
|------|--------|------|-------|
| افعل | افعل | فعل | مشد |
| | تفعّل | فعل | ممدود |
| | تفاعّل | فاعل | رباعي |
| | استفعل | أفعل | |

ففعّل على ثلاثة أعزب : بفتح العين وكسرهما وضعا ومضارع الضرب
الأول بالكسرة أو الضمة والثاني بالفتحة والثالث بالضمّة . وهذا كله موافق
للأصل غير أن مضارع فعل هو بالفتحة في اللغة العبرية نحو qaton qaton أي
صغر يصغر ولا تعرف أيهما الأصل آالكسرة أو الضمة . . والافتعال تأوّه في
العربية دائما تالية لفاء الفعل وكانت في الأصل سابقة لها كما هي في الآرامية
نحو qetqri أي اقترأ يعني قرأ . لكنها كانت تؤخر بعد فاء الفعل إذا كانت هي
واحدا من حروف الصغير نحو 'estma أي استمع يعني سمع وعلى هذا القياس
أخرت العرب التأني في سائر الأفعال أيضا . . والممدود أي فاعل خاص بالعربية
والجاشية وهو مشتق من المشدد أي فعل بتعويض مد الحركة عن مد الحرف

بعدها أى تشديده وهذا الموضع كثير فى الأكدية والعبرية وقد يوجد فى غيرها أيضا . وخصصت العربية لهذه الصيغة الجديدة معنى معيناً يفارق ما فى سائر اللغات سامية يذلة لا نستطيع إحدى اللغات السامية أن تؤديه بصيغة بسيطة . . . والرابع يختلف الغير المزيده عن النائي بأن الحرف الأول من أفعال همزة وقي استعمل سين والحال مثل هذه فى الحبشية أيضا نحو *aqala* و *astaqala* . فنرى بعض اللغات السامية تستعمل الهمز فى الأفعال الرباعية ، وافقة العربية ومنها السريانية نحو *aslem* أى أسلم يعنى سلم ، وبعضها يستعمل الهاء كالعبرية نحو *hiqrīb* أى أقرب يعنى أضحي أضحية ، وبعضها يستعمل الشين كالأكدية نحو *usakil* أى أكل يعنى كل وأتم . . والشين يقابلها فى العربية والحبشية السين ففهم أن اللغتين الساميتين ، الجنوبيتين لم نشأنا صيغة الرباعي النائية من أصل الرباعي عندهم بل من أصل نمره زال عندهما من الاستعمال وفقد . . ويوجد فى العربية غير الأبنية المذكورة وأكثرها وقوعاً هو أفعال نحو أخضر وقد نمد الفتحة فتصير اخضار ، وهذا البناء وإن يوجد نظيره فى بعض اللغات السامية الأخرى فقد حصرت لغة العربية استعماله معتمدة فى ذلك على صيغة أوصاف اللون والميب وهى أفعال نحو أبيض وأعرج

ومن أبنية الفعل ما يبتدىء ماضيه وأمره بمصدره همزة الوصل وبعدها حرف ساكن وهى : افعال واستعمل وانفعل وافتعل ونظائرها . فالعربية فى ذلك متوسطة بين الحبشية وبين سائر اللغات السامية فإنا نرى أن الحبشية لا يوجد فيها حرف ساكن ابتداء إلا فى الاستعمال نحو *astarāia* أى استراى يعنى أرى أو ظهر وافتعل يقابلها فيها مثلاً *lanaldn* أى اتلد يعنى ولد . واللغات السامية الشمالية على ضد ذلك فيما يلى التفعّل فيها الاقتماع فى وجود الساكن فيها ابتداء مثلاً *hilqaddas* بالعبرية والهاء تنوب عن همزة الوصل و *etqaddas* فى الآرامية أى مقدس

| اللغات السامية الشمالية | العربية | الحبشية |
|---|----------------------------|-----------------------|
| hilaqaddas ^v elqaddas ^v | (tafa ^{cc} ala) | (taqallala) |
| elqri | ift ^c ala | (laualda) |
| — | istaf ^c ala | astar ^a ia |

هذا ما يخصنا من بناء الأفعال على العموم . وأما الأفعال المعتلة فتسكت العربية فيها بالصيغ القديمة السامية الأصل في أكثر الحالات . وما انفردت فيه عنها أن بعض الأفعال التي فاؤها هـ ، ز تحذف الهمز في الأمر نحو كل وخذ ومر وهي في العبرية مثلا ^{dekol} و ^{denar} و ^{dehaz} ومنه أن بعض الأفعال التي فاؤها واو أو أصبح ماضيا ومضارعها كلاهما بالكسرة على خلاف العادة نحو ورث يرث وهي في العبرية ^{i iras iares} وفي الآرامية ^{nerat irat} فكانت من الأفعال الواوية السالمة كوجل يوجل ثم حذفوا واوها في المضارع والأمر على قياس يجد وأخواتها . وبما خالفت فيه العربية اللغة السامية الأم أن الأفعال الجوفاء شبيهت بحركة ماضيا بحركة مضارعها في مثل قت على قياس يقوم وسرت على قياس يسير ، والحركة في العبرية والآرامية هي الفتحة دائما كما هي في الغائب أي قام وسار مثال ذلك في العبرية مضارعها ^{qanila} ^{santa} ^{iaqum} مضارعها ^{iasim} ويوجد نوع ثالث في العربية خاف يخاف حقت وحركة فاؤها بالكسرة لأن وزنها فعل .. ومن الشاذ في الأفعال الناقصة صيغة المثنى المؤنث في الماضي نحو رمت أصاها ^{ramziata} على وزن فعلتنا فكان يلزم أن تكون ^{ramza} بإحاد الفعنتين إلى فتحة واحدة ممدودة غير أنها قصرت على قياس رمت وتقصيرها فيها واجب للحرف الساكن بعدها إلى هنا تم القسم الثاني من هذا الباب ويليه القسم الثالث في الأسماء إن أقدم الأسماء صيغة هي الأسماء الثنائية ، والعربية قد حافظت على بنائها الأصلي في كثير منها غير أنها اشتقت من بعضها صيغا جديدة بزيادة أحد حرفي العلة أو بزيادة همز أو هاء مثال ذلك في الجمع الصحيح أخوات وفي جمع التكسير آباء ومياء وفي الأسماء المشتقة أبوة وبني ، وفي الأفعال المشتقة سعى وفأوه .. ومن الأسماء الثنائية ما آخره حركة ممدودة وهي بعض أسماء القرابة نحو أبو

وأخو زجر ویشا كلها اسم محتوي على حرف واحد فقط هو فو والحرف له الممدودة
سائلة في المضاف نحو أبو زيد وأبونا وقد قصرت مع التنوين نحو أب وفم وقد
ذكرنا أصلها قيا سبق وحذفت مع ضمير المتكلم المفرد نحو أبي ، وكانت الفتحة
السابقة لتاء التأنيث ممدودة أيضا في هذه الأسماء ، ومن ذلك في العربية حماة
يقابلها في العبرية hamot وفي الآرامية hamata وفي الأكديّة hametu ومنه في
العبرية aliel أي الأخت وهي في الآرامية hāla وفي الأكديّة hahatu غير
أنها صارت في العربية أخت على قياس بنت فـ (ابن) وأصله bin كما ذكرنا
أننا ليس من هذا القبيل ولم تكن في آخره حركة ممدودة أبدا فلما منع الحلق
تاء التأنيث غير فتحة على الطريقة المتبعة كثيرا في بعض اللغات السامية فـ (بنت)
هي الأصل و (ابنة) استحدثت في العربية على قياس ابن وجمع ابن (بنون)
بالفتحة بدل الكسرة وهذا الأبدال قديم ساء الأصل فتجدده في العبرية أيضا
فاجمع فيها banim والابن يائيل (اثنان) وأصلها tinani والبنت يعائلا ثنتان
في الأصل أيضا واثنان محدثة على قياس اثنان كما أن ابنة محدثة على قياس ابن
ومن هذا الوزن اسم أصلها simun واست أصلها situn وهي في العبرية sel .
ومما حركته كسرة ولم تحذف مثل ما حذفت في ابن وأمثالها كلا وهي تشبه مثل
tina . ومنه مع تاء التأنيث عضة ورثه ومثله واللات وأصلها al-ilat والفتحة فيها
ممدودة بخلاف ما ذكرناه قبلها ، وذلك على قياس حماة وأمثالها وأما مذكر
اللات الثنائي فلا يوجد في العربية العيصية وهو في الأكديّة ilu وفي العبرية
el وينوب عن ذلك في العربية إله بزيادة الهاء . ومما حركته فتحة مقصورة
يد ويدم ، ومع تاء التأنيث شفة وسنه وأمة . والصفة نادرة نحو حمه وهي في
الأكديّة imtu وفي العبرية hama وفي الآرامية hema كلها بالكسرة . وقد
توجد فتحة ممدودة نحو ماء أصلها mai فهي في الحبشية mai وقصرت الحركة
في العبرية والآرامية فصارت maiim و maiā واتحدت بالأعراب في الأكديّة
فأصبحت mu . ويعائلا في العبرية شاء ولا تعرف صيغتها الأصلية معرفة يقينية
فالواحدة منها شاء وهي في العبرية se وفي الأكديّة su . وقد تكرّر

مادة ثنائية مرتين فيصبح الاسم في ظاهره رباعيا نحو كوكب أصله kabkab والباء الأولى حازت وار في بعض اللغات السامية وأدغمت الكاف الثانية في بعضها نحو kakkabu في الأكديّة ولم تبق سالمة على حالها إلا في المهرية قال كوكب فيها kehkiḇ . ومن هذه الأسماء الرباعية مظهرا قرقر وسلسلة ومنها أيضا إيل أصلها iāliu كما هي في السريانية ويدل على ذلك الأصل جمعها لبال أي iāliu على فعال من الرباعي : فكل الأسماء المذكورة وما شاكلها في سائر اللغات السامية أصلية غير مشتقة من الأفعال كما زعم بعض النحويين واللغويين القدماء والحقيقة على عكس ذلك فالأفعال منها إذا وجدت مشتقة من الأسماء وكثير من الأسماء الثلاثية أصلها أيضا وبالأخص من أسماء الأشياء المادية المنظورة الملموسة منها الحيوانات كالنمر والذئب والأبل والثور والحمار والكلب والخنزير والنسر والذباب ومنها النباتات كالنخيل والنوم والقناء والسكر والحبوب ومنها أعضاء البدن كالرأس والعين والأذن والكتف ومنها غير ذلك كالسما والشمس والأرض والحقل والبئر والبيت والعمود والعرش والقوس والحبلى والأناة والقمح والدبس ومنها اليوم وكل الأسماء المذكورة سامية الأصل موجودة في كل اللغات السامية وما يدلها على أنها وكثيرا من الأسماء غيرها لم يشتق من الأفعال هو ثلاثة ملاحظات —

الأولى — أنه في كثير منها لا يكاد معناها أن يحصل الاشتقاق من فعل أصلا . فمن أي فعل نستطيع أن نشق أسماء كالذئب والقوم والرأس والأرض وهل يجوز أن يكون أي فعل كان من الأفعال أقدم من هذه الأسماء وأمثالها . والملاحظة الثانية أن بعض هذه الأسماء تخالف الأفعال التي يحتمل معناها اشتقاقها منها مخالفة تامة نحو الأذن فإنه يمكننا التصور أن الأذن مشتقة من السمع لكن نراها تتخالفان في كل حروفهما . وكذلك العين والرؤية وهلم جرا . والملاحظة الثالثة أننا لا نجد علاقة بين أوزان هذه الأسماء ومعانيها فأنا نرى الأسماء المتقاربة في المعنى متقاربة في الوزن نحو الثور والحمار أو العين والأذن : ولو اشتقت من أهالة لكان من الواجب أن يكون لكل معنى وزن واحد يبنى عليه

الأسماء أو أوزان قلبية . وقد توجد أسماء دالة على أشياء مادية محسوسة لها معان متقاربة ووزن واحد وأقدم مثال لذلك بعض أسماء أعضاء البدن على وزن فعل منها من الأسماء السامية الأصل الكتف والرحم والكبد والكرش والعدة ومنها أيضا النفس وقد ذكرنا أن أصلها *na fis* كما هي في الأكديّة *napistu* وكانت تعد من أعضاء البدن في الزمان القديم وظاهر الأمر أن توازن هذه الأسماء ناشئ عن أحد سببين أولهما أنها اشتقت من أفعال أو بالأحرى من مواد ثلاثية وبقيت على وزن واحد والآخر أن أحدها كان هو إلا سوة وأن الباقية شبيهت به ومثل ذلك كثير في تاريخ اللغات وقد ذكر قدماء العرب أمثلة له كما أن ابن عيش قال إن الفتححة في يندر استبدلت من الكسرة على قياس يدع والسبيان في الحقيقة سبب واحد . فأن من المرجح أن الوزن الواحد في كثير من الحالات نشأ عن كلمة واحدة معينة بقيت عليها كلمات أخرى معانيها شبيهة بمعنى تلك . ومن الأوزان القديمة جدا لأسماء من أسماء الأشياء المادية المحسوسة فعال وهو رباعي ويستعمل في أسماء الحيوانات منه عكبر وعقرب وأرنب وهي سامية الأصل وربما كانت الباء في الأخيرتين علامة ألحقت للأشارة على معناها . ومن أسماء الأشياء المادية ما هو مشتق من الأفعال اشتقاقا يثا لاشك فيه على أوزان معروفة ظاهرة مثال ذلك أسماء الآلة والمكان نحو مفتاح ومسكن فأنها وإن كانت حديثة بالنسبة إلى ما ذكرناه قبها فهي سامية الأصل أيضا فتجد المفتاح مثلا بالعبرية *mapteal* وفي الأكديّة *nipthi* أصلها *mipthalu* فنرى من ذلك أن وزن أسماء الآلة كان موجودا في اللغة السامية الأم غير أنه لم يكن ثابتا بعد فحركة الميم في بعض اللغات السامية كسرة وفي بعضها فتحة والمسكن يقابله في الأكديّة *maskanu* وفي العبرية *niskar* وفي الآرامية *maskna* ووزن فعال في مفتاح أصله فعال ألحقت بها الميم وفعال أقدم وزن لأسماء الآلة منه سنان وهي في الآرامية *suana* ونطاق وربما قبلها في الحبشية *qonai* بالتقديم والتأخير وأبدال الحرف السيني ومنه الوعاء ويظهر أن منه اللسان وهي في الحبشية *lesan* وفي الأكديّة *lisani* وهي في الآرامية *lesano* بالتشديد الحذف في العبرية *lason* بالفتح بدل الكسر وأكثر الأسماء المبنية

على الأوزان هي أسماء المعاني والصفات فاسكل وزن منها حين من المعنى والخدمة وكل اسم معناه وخدمته داخل في ذلك الحيز يعني على ذلك الوزن مع أن كثيرا من الأوزان تجمع بين معان مختلفة وكثيرا من المعاني يؤدي بها بأوزان متعددة ولذلك سببان أولهما أن يوجد بين أسماء المعاني والصفات ما هو أقدم من الأوزان شبيها بالأسماء الدالة على الأشياء المادية المحسوسة التي عدتها قبل والسبب الثاني أن طرق القياس قد كثرت واشتبهت بعضها ببعض فكانت تخالف اشتقاق الأسماء على الأوزان شيء من الاتفاق والاضطراب ومع كل ذلك فالقياس على الأوزان أقوى بكثير عند أسماء المعاني والصفات منه عند غيرها من الأسماء وذلك لأن أسماء المعاني والصفات قريبة جدا إلى الأفعال والأفعال غلب عليها القياس غلبة تكاد أن تكون كاملة مثال ذلك أن يرى فرح تكون أما فعلا فهي إذا بمعنى على الفتح أي فرح أو صفة فهي إذا متصرفة أي فرح ، وقرب تكون فعلا إذا كانت الكثرة مقصورة أي قرب وإذا مدت أصبحت وصفا أي قريب ومثله كثير في كل اللغات السامية وأكثر منه ما تخالف فيه الفعل والاسم في الوزن وتوافق في المعنى منه كل اسم على وزن فاعل ومفعول إلى آخره وكل انصادر وغير ذلك مما لا يحصى . وأكثر اللغات السامية أمسكت عن اشتقاق الأسماء الجديدة في زمان قديم جدا إلا على القليل من الأوزان كالصادر والأنساب فأصبحت جملة أسائها محدودة لا يزال عليها إلا القليل في المدة الطويلة فاشتقاق الأسماء فيها دبت أو قريب من الدبت واللغة العربية دامت تشتق الأسماء الجديدة الكثيرة على الأوزان المتنوعة وكل شاعر من الشعراء المتقدمين كان يجوز له أن يرتجل الأسماء الجديدة على الأوزان المرووفة فكانت الكلمة تستخدم مرة واحدة في بيت من أشعر ثم تنهى متى نسي ذلك البيت فكانت جملة الأسماء غير محدودة بل قابلة للزيادة والنقصان في كل آن وكان عدد من الأسماء غير ممتدة يوجد في القوة وإن لم يكن موجودا في الفعل والحقيقة ثم أتى اللغويون وجمعوا الكلمات الموحودة في الشعر المروي عند العرب وضبطوا معانيها فظن الناس أن هذه الأسماء المسدودة في القواميس هي اللغة المربية فصاروا لا يجسر على اختراع الأسماء راكنين إلى اللغة مألوفة

في عقولهم وأفئدتهم بل يتعلمون لغة قد كانت ماتت وقبرت في السكتب ولا تعجب في ذلك إذ أن كثيرا منهم لم يكن يعرف اللغة العربية من فم أمه بل أصله أعجمي أو أراسي أو قبلي أو يوناني فتعلم اللغة العربية كلغة أجنبية . فمن الأوزان التي كانت العرب تقترح عليها الكلمات الجديدة فعل وفعال وفعل وفعال لصفات فترى كل الصفات المبينة على هذه الأوزان أو أكثرها نادرة ليست بكلمات مألوقة ثابتة بل تشتق من أفعالها عند الحاجة إليها والاوزان المذكورة ههنا خاصة بها مختلفة ففعال مثلا لا يربو وفعل للذم في أكثر الحالات ونحو ذلك كثير وأظهر علامات العربية في باب أوزان الاسم أربع أولها كثرة أوزان مصدر فعل . والثانية وزنا فعله وفعله ، والثالثة وزن فعيل ، والرابعة وزن أفعل . أما الأولى فترى كل اللغات السامية لها في مصدر فعل صيغة واحدة أو على الأكثر صيغتان وهي فعال في الأكدية والعبرية نحو *qal or caliru* وتوجد في العربية أيضا نحو هــالـك وطواف وضلال ورجاء وقريب منها صيغة فعال نحو نزال أي أنزلوا و *na'ul* في العبرية تستعمل في هذا المعنى أيضا والعبرية مصدر ثانى وهو العادى وصيغته *na'ul* يوازيها فعل في العربية وهي نادر ما توجد بين المصادر العربية نحو ثقل وقبح والسريانية مصدرها على *me'p al* معنى مصدر ميمى وأمثاله في العربية كثيرة غير أنه يوجد دائما مع المصدر الميمى آخر بغير الميم وهو أكثر استعمالا والعربية أوزان كثيرة غير المذكورة خصصت بعضها ببعض صيغ الأفعال ومعانيها مثل فعل في أكثر ما وزنه فعل يفعل وفعل لفعل يفعل وفعل في بعض الأفعال المتعدية على وزن فعل يفعل نحو عام ولبس وفعل في فعل للمساحة نحو كبر وصغر وفعال في الأصوات نحو صراخ ونباح وسؤال وفعل في الحركات ونحوها نحو دخول وخروج وركوب وسكون وقعود إلى غير ذلك مما لا يحصى ويتضح من ذلك أن العربية لما لم تكن تصنع قايمة مثل سائر اللغات السامية كانت تميل إلى كثرة الأشكال والتقن في الصيغ الكثيرة و ترى مثل ذلك في صيغ جمع التكسير فهي متعددة أيضا وبعضها اقترحت العربية مع الحبشية وبعضها اقترحت العربية وحدها واللغات السامية الشمالية لا يوجد فيها إلا القليل منها وأما مصادر سائر أبنية

الفعل فأوزانها قليلة فالحكل واحد من الأبنية واحد أو اثنان وهي ثلاثة أنواع
 الأول بالفتحة الممدودة بين عين الفعل ولامه نحو فعال وافعال وافتعال
 وافتلال واستفعال ولا يوجد في سائر اللغات السامية منها وقد كنا صادقا الفتحة
 الممدودة في فعال اسم فعل والنوع الثاني بالضممة بين الحرفين منه تفعل وتفاعل
 ومثله كثير في الآرامية كـ ^{vv} Kutassudu وفي الحبشية نحو ^{talabheso} أى تلبس
 و ^{lanagero} أى تكلم والـ ^u توافقها هنا الضمة في اللغة العربية والنوع الثالث تفعيل
 وهو أحدا وزان المزيد فيها التاء وتخصص الفعل على أنه ليس له بها علاقة أصلية واسماء
 الفاعل والمفعول بسيطة في العربية ففاعل هي أصلية سامية كـ ^{kasidu} فى الآرامية
^{po el} فى العبرية و ^{pa el} فى الآرامية ومفعول أصلها فاعول زيدت فيها الميم الكثيرة
 الاستعمال في هذه الاسماء وفعل نفسها توجد فى العربية فى معنى المجهول فاعله نحو
 رسول أى المرسل وهى اسم الفاعل فى العبرية نحو ^{qab ur} أى مقبور وينوب عنهم
 فى الآرامية فعل نحو ^{qif} أى مقتول وذلك من تبادل الضمة والكسرة الممدودتين
 والميم فى سائر أسماء الفاعل والمفعول سامية الأصل فى كل اللغات السامية وأما وزن
 فعله وهى اسم المرة وفعله وهى اسم النوع فلا يوجد نظيرهما فى كل اللغات السامية
 ووزن فعيل وهو اسم التصغير نادر فيها وأكثروا وجوده فى الآرامية نحو ^{alaima}
 أى الغلام ووزن أفعل فى معنييه وهما التصغير والاون أو العيب لا يوجد فى أية
 لغة من اللغات السامية حتى الحبشية فهو مرجح فى العربية جديد فأفعل إذا
 كان للتفضيل هو أكثر تخصيصا وتحديدًا من بين سائر أبنية الاسم فاختراع
 العربية له من علامات ميلها الى التخصيص والتعيين وأفعل مع ذلك مما يسهل
 تركيب الجملة والتعبير عن الأفكار المشككة بالتركيبات المشبهة بمثال ذلك « هذا
 أكثر من أن يحصى » و « أنتم أخرج الى هذا منكم الى ذلك » ولا يوجد مثلها
 فى سائر اللغات السامية ويقارب وزن أفعل فى كل واحد من معنييه صيغة من صيغ الفعل
 فافعل للون أو العيب هو أصل أفعل نحو أخضر وأخضر أو أعوج وأعوج

وأفعل للتفضيل هو عين فعل التعجب نحو أكرم وما أكرم زيدا أصل الجملة جملة
أسمية وزيد الاسم فيها ثم شئت (أكرم) بعد ذلك بالفعل الرباعي فتصبوا زيدا
وكأنه مقول الفعل ، وأما أكرم زيد أى ما أكرم زيدا أيضا فلا تعرف
أصلها وما يدل على حداثة وزن أفعل أن حروف العلة تبقى سالمة فيه نحو أبيض
وما أخرجته الى ذلك فلا أن الوزن عتيق لكان الاخرى ان تتدل بعض الاعتلال
وتكون *ahīga* بدل أحوج والأوزان الأربعة المذكورة أخيرا بمعنى فعلة
وفعلة وفعل وأفعل للتفضيل هي حية في العربية كل الحياة فيمكن صوغها من
أى مادة كانت عند الحاجة إلى ذلك ولم يبق وزن من الأوزان حيا على هذا
المثال في واحدة من سائر اللغات غير ان بعض الالتفات كياء النسبة تلحق بكل
الأسماء في كل اللغات السامية ومن أبدية الاسم الفصيحة ما أثرت فيه اللغة
الأرامية كفعال في أسماء الصنائع نحو نجار وطباخ فأقدمها معرب من الأرامية ومنه
التجار وهو في الأرامية *naggara* ثم قيس باقيها على هذا القياس ، وما بين حروفه
حرف علة له خصائص في بناء الأسماء كما هي الحالة في الأفعال منها أن فعيل كثيرا ما
ينوب عنها في المواد الجوفاء فعل نجوميت وبين وهذه هي الصيغة العتيقة ، وطويل وأشباهها
حديثة . ومن المذكور أن الواو فاء الفعل تحذف في المصدر إذا حذفت في المضارع
نحو لدة وكند وهذا الحذف قديم نشاهد في العبرية أيضا فلة في العبرية *lelet*
أصلها *lalet* ببدال الفتحة من الكسرة ودعة دارت فيها الكسرة فتحة للنشابة بينها
وبين الحرف الخلقى بعدها وهبة بقيت فيها الكسرة وتبعت فتحة في هب وناه
التأنيث في الجمع عوض عن الواو الحذوفة وما عوض فيه بقاء التأنيث عن متطوع
ساقط الأفعال والاستعمال من المواد الجوفاء على وزن إفاضة واستفادة والفعيل من
المواد الناقصة على وزن تزية وقد ذكرنا التوضيح عن ساقط بالتأنيث
في مثل جوار

والآن بعد الكلام عن بناء الأسماء تكلم عن صرفها وهو الجمع والتأنيث
الأعراب أما الجمع فشكله مما تنفرد فيه اللغة العربية ولا يشاركها فيه أو في كثير
منه إلا اللغة الحبشية والعربية أكثر أفرادا عن غيرها منها فتجد الجمع الصحيح

وبالأخص المذكور منه قد انحصر حيزه في اللغتين وشغل جزءا واسعا منه جمع
 المكسر الذي لا يوجد في اللغات السامية الشمالية إلا بعض الأصول له وأصل
 جمع التكسير أسماء الجملة وقد ذكرنا في المقدمة أنها هي الأسماء التي تدل على جنس
 متراكب من الأفراد وهي كثيرة في اللغات السامية وغيرها منها القوم والحق أي
 القبيلة والأهل والركب والقطيع من الغنم وغيره والغنم نفسها والضأن والطيور إلى
 غير ذلك ومنها ما ينمى الجمع بمعنى المفرد فهي تشبه الجمع في أنه يعبر عن غير واحد
 من الأفراد وتشبه المفرد في أن القوم مثلا وإن احتوى على عدد كثير من الناس
 فهو فرد يعبر عن غيره ولذلك يمكن جمعه على أقوام وكثيرا ما اشتقوا من مادة اسم
 الجملة اسما دالا على الواحد أيضا نحو ركب واحد بخلاف الركب المحتوي على
 كثيرين منهم وكلاهما وجود في الدورية والركب من *rekeb* والراكب *rokeb* وقد
 تكون مادة الواحد غير مادة الجملة في بعض الأوقات نحو القوم فالواحد منه رجل
 أو امرأة . وإذا تساوى الاسم اسم الجملة واسم المفرد في مادتهما عر عن أحدهما أن
 ينسب أحدهما إلى الآخر فيصير اسم الجملة جمعا حقيقيا دالا على الأفراد الكثيرة
 نحو قرى جمع قرية والدليل على أن قرى اسم جملة في الأصل لا جمع فهو وجودها
 في الآرامية وهي هناك *qari* مع أن معنى *qurīā* في السريانية هو معنى الجمع
 ومفرده *qirā* لمقابلة لقرية وذلك إن قرى وإن كان أصلها اسم جملة فقد صارت
 جمعا في المعنى قبل افتراق اللغات السامية الجنوبية عن الشمالية فقرى من أقدم
 أمثلة الجمع المكسر في اللغة العربية . وتكلمنا حتى الآن عن الالآت التي يشتق فيها
 من مادة واحدة اسم فرد واسم جملة وكلامنا عتيق لا يمكننا تعيين أيهما أقدم
 من صاحبه وهذه الحالة نادرة وعلى العموم فأحدهما أصل والآخر مشتق منه
 فكثيرا ما اشتقوا من اسم الجملة القديم اسم وحدة بالخاف تاء التأنيث نحو شاء وشاة
 ونخل ونخلة ومنه اسم المرة الذي ذكرناه آنف نحو المرة من المار ونجد فرقين بينه
 وبين سائر أسماء الوحدة أولها . أن المصدر ليس باسم جملة واسم المرة ليس باسم
 عين كالتخلة والشاة وغيرها ، والفرق الثاني أن اسم المرة يكاد أن
 يكون دائما على وزن فعلة وإن كان المصدر على غير وزن فعل نحو فعدت فعدة
 والمصدر يعود واسم الوحدة كثير جدا في العربية وقد يوجد في العبرية وإن لم

يفرقوا بينه وبين اسم الجملة تفريق الرب بينهما مثال ذلك من العبرية sir أى غناء واللاتينية الواحدة sirā إلا أنه قد يوجد فى هذا المعنى sir أيضا ويوجد القليل منه فى الآرامية نحو zair أى الزمان و zāra أصاها zānta أى المرة هذا اذا كان اسم الجملة هو الاصل وبالعكس اذا كان اسم الفرد هو الاقدم اشتقوا منه اسم جملة ثم جمعا بتغيير بنائه كما انهم كانوا اشتقوا أبذية الفعل والاسم بعضها من بعض بتغيير الحركات والتشديد والحاق الزوائد وغير ذلك وأقدم مثل ذلك جمع الفعل على فعل ويتشارك فيه اللغات السامية الغربية غير أن العبريين والآراميين ألحقوا بهذا الجمع المكسر علامات الجمع الصحيح وقد يكون ذلك فى العربية والحشية مثال ذلك من العبرية melck أى الملك أصله malk وجمعه im lākim و seper أى الكتاب أصله sipr وجمعه spārim و qodes أى القدس أصله qdś وجمعه qdasim و malka أى الملكة جمعها mlakot و sipha أى الأمة جمعها spahot ومن الآرامية alpa أى ألف جمعها alpe و esba أى العشب جمعها esbe فبصر الحرف الشديد فى مفردها رخوا فى جمعها وذلك لا يكون فى الآرامية إلا بعد حركة فتسندل بذلك على أن أصل alpe هو alpe وأصل esbe هو esbe وإن الفتحة حذفت بمقتضى القوانين الصوتية الخاصة باللغة الآرامية ومن ذلك فى الحشية ab أى الأب جمعها ahan و ezu أى الاذن جمعها ezan وقد يلحق بمثل علامة الجمع الصحيح نحو kallh أى الكلب جمعها kallat و elqat أى الخلق وجمعها helatqat . وأما العبرية فلا يجمع على هذا المثال إلا الماؤنث من فعلة أما فعلة فجمعها على فعل كثير وقد يلحق به الالف والتاء للجمع الصحيح وأما فعلة فلا يكاد يكون جمعها إلا بالحقاق علامة الجمع الصحيح مثال ذلك قطرة قطع وأمة أمم وحافة خلق ومثل ذلك بالفتحة نادر وسدرة سدرات وظلمة ظلمات . وقد تشبه الفتحة بالضمة قبها فتصير ظلمات وطمنة طمنات وجمعت الأرض على هذا الوزن بأرخون لأنها موشة والحقوا بها علامة الجمع المذكور لأنه لا تاء للتأنيث فى مفرداتها وزعم النحويون القدماء أن علامة الجمع فى سدرات وظلمات وطمينات وماشا كلها هي الالف والتاء فقط وأن الفتحة

زائدة وإنما قد رأينا من مقابلة سائر اللغات السامية الغربية أن الأمر على ضد ذلك وأن الفتحة هي المؤدية لمعنى الجمع ثم زيدت فيه الألف والتاء فادخل الفتحة بين الحرفين الأخيرين من وزن فعل وفعله هو ما سماه النحويون تكسيرا وهي عبارة جيدة مصيبة فأنا نرى كثيرا ما يحرك في جمع التكسير حرف ساكن في المفرد أو يمكن تحريك أو تمدد حركة مقصورة أو تقصر ممدودة وكل هذا من تضاد الصيغتين يعبر به عن تضاد المعنيين معنى المفرد والجمع وقد تلاحق في الجمع بآخر الكلمة الواحق أو بأولها الهمز . ويصاحب كل ذلك كثير من إبدال الحركات وقد لا يفرق بين الجمع إلا به نحو نمر نمر وصكير كبار وبالعكس حمار حمير ، وما تمد فيه الحركة مع الإبدال جيل جبال ، ملك ملوك ، ومما تقصر فيه كتاب كتب وخادم خدم وساجد سجد بالتشديد تلاوة على التقصير ، ومن تحريك الساكن حلقة خلق وقطعة قطع وأمه أمم التي ذكرناها قبل ، وكثيرا ما تكون الحركة المدخلة ممدودة نحو بحر بحار ونفس نفوس وعبد عبيد وكوكب كواكب وقد بيل قناديل ومن هذا الباب شاهد شواهد ورسالة رسائل أيضا مع إبدال حرف علة أو همز في موضع الحركة الممدودة ، ومن إلحاق الواحق بآخر الكلمة أخ إخوة وناج نيجان وتيم تيمى . وكثيرا ما يجمع بين علامتين من علامات جمع التكسير أو أكثر من ذلك مثال ذلك الجمع بين المد والتقصير في مثل قائم قيام وواقف وقوف وحامك حكام بالتشديد تلاوة عليهما . ومن الجمع بين المد والإلحاق حجر حجارة ، وبين التقصير والإلحاق كافر كفرة وقاض قضاة وضعيف ضعفة وعالم علماء وفقير فقراء . ومن الجمع بين التحريك والإلحاق رس رسة وجوزب جواربة وتليذ تلامذة ، وتعوض تاء التانيث فيها عن مد الكسرة وسكران سكارى والأسكان برافقه دائما إلحاق الهمزة بأول الكلمة أو إلحاق الواحق بآخرها إلا في مثل راكب ركب والبحر حمر وقد تلحق بآخر ذلك لاحقة نحو أسود سودان ، أما ركب فليست بجمع في الحقيقة بل هي اسم جملة معناه غير معنى الركاب جمع الراكب وأما احمر وحر فتشاهد في المفرد منها الهمزة المدخلة بأول الكلمة وهي ساقطة في الجمع والحالة على العموم ضد هذه فلنا

نرى الجمع كثيرا ما تلحق فيه باول الكلمة الهزقة مع إسكان فاء الفعل نحو شريف أشراف ومطر أمطار وصاحب أصحاب وفيها مد مع الاسكان واللاحاق وذراع أذرع وفيها تقصير علاوة عليهما ولسان السنة وصديق احذقاه فيموض فيهما عن مد الحركة باللاحاق اللاحقين ، ونفس أنفس وحكم احكام بالتحريك مع الاسكان واللاحاق . ومن الجمع بين الاسكان واللاحاق الاواحق بأخر السكامة فتى فتيان ورابع رهبان وغلام غلمان أو غلعة وفتيل تلى . وتاء التانيث إذا وجدت في المفرد لم تؤثر في صيغة الجمع في كثير من الحالات نحو روضة رياض كئوب ثياب وصحيفة صحائف كضير ضماثر . وكذلك ياء النسبة نحو اشعى أشائه غير أن تاء التانيث تعوض هنا عن الياء . . . ومن خصائص العربية حمير مع صيغ جمع التكثير وهي فعلة وأفعل وأنعله وأفعان في الفعلة أى في عدد دون العشرة وأما جمع الجمع نحو بلد بلاد بلدان أو كلب أكاب أو أكلاب أو أرض أراضون أراض فيوجد مثله في الحبشية أيضا نحو amalek¹ يعنى الملك وهـ - وجمع على وزن أفعال من مفرد منقود وجمعه amalekt²

. فننقل الآن من جمع التكثير الى الجمع الصحيح وعلامته في المؤنث at³ وهي سامية الأصل وفي المذكر المرفوع⁴ وفي المجرور والمنصوب كما هي في الاكدية العتيقة نحو ni⁵ ni⁶ أى الناس والضممة الممدودة هي علامة الجمع المرفوع في الفعل أيضا كفعلوا وافعلوا ويتضح من ذلك أنها من العناصر الأصلية اللغات السامية. ويلحق بهما في العربة النون المفتوحة إذا كانتا غير غير مضافتين كما أنها تلحق بالمضارع مرفوعا ونحو يفعلون وكاللاحاق النون المكسورة بالشيئية الغير المضافة نحو بدان ويدين وربما كان أعلى بدان iadāna فأبدلت الفتحة بالكسرة لتتابع الحركتين اللتين . وقد توجد في العربية علامة لاجمع قديمة جدا وهي الها . وتندرج في الأسماء الثنائية ولا تنفرد وحدها بل يصير الاسم بزيادتها ثلاثيا ثم يجمع بالجمع الصحيح أو المكسر مثال ذلك من الجمع الصحيح أب كان جمعها abahai⁷ هو في الآرامية abahāta⁸ وقيس عليه أم أمهات وان لم تكن الأم من الأسماء الثنائية فقديم أيضا يشا كله في الآرامية ammahāta⁹

وسنة سنهات وعضنة عضنات ومنه في العبرية *amāhota* وهي في الآرامية *amhāla* أي الأماء ولا جمع على الماء من أمة في العربية ومن جمع التكسير باطاء شفة شفاه وشبهه في الآرامية *scphata* وماء مياه وشاء شياء واست سنه والتثنية كثيرة الاستعمال في اللغة العربية اتسع فيها حيزها الأصلي فهي في اللغة السامية الأم وكذلك في أكثر اللغات التي توجد فيها كالهندية والایرازية والخرية كانت تشير إلى شيء مع شيء آخر شبيه به يرافقه طبعاً وأكثر ذلك في أعضاء البدن فاليدان معناها الأصل اليد الواحدة مع الأخرى أي الزوج منهما فالشيطان هناك ثلان ولم يكن ذلك بضروري بل كان يكفي ارتباطهما ببعضهما حقيقة أو فكرياً دون غيرها مثال ذلك القمران أي القمر والشمس معاً زوجاً أو العمران أي عمر وأبو بكر معاً زوجاً وقد سقط هذا عن الاستعمال فاستعاروا التثنية في معنى العدد المجرد عن الزوجية فقالوا مثلاً يومان معاً أنه لا ارتباط لهما ببعضهما دون غيرها وهما إثنان من كثير، والتأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو ومسائلها عديدة مشككة ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلاً جازماً مع صرف الجهد الشديد في ذلك فكتفى بتعدادها والأشارة إلى بعض الطرق المساوكة لحلها. إن أكثر الأسماء والضمائر العربية والسامية ينقسم إلى مذكور ومؤنث والذي يربط كل الأسماء والضمائر المذكورة مع بعضها وكل الأسماء والضمائر المؤنثة مع بعضها أيضاً ويبدل على أن الكل جنسان لا أكثر ولا أقل متفارقان متخالفان هو الاتباع والاتباع هو القاعدة التي بمقتضاها لا يتبع الاسم المذكر إلا مذكرة صفة أو خبراً أو فعلاً وكذلك في المؤنث فكان من المنتظر أن يكون لكلا الجنسين أو لأحدهما علامة تميزه خاصة به يشترك فيها كل الأسماء المنسوبة إليه وأن يكون لكل واحد من الأسماء بين أسماء الجنس الواحد دون الآخر سبب مفهوم ظاهر والأمر في الحقيقة على ضد ذلك من كلتا الجهتين فأما العلامة فانا وإن صرفنا نظرنا عن الجمع والضمائر وأسماء الإشارة وجدنا أن في العربية ثلاث علامات لالامة التاء والالف المقصورة نحو صبرى وغضبي والاف المدودة نحو بيضاء ونجد كثيراً من الأسماء المؤنثة مجردة من كل علامة تشبه المذكرات وليس بين الأسماء

الموصوفة فقط نحو الأم والبدل وبين الأوصاف أيضا نحو امرأة حامل وامرأة قتيل
 وجاء في القرآن الكريم «إن رحمة الله قريب من المحسنين» وبالعكس فبعض الاسماء
 لما حقة بها التاء مذكورة نحو العلامة والخليفة والرواية وإذا اطلعت على الجمع رأينا جميع
 التكسير يتبع في بعض الأوقات كأنه مذكر بجمع وفي بعضها كأنه مؤنث بجمع وفي
 أكثرها كأنه مؤنث مفرد بغير رعاية لفردية أكان مذكرا أم مؤنثا. وأما الجمع
 الصحيح فتجد علامة المذكر منه تلحق بالاسم المؤنث في بعض الحالات نحو أرض
 أرضون وسنة - نون ومائة مئون وعلامة المؤنث منه تلحق بالاسم المذكر في
 الكثير منها نحو اصطلاح اصطلاحات ومخلوق مخلوقات. ومن جهة المعنى كان المأمول
 أن تكون أسماء كل الذكور من الحيوانات مذكورة وأسماء الإناث مؤنثة ثم يشبه
 سائر الأسماء بأيهما كان والامر ليس كذلك وانه وإن كان الرجل مذكرا
 والمرأة مؤنثة والمار مذكرا والأتان مؤنثة إلى غير ذلك فلا رعاية المذكورية
 والأنثوية في أسماء كثير من الحيوانات نحو الضبع والأرنب والعقاب والأنسي
 والعقرب واختلفوا في بعضها والشاة والحسامة ومثلها من أسماء الوحدة فكأنها
 مؤنث دلت على حيوان ذكر أو على أنثى. وأما معنى تاء التأنيث بلاخص فهو
 كثير الاضمار والتخالف فتراها لا تدل على الأنثوية في الأصل البتة وذلك
 أنا نجد اللغة لم تستخدم أثناء تمييز الذكر والأنثى في الزمان القديم بل فرقت
 بينهما بتاء الاسم نفسها نحو ما ذكرناه من الرجل والمرأة والمار وغير ذلك
 واستغنت عن التاء في الصفات الخاصة بالإناث إناثا نحو حامل ثم نجد تاء التأنيث
 ألزم نحو إمامة أي الرجل يتابع كل أحد على رأيه والبدح نحو علامة ونجدها
 لا اشتقاق اسم العين نحو ذبيحة أي ما يذبح من النعم من ذبيح أي مذبوح
 والاشتقاق اسم للمني نحو للمهية ونجدها الوحدة نحو حمامة ومرة - ولاب تكثرة
 نحو حافية وساجلة ونراها شذف في جميع بعض ما توجد في مفرد نحو قطعة
 وقطع وتلحق في بعض صيغ الجمع نحو أمهات وبنات ونحوه لا توجد في
 المفرد إلى غير ذلك.

فالخلاصة أنه من المحال أن يكون تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث والتعبير

عن هذا التقسيم باللواحق المستعملة في اللغات السامية أصليا بل نضطر الى أن نفرض أن الأسماء كانت تقسم في الزمان القديم تقسيما أكثر تفرعا من الحاضر ولا نعرف أكن تميز المذكر والمؤنث من ذلك التقسيم الأصلي أم ما زجه حديثا . وربما كان لغة السامية الأم أصناف من الأسماء متعددة على نحو ما نشاهده في كثير من اللغات خصوصا لغات *Bantu* الشاغلة قسما كبيرا من أفريقية وأما تاريخ لواحق التأنيث على حدتها فالتساء مع الفتحة قبلها أي ^{هـ} سامية الأصل ويدل على قدمها وجودها في ماضي الفعل نحو فعات وقد ذكرنا ذلك وكثيرا ما كانت الفتحة تحذف في اللغة السامية الأم وام يبق من ذلك في العربية إلا القليل نحو بنت رثنتان مؤنث *linani* وكذا مؤنث كلا . والألف المددودة لا يعايلها في اللغات السامية إلا القليل والألف المقصورة توجد في العبرية والآرامية وهي أحيانا ^{هـ} نحو *Sara* اسم علم في العبرية *tu'ia* أي الضلالة في السريانية وأحيانا تكون ^{هـ} نحو *esre* أي عشرة في العبرية و *olre* في الآرامية العتيقة وهي تطابق تماما (أخرى) العربية . وفي العربية آثار الاحقة رابعة للتأنيث هي ^{هـ} منها يالكع أي يا امرأة ثبحة وقطام اسم علم لنساء وكلاهما وا من جذبهما مبنى على الكسرة المقصورة وأصلها مددودة وربما كان منه كراهية ما وعفريت بالحق تاء التأنيث بإياد وفي الأولى فتحة قبل التاء على المادة والثانية لا فتحة فيها كما ذكرناه من بنت وغيرها ، وقد تاجق بالألف المددودة بدل تاء التأنيث نحو كبرياء

والأعراب سامي الأصل فشارك فيه اللغة الأكديّة وفي بعضه الحبشية ونجد آثارا منه في غيرها أيضا غير أن العربية ابتدعت شيئين : الأول إعراب الخبر والمضاف وتنفق في بعض ذلك مع أخواتها ، والثاني عدم الانصراف في بعض الأسماء وتنفرد بذلك عن غيرها . أما الأول فترى اللغة السامية الأم كانت خبر الجملة الاسمية فيها غير معرب مبني على الجزم والدليل على ذلك هو ماضي الأفعال اللازمة نحو قرب فقد كسنا أقررنا أنه من أقدم صيغ الفعل سامي الأصل فتري مثل قربتني أحسها جملة اسمية بخبر مقدم ومبتدأ مؤخر يعني *qribtinna*

و arith في ذلك مماثلة لقريب التي اشتقت منها بعد الكسرة فتجدها مبتدئة على الجزم .
 ليس فيها إعراب ولا علامة للجمع ولا للتأنيث وهذه أقدم هيئة للجمل الاسمية
 في اللغات السامية وزالت عن الاستعمال إلا أنها بقيت في ماضى الفعل والسبب
 في ذلك أنه في وقت تغير تركيب سائر الجمل الاسمية يعني وقت ما ابتدعوا
 إعراب الخبر كانوا انما أن أصل الماضى جملة اسمية أيضا فتعودوا على تلقيه كصيغة
 بسيطة من صيغ الفعل مثل المضارع والأمر . وهذا مثال لحادثة كثيرة الوقوع
 في تاريخ اللسان وهي الانفراد والارتباط ومعنى ذلك أن بعض عناصر اللغة
 يتفرد عما كان مرتبطا به في الصيغة ويرتبط بما لم يكن له ارتباط به في الصيغة إلى
 يقرب منه في المعنى أو بالعكس كما أنه في مثلنا انفرد ضرب من ضروب الجملة
 الاسمية وهو المتركب من وصف وضمير عن سائر ضروبه وارتبط بالفعل ولم
 يكن من صيغه قبل ذلك وسبب ارتباطه بالفعل اقترابه منه في المعنى .

وانرجع إلى إعراب الخبر فنقول إن الخبر بعدما كان في الأول غير عرب شبه
 بالوصف العرب وكان ذلك تدريجا من درجتين وتشاهد الأول منه في ماضى فعل
 أيضا يعني مثل قربت وقربوا فقد بينا قبل أن الغائب من الماضى يختلف عن المتكلم
 والمخاطب منه في أنه ليس فيه ضمير على نحوها فقربت وقربوا وأمثالها ليست
 بحمل اسمية كقربتين وما يماثلها بل قربت مثلا هي في الأصل خبر مبتدأ ، مظهر أو
 مصدر غائب نحو قربت المرأة أو قربت هي ثم ارتبطت بقربتين وما يبرها من صيغ
 المتكلم والمخاطب فكون الشكل نظاما جديدا هو ماضى الفعل . ولأن صيغ المتكلم
 والمخاطب منه تحتوي على الضمير صاروا يفهمون صيغ الغائب أيضا كأنها تشتمل عليه
 في حالة وقوعها بغير مبتدأ مظهر فاصل قربت خبر جملة اسمية ومع ذلك أثبت
 وإن لم تقرب ، وقربوا جمعت وقربن أثبت وجمعت ، فهي الدرجة الأولى
 في تشبيه الأخبار بالأوصاف فترى أن نظام الماضى مركب من نوعين من البناء
 أحدهما وهو المتكلم أو المخاطب أقدم في صيغته من الآخر وهو الغائب ومع ذلك
 فكلاهما سامى الأصل كانا ثابتين مستعاضين قبل افتراق اللغات السامية . والدرجة
 الثانية وهي التي نشاهدها في العربية إعراب الخبر بعد إلحاق علامات التأنيث

والجمع به .. وأما المضاف فهو غير معرب في الأكدية في كثير من الحالات نحو
 nāli ilī أي متقى الآلهة و alap awelīm أي نور انسان أصلها alu على نحو
 معرب alpu ونجد في العبرية والآرامية ما يدل على أن المضاف لم يكن معربا
 فيها أيضا فيظهر أن إعرابه من ابتداءات اللغة العربية .. وأما عدم انصراف
 بعض الأسماء نحو يغوث وعمر وطلحة وهند وأبيض وبيضاء وكثير من أبنين
 جمع التكسير ، فهو من غرائب اللغة العربية لا نظير له في غيرها . وما يدل على
 صداقته أن كل الاسماء الغير المنصرفة يمكن انصرافها في الشعر ، والشعر كثيرا
 ما يحافظ على القديم بخلاف الحديث ومعلوم أن الانصراف مقصور على حالة التنكير فانا
 نرى الأبيض مثلا جره الأبيض بالكسرة وأبيض منكرا جره ايض بالفتحة وذلك
 يدل على أنه كانت بين عدم الانصراف والتنكير علاقة أصلية وكثرة وقوع عدم
 الانصراف في الأعلام يدل على ضد ذلك في الظاهر . وحقيقة الامر أن التنوين وإن كان
 علامة التنكير في كل ما بقي من مستندات اللغة العربية فربما كان في الأصل علامة للتعريف
 فقد ذكرنا أن أصل التنوين هو التحميم وإننا نرى للتحميم آثارا من معنى التعريف في
 الأكدية العتيقة فان قال قائل فكيف يمكن أن يصير ما كان يشير إلى شيء واحد
 في الأول مشيرا إلى ضده فيما بعد قلنا إن مثل ذلك ليس بحال في حياة
 اللسان . وقد نشاهد في تاريخ اللغة الآرامية طبق ما فرضناه من تبادل
 التعريف والتنكير ، وذلك أن أداة التعريف كانت في الآرامية العتيقة فتحة
 المدودة ملحقة بآخر الكلمة نحو sum أي اسم و sma أي الأسم وربما كان أصل
 الفتحة المدودة ha التي هي آلة التعريف في العبرية غير انها تلحق فيها بأول
 الكلمة نحو sam أي اسم ، hasem أي الأسم وتشديد الشين فيها عوضا عن
 مد الحركة ثم بعد ذلك صارت أداة التعريف في اللغة الآرامية تخلق بالاستعمال
 الكثير وتضعف قوتها المعرفة . ومثل ذلك كثير في تاريخ اللغات فتجد الفتحة
 المدودة في السريانية تلحق بأكثر الأسماء معرفة كانت أم نسكرة نحو
 mditta hda أصلها mdinta أي مدينة واحدة أو بالأحرى إقليم واحد إلا في قليل
 من الأسماء وخصوصا إذا كانت خبرا نحو kateh-na أي أنا كاتب المذكورة أعلاه

وتدبب ضعف آلة التعريف العتيقة احتاجوا إلى وسائل جديدة لتأدية التعريف
فأخترعوا كثير منها في اللغات الأرامية على اختلافها فأدى ذلك إلى أن كل كلمة
لا يوجد منها إحدى تلك الأدوات الجديدة تنافى كأنها نكرة وإن ألحقت
بآخرها الفتحة الممدودة فصارت هي علامة للتكبر وهذه هي الحالة في بعض
اللهجات الأرامية الدارجة وبالأخص في لهجة طور العابدين مثال ذلك *hymrān*
أصلها *hymrān* أي حمار و *hymrān* أي أي الحمار غير أن الـ لا تحذف في لهجة
طور العابدين مع إلحاق آلة التعريف كما أن التنوين يحذف في العربية بعد
الألف واللام. فنتيجة من هذا المثال أنه من الممكن أن يكون التنوين قد كان
في الأصل أداة للتعريف ثم ضعف معناه المعروف فقام مقامه الألف واللام فصار
التنوين علامة للتكبر. فإذا كان الأمر كذلك فهنا سبب وسبب التنوين في
كثير من الأعلام القديمة نحو عمرو وزيد. ونفهم أيضا سبب اندمائه في بعضها
نحو عمر وطلحة وحمد. فإن العلم معروف في نفسه لا يحتاج إلى علامة للتعريف
وإن أمكن أن تلحق به. فرى أكثر الأعلام بغير علامة تعريف في الفرنسية
والإنكليزية والألمانية وغيرها وهي موجودة مع القليل منها نحو *le havre* بخلاف
paris. ولو كان التنوين علامة للتكبر في الأسماء لكان إلحاقه ببعض الأعلام
صعب الفهم جداً. فما قلناه ربما يبين سبب عدم التنوين في الأسماء غير المنصرفة
بعض التبيين وإن لم يوفقنا إلى معرفة سبب تطابق الجر والنصب فيها وهذه
المسألة أصعب من تلك. ومن مسائل الأعراب تطابق الجر والنصب في الجمع
المؤنث الصحيح نحو بنات فيخلان أن يكون سببه صوتياً لا علاقة له مع نفس
الأعراب ولو كان النصب *banatun* تتبع الفتحة الممدودة فتحة مثلها فتخالفت
فصارت الأخيرة نكرة وما يدل على صحة هذا الرأي أن بعض الكلمات التي
آخرها *un* وهي ليست بعلامة الجمع المؤنث الصحيح قد تنصب بالمسكوك أيضاً.
ومن مسائل الأعراب أصل الفتحة الانتهاية في تحت وقبل وبعد وأشباهها
نهي علامة للظرفية وتوجد في الحبشية ممدودة على أصلها نحو *ḥayy* أي تحت
وفي الإكديّة وهي *ḥayy* أي إلى الضمائر المتصلة نحو *ḥayy* أي أممي والعربية

على عدد ذلك فان المضاف من مثل تحت ينصب فيها نحو تحته أو يخفف من عدد
جار نحو من تحته .. وآخر ما بقى علينا تناوله في هذا الباب هو أسماء العدد
فأحد سامية الأصل وواحد مشتقة منها وربما كان أصلها الاتصال وهو اتحد
وكان يمكنهم أن يصيغوه هكذا على قياس اتخذ من أخذ وإذا أن أكثر أشياء
اتحد أصل قائم الوار ونحو اتكل كانوا يستطيعون أن يشتقوا من اتحد مادة
جديدة هي وحد . والفرق في المعنى بين أحد وواحد معروف وهو مثال
ما قلناه من أن العربية تميل إلى التخصيص فاستعادت من وجود شخصين
تلك كلمة فلم تستعملهما مترادفين بل فرقت بينهما وخصصت كل واحد منهما معنى
ووظيفة غير ما لصاحبه .. والخمس في العبرية *hamis* وفي الآرامية *ham mē*
فيظهر أن أصلها *hamis* ثم حذفت الكسرة في العربية وكذلك في الحبشية والآكدية
أيضا فالمس فيهما *hamis* و *hamis* وقد تكلمنا عن مثل هذا الحذف .. وقد
ذكرنا الاثنين والست وأصلهما فيما سبق وكل الأعداد من الاثنين إلى التسع
لها مؤنث يوافق مذكرها والعشر على غير ذلك . فالشئ ساكنة في المذكر متحركة
في المؤنث أي عشرة وإذا ضم إليها عدد من الأعداد دونها فالشئ متحركة في
المذكر ساكنة في المؤنث نحو ثلاثة عشر ثلاث وعشرة وذلك مع ما فيه من
الغريب قديم جدا نجد مثله في العبرية فالعشر فيها *eser* والمؤنث *sara* وثلاثة عشر
في العبرية *asara* وثلاثة عشر *slos esre* و *esre* تختلف عن عشرة
في أن حركة العين أصلها الكسرة لا الفتحة وأن علامة التأنيث هي الالف
المقصورة لا التاء فتجد هذه الصيغة بينها بين الأعداد العربية أيضا . وذلك في
إحدى ولايني مؤنث أحد على هذه الصيغة في غير اللغة العربية . والعشرون مثل
esrim في العبرية و *esrim* في الآرامية وأصلها العشرون شئبة عشر مثل *esra*
في الآكدية و *esra* في الحبشية . ونقيس بها على الثلاثين وما يتلوها في العربية
والعبرية والآرامية . والعين مكسورة والشئ ساكنة فيها كما هي في المؤنث العبري
esre والثلاثون جمع الثلاث وكذلك إلى التسعين ، وفي الآكدية والحبشية
نقيس بها كما على *isra* نحو *selasa* و *salasa* . فهذا من أمثلة الاتفاق الحديث

بلى الاختلاف القديم ، فالأصل هو الثنية في العشرين والجمع فيها بمدحاً ثم صارت كلها جمعاً في بعض اللغات السامية وكلها ثنية في باقيها ، ومن المعلوم أن الأعداد من الثلاثة إلى العشرة تضاد المعداد في الجنس أي تكون مؤنثة إذا كان هو مذكراً أو بالعكس نحو ثلاثة رجال وثلاث نسوة وكذلك الثلاثة إلى التسعة إذا ضمت إلى العشرة ، والعشرة نفسها توافق المعداد نحو ثلاثة عشر رجلاً وثلاث عشرة امرأة . وهذه القاعدة سامية الأصل وهي من أغرب ملاحظات اللغتين السامية وبذل العلماء الجهد الشديد في حل مسألة أهلها وام يوفقوا إلى ذلك . وأما جر المعداد ونصبه وإفراده وجمعه وتمريقه وتذكيره وتقديمه وتأخيره فلا كل ذلك قواعد ثابتة ينة لا تخفى من فرصة الاختيار إلا البدير . وهذه الحالة ليست أعلية بل سببها ميل العربية إلى التحديد والتقيد فتجد في العبرية مثلاً أمثلة لا كثر المركبات المألوفة في العربية ولتركيبات أخرى معها فحيز الاختيار أوسع بكثير منه في العربية مثال ذلك أن سيمون وتجلاهي العبرية ^vsih ^vim ^vis بالمفرد ويوجد مثل ^vsih ^vim ^vana ^vsim بالجمع أيضاً ، وصيغة فاعل في الثنائي والثالث إلى آخر ذلك خاصة باللغتين الساميتين الجنوبيتين بقا بلها في العبرية مثلاً ^vsi ^vi ^vsi وفي الآرامية ^vlita أي ثالث أو آية هما ياء النسبة ، وأصل معنى ثالث مثلاً هو الذي يسكن الثلاثة ويكلمها بعدما كانت اثنتين قبل ذلك ، وصيغة فاعل في الثالث إلى آخره سامية في العبرية ^vhones وفي الآرامية ^vhumsa ، وصيغة مفعول في الثالث والرابع إلى آخر ذلك خاصة بالعربية .



الباب الثالث

في التركيبات

نقسم هذا الباب الى خمسة أقسام : الأول في شبه الجملة ، والثاني في الجملة بسيطة . والثالث في تركيب الكلمات في داخل الجملة . والرابع في أنواع الجملة . والخامس في تركيب الجمل .

القسم الأول . أكثر الكلام جمل والجملة مركبة من مسند ومسند إليه فان كان كلاهما اسما أو بمنزلة الاسم فالجملة اسمية ، وإن كان المسند فعلا أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية . ومن الكلام ما ليس بجملة بل هو كلمات مفردة أو تركيبات وصفية أو إضافية أو عطفية غير إسنادية . مثال ذلك النداء فان (يا حسن) ليس بجملة ولا قسم من جملة وهو مع ذلك كلام ويشبه الجملة في أنه مستقل بنفسه لا يحتاج إلى غيره مظهرا كان أو مقدرًا بخلاف مثل قولي «أمس» جوابا عن السؤال «مى جئت؟» فان تقديره «جئت أمس» فأمس وأمثالها جمل ناقصة والنداء وأمثاله نسبها أشباه الجملة . فتشبه الجملة اسم في أكثر الحالات ولا يمكن أن يكون فعلا لأن الفعل يساوى الجملة الكاملة فأكثر أشكاله مركبة من ضمير هو المسند اليه ومن مادة الفعل وهي المسند نحو فرحت أصلها *farah fā* أى فرح أنت ، وما ليس بمركب من الاثنين فيقاس به على الباقي وذلك أنا قد ذكرنا أن الغائب من الماضى نحو فعل وفعلوا لا يحتوى على ضمير بل أصله اسم ، ففعل وفعلوا وأمثالهما في الحقيقة أشباه جمل لا جمل إلا أنهم تلقوها كالجمل السكونية لما بينها وبين المتكلم والمخاطب من الارتباط . ومثل ثان وهو الأمر فهو مجرد مادة الفعل المضارع بغير ضمير فيقارب ما سماه المحويون بالأصوات *Interjections* وهكثير منها يفيد أمرا نحو مه لازجر والمتع عن الشيء وقد يشتق من الحيوي المؤدى معنى الأمر فعمل مثال ذلك نبح صوت إناخة البعير اشتق منه فعل الإناخة

فالأصوات من أشباه الجملة والأمر كان منها في الأصل غير أنه أدخل نظام الفعل بمنزلة واحد من أشكال الخطاب مع أنه لا يوجد فيه ضمير للخطاب أصلاً وإذا صرفنا نظرنا عن غائب ماضى الفعل وعن الأمر وعن الأصوات أيضاً لم يكد يبقى من بين أشباه الجملة إلا الأسماء ، فالاسم إذا كان شبه جملة مرفوع في بعض الحالات ومنصوب في أكثرها . أما الاسم المرفوع فمعناه وجود الشيء نحو (يومان يوم اسدا ويوم لذا) معناه كان أو أعرف يومين أو مثل ذلك . ولا يظن أحد أن كلمة كان حذفت في مثل ذلك بل لا حاجة إليها في الأصل والاشارة الى الشيء بالنطق باسمه كافية في الدلالة على وجوده والعربية لما فيها من الميل الى التحديد حصرت استعمال هذا النوع من أشباه الجملة فلا يوجد في الكلام الاعتيادى الا في تركيبات معينة منها الذى أتينا بمثال له وهو ضم جملة وصفية أو شبيهة بالوصفية الى الاسم القائم مقام جملة وأكثر ذلك إذا كان الاسم تشديداً أو جماعاً كما هو في مثلاً ، ومنها (إذا) مع اسم مرفوع بعدها مثاله من الحديث (إلتفت فإذا التبتى) معناه فكان التبتى موجوداً ، وقد يدخل على الاسم النالى لأذا الباء نحو (بينما هو يسير إذا برهج) ومعنى الباء هنا يتضح من مثل (فلما توسطت الدرب إذا أنا بصوت عظيم) أى إذا أنا شاعر بصوت عظيم غير أنه لا لزوم لتقدير ضمير في (إذا برهج) بل معناه إذا شعور برهج فهى من أشباه الجملة أيضاً ليست جملة كاملة وقد لا يكون الاسم المرفوع شبه جملة بل خبر مبتدئ محذوف يمكن تقديره مما سبقه مثال ذلك (لما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة) أى فإذا هو أو هى امرأة بتقدير المبتدأ من فاعل ولول . ومن هذه التركيبات (لولا) مع اسم مرفوع بعدها نحو (لولا دعاؤكم) أى لولا أن وجد دعاؤكم ولولا أنت . وقد ينوب الضمير المتصل عن المنفصل نحو لولاك وهى في الأصل غلط وليس بها على (إنك) وأمثالها . ومنها مثل حسبك أى هذا حسبك أو الأمر حسبك . . هذا ما يوجد من هذا النوع في الكلام العادى الهادى . وأما عند هيجان النفس فيعمل في غير التركيبات المذكورة أيضاً . . ومن مزايا العربية أنها مع تقبيدها للكلام الهادى الاعتيادى مثال ذلك من بابنا (أميران

هلك القوم) قاله القائل منضبا هائجا فأمران اسم شبه جملة معناه وجد
 أمران ولا ارتباط بين (أمران) وبين ما يتلوها . وكلمنا الحائرين بمعنى استعمال
 شبه الجملة والاستغناء عن ربط الجمل بعضها ببعض من خصائص مبادئ اللغات
 ومن بقايا حالها الأولية البسيطة ولو لم تهج نفس القائل بنى كان غافلا مطمئنا
 يؤدي فكرا لا يوازجه شيء من الغضب أو مثله لقال (إنا نجد القوم أمرين
 فتخاف ان يهلك) أو مثل ذلك . . والكلام الخاص بهيجان النفس جنسان :
 أحدهما منكون من كثير مما يتكلم به بين الناس في مساعيهم اليومية وتعاظمهم
 وخصوصا عند أقوام البلاد الجنوبية والسامية من يشها فانا نراها أكثر حدة
 وتحركا من شعوب الشمال . وإذا قرأنا الكتب مملوءة بالكلام الساكن المستوي . والجنس
 الثاني من الهيجان هو إلهام الشعر فتري الشعر يميل الى مثل ما يميل اليه الكلام
 الخاص بهيجان النفس من ترك الترابط واستعمال أشباه الجملة وغير ذلك . . وضد
 وقوع الاسم وحده للدلالة على وجود الشيء هو وقوع الاسم منفيا للدلالة على
 عدم الشيء فـ (لا بد) وما ياتلها من نفي الجنس من أشباه الجملة أيضا ومعناه
 لا يوجد بد فهذا التركيب ثابت في العربية مألوف ومبزوه عن غيره بنصب الاسم
 والنصب يدل على أن نفي الجنس وإن كان معناه ضدها ذكرناه قبل من اثبات وقوع
 الشيء . بالاسم المرفوع على حدته فأصله غير أصل ذلك . فتري النصب كثير
 الاستعمال في أشباه الجملة المقاربة للتهافت والنداء والهدبة بخلاف الاخبار ومن
 ذلك للنداء نفسه نحو يا عبد الله مع أننا نجد الرفع في يا غلام وأمثالها وسبب
 هذا الفرق غامض . . وأما عدم التنوين في يا غلام فلأن المنادى يشبه المعرف
 من جهة أن الغلام المنادى مثلا هو غلام واحد بعينه فيقدم المنادى التنوين كما
 يقدمه المرفع بالأنف واللام ومما يؤكد ذلك أنهم كانوا إذا نادوا وأحدا غير
 معين من جماعة الحقوا به التنوين الإشارة الى التشكيك نحو يا غلاما أي يا واحدا
 من الغلمان وهذا نادر والسبب في ذلك أنهم في باب التعريف لم يكونوا
 يقتصرون على عدة الأشياء المعروفة المعينة معرفة بل يبعدونها الى الأشياء التي

انما تصير وتعرف بما يقال عنها في الحول نفسه وهذه القاعدة قديمة تصادفها في العربية مثال ذلك *kātib* *basīṣ* أصلها رأى بمعنى في وهو أى آلة التعريف يكتب في الكتاب وايس الذي أنه كتب في كتاب معين مذكور من قبل معروف بل في كتاب واحد غير معين ولا مذكور قبل لا يعرف إلا بنفس هذا القول بأنه كتب فيه فيمكننا أن نترجم هذه الجملة كتب في الكتاب الذي كتب فيه والمتادي نحو يا عازم مثل هذا فإنه وإن لم يكن الغلام معنا من قبل فهو يعين بالنداء نفسه فيكون كما عرف . وهـ ياء لا تقتصر على النداء الحقيقي بل تتعداه الى شبه النداء نحو يا عجباً ويوجد مثله بغير يا نحو مرحباً كما أن النداء أيضاً قد يستغني فيه عن يا ، ومن هذا الجنس النصب للمعجب نحو شتان بينهم ، ورب رجل جاءني ، ورب اقام زيد . والأمر نحو رويدا وضرب الرقاب ، وللتحذير نحو رأسك أو الأسد ، ويوجد في مثل أتباه الجميل المذكورة غير الأسماء الموصوفة أيضاً وخصوصاً الظروف نحو اليك أي تبع . وأما أصل النصب في نفي الجنس النداء وما يشاكاه فيدل عليه ما نشاهده في رسم القرآن من الياء بدل الألف في يا حسرتي ترى من ذلك أن الفتحة كانت مائلة في طجة الحجاز فلم تكن فتحة النصب بل كانت عنصراً غيرها . وإن أثبتنا ذلك في يا حسرتي ازمننا أن تثبته في يا عجباً أيضاً فإنه لا فرق بينهما مع أن القدماء فرقوا بينهما وذلك لتخالفهما في الأملاء فقط وسبب الاختلاف في الأملاء أن (يا عجباً) ومثلها لا يوجد في القرآن الكريم فلم يؤثر في أملائها رسم القرآن . فالمرجع أن أصل الفتحة الممدودة في يا حسرتي صوت مثل حرف التذبة في نحو وازيداه ثم تلقوه كأنه فتحة النصب الممدودة على الوقف بخير تنوين نحو يا عجباً وظنوا أنها في الوصل يا عجباً ولم تكن تقع كذلك في الوصل أبداً لكونها إما أن يلفظ بها على حدثها فكانت في الوقف أو تضاف إلى كلمة غيرها نحو يا عبد الله إلا أنه أخيراً أصبح النداء وما يشاكاه نصياً حقيقياً في شعور الناطقين فحاسبوا عليه فقالوا مثلاً إياك يعني احذر ، وفي النداء عبارة ثانية في العربية وهي أيها الرجل فأبها مركبة من أي وهي اسم من أسماء الاستفهام ومن ها وهي عنصر إشاري فـ (أيها) ثمائل (هنا) المركبة من ها

ذاتها ومن ذا بدب أى فـ (هذا الرجل) معناه كأنني قلت الرجل الذي أشير إليه أي ها وهو هنا أى ذا ومعني (أيها الرجل) كأنني قلت الرجل الذي أشير إليه وأريده وهو أيها فأياها الرجل من أشباه الجملة أيضا غير أنها من النوع الاول أى من الاسم المرفوع على اثبات وجود الشيء وانواع أشباه الجملة على اختلافها قد تقرب في بعض الأحيان الى الجمل الكاملة وذلك يكون على وجهين إما بأعمالها عملا كعمل الأفعال أو بعطف اثنين منها بعضها على بعض ، ومثال الأول دونك أخاك أى أعن أخاك فاعملوا دونك عمل الفعل المتعدي فصار التركيب أشبه ما يكون بجملة كاملة ولذلك سمي القدماء دونك وأمثالها وهي كثيرة أسماء الإفعال ، ومثال الثاني إياك والأسد فهي من جهة المعنى متساوية لجملة كاملة أى احذر الأسد وان لم تكن جملة في الحقيقة . والایمان في هذا المثال كلاهما منصوب وقد يرفع الاول وينصب الثاني نحو أنت وذاك أي اعمل هذا أو ما انت والكلام أى لاي سبب تسكلم فلا يشبه هذا التركيب السابق ذكره الا في الظاهر وذلك أنه جملة حقيقية يعمل فيها اول جزئها في الثاني ومثل (إياك والأسد) عطف جزئين مستقلين وأبين ما يكون الفرق بين هذا وبين ذلك في الاستفهام فاني اذا قلت ما انت والكلام عاد اسم الاستفهام الى كل ما هو بعده سواء ولا يعود الى انت فقط او الى انت والى الكلام على جديهما فان المعنى هو ما اشتغالك بالكلام وتقدمك اليه وليس المعنى (ما انت) ثم (ما الكلام) او مثل ذلك ولا يمكننا ان نستفهم عن (إياك والأسد) على هذه الصورة أصلا . واطن ان القدماء من النحويين اصابوا في رأيهم ان الواو في مثل (ما انت والكلام) تؤدي معنى مع وتعمل النصب وفي تعيينهم اياها واو المعية مع ان أصلا واصل عملها غامض جدا واو المعية تستعمل في الجمل الكاملة أيضا نحو استوى الماء والخشب أى كان سطح الماء في مستوى الخشب فبني الواو في هذا المثال وفي أكثر الأمثلة الفصيحة لا يطابق معنى مع تماما بل هو اخص منه كأن الواو ترمز الى شيء من تأثير الاسم السابق لها في ما بعده او التأثير به . والواو قد تعمل الجر أيضا وهي ونور رب نوره ونحوه من رب أى رب

كان شربت غير أن معناها ليس بمعنى رب في كثير من الحالات نحو وتاجر فاجر
جاء الأله به أى أعرف تاجرا فاجرا أو أذكره وأصل هذا الوار غامض أيضا
القسم الثانى . أما القسم الثانى من هذا الباب فيتناول الجملة البسيطة

فالجملة إما اسمية أو فعلية والنحويون فرقوا بينهما تفريقا أشد من الحقيقة حتى
أنهم عبروا عن المسند اليه فى الجملة الاسمية بعبارة واحدة وهى المبتدا وعروا عنه
فى الجملة الفعلية بعبارة أخرى وهى الفاعل مع ان الفرق بين الجنسيتين فى المسند فقط
وهو فى المسند أيضا أقل تبيانا فى الحقيقة من الظاهر فانا قد رأينا فيما سبق ان بعض
أشكال الفعل خصوصا الماضى أصله جملة اسمية . والمسند إليه يقدم فى الجملة الاسمية
ويؤخر فى الفعلية غير ان العربية حسب ما لها من الميل الى التقييد وضمت لتقديم
الخبر فى الجملة الاسمية قواعد أثبت مما يوجد فى سائر اللغات السامية . واما
تقديم الفاعل فى الجملة الفعلية فلا يقرره النحويون بل يحسبونه مثل (زيد جاء)
جملة ذات وجهين أى جملة اسمية مبتدؤها زيد وخبرها جملة فعلية وهى جاء
على قياس مثل (زيد رأيتك اليوم) معناها أما زيد فرأيتك اليوم فكان
ينبغى على هذا القياس ان يكون معنى (زيد جاء) هو (أما زيد فجاء) وهذا
ليس بمحال وقد يوجد أحيانا غير أن الأكثر والأقرب الى الاحتمال هو ان
يكون معنى (زيد جاء) عين معنى جاء زيد وإنما الفرق بينهما أنى اذا قلت
جاء زيد أخبرت عن مجيئه اخبار محضا لا يخالطه شئ غيره فتقديم الفعل هو
العبارة المألوفة وإذا قلت (زيد جاء) كان مرادى ان ألبه به السامع الى ان
الذى جاء هو زيد كأنى قلت زيد جاء لا غيره فتقديم الفاعل عبارة عن أن الأهم كون
زيد هو الفاعل لا كونه فعل الفعل وما ينبه به السامع على هذا المعنى الخاص شيان
الأول تغيير الترتيب المادى فكل شئ يخالف العادة هو أكثر تأثيرا فى الفهم
من المألوف . والثانى ان اول كلمة فى الجملة هى - على العموم - المضغوظة فى
اللغة العربية إذا صرفنا نظرننا عن ما تبدأ به الجملة من الأدوات كأن
وأخواتها الى غير ذلك . وقد يكون آخر الجملة أشد ضغطا من أولها وذلك
اذا قدمت كلمة إنجاء ففى تغير نظام ضغط الجملة وتنقل أقوى الضغط الى آخرها

مثاله من القرآن الكريم « إنا بعثناك على أنفسكم » وضدها (أما) فهي تشدد الضغط على أول الجملة . فاللغات تتخالف تخالفا ظاهرا في هذا الباب فترتيب الكلمات في الجملة مقيد في بعضها واختياري في بعضها، مثال النوع الأول اللغة الفرنسية فترى فيها السكل جزء من الجملة موضعا لا يمكن نقله عنه إلا في القليل من الحالات ، ومثال النوع الثاني الألمانية وقواعد ترتيب الكلمات فيها قليل والشواذ منها كثير فبلغ من أشباه الفرنسية لا يمكن من تغيير ترتيب الكلمات للتنبيه على المهم منها فتحتاج إلى وسائط أخرى منها في الفرنسية تغيير تركيب الجملة فإني مثلا إذا ترجمت (جاء زيد) إلى الفرنسية قات *Zaid est venu* وإذا ترجمت (زيد جاء) قات *C'est Zaid qui est venu* فالعربية متوسطة بين النوعين المذكورين من اللغات فقيدها فيها ترتيب الكلمات في كثير من الحالات كتقديم الموصوف على الصفة والمضاف على المضاف إليه إلى آخره وهو اختياري في بعضها كما ذكرناه من تقديم الفاعل على الفعل وأمثال هذا أقل بكثير من أمثال ذلك في العربية وقواعد الترتيب قاسية فيها فالعربية أقرب إلى الفرنسية في ذلك منها إلى الألمانية وهي أشد اللغات السامية تقييدا لترتيب الكلمات والحشية أكثرها اختيارا والعربية متوسطة بين الضدين وربما كانت اللغة السامية الأم على مثل ما تكون عليه البرية في هذا المعنى فالعربية ربما لطبيعتها أكثر من قواعد الترتيب وأقسها ، والحشية تبعا لطبيعتها قللتها وأرختها مثال ذلك أن (الفؤاد الرديء) في الحشية *lebb 'ekku' أو 'ekku' lebb* خلافا لقاعدة تأخير الصفة التي هي من القواعد السامية الأصل . والجملة الاسمية كثيرة الاستعمال في اللغات السامية بخلاف اللغات الهندية والآيرانية والعربية فالجملة الاسمية تكاد أن لا توجد فيها أصلا وقام مقامها نوع من الجملة الفعلية فعلة « كان » ويوجد مثله في اللغات السامية لمضا فكلها تحوى فعلا كان يستخدم معناه كالرابط بين المبتدأ وخبره غير أن اللغات السامية كلها حافظت على الجملة الاسمية المحضة في خبر واسع . وبما اضطرها إلى إدخال فعل « كان » على لمختلف صيغه في الجملة الاسمية الاحتياج إلى توبيخها على

الاولقات وغيرها والتفريق بين الماضى والحاضر والمستقبل منها أويين المرفوع والمنصوب فإني إن اسندت (كبير) الى (بيتى) في جملة اسمية محضة لم يمكننى ان افرق بين (بيتى قد كان كبيرا) و (بيتى سيكون كبيرا) و (ليكن بيتى كبيرا) ويمكننى ان الحق بها النواصب نحو (الى ان يكون بيتى كبيرا) او ان اشتق منها مصدرا نحو (كون بيتى كبيرا) . والعربية أكثر تنوعا وتخصيصا في هذا الباب من سائر اللغات السامية ، والا كدبة على ضد ذلك فالفعل الذى معناه « كان » فى الاكدية وهو *bašū* لا يستعمل فيها الا نادرا . . . والجملة الاسمية المحضة كما انها مبهمه من جهة الاولقات وما شاكلها فهي مبهمه ايضا من جهة طبيعة العلاقة بين المبتدأ وخبره فاما نراها وصفية في بعض افرادها نحو بيتى كبير كـ (بيت كبير) وبدلية في البعض الآخر والبدل نفسه مبهم نحو لباسهم حرير كـ (لباس حرير) اى لباس من حرير ولها انواع غير هذين . فهذا الابهام يدل على القدم فكانت الجملة الاسمية المحضة من اقدم تركيبات اللغات والعربية مع احتوائها على وسائل التخصيص والتعيين قد حافظت على هذا التركيب الأولي المبهم أيضا . . . والجملة الاسمية كانت فى الاصل أشد إبهاما مما نجدها عليه فى العربية فانها تفرق فى العربية عن تركيبات الاسماء التى ليست بجملة كالوصف والبدل افتراقا بينا كما شاهدناه فى الامثلة المذكورة ولم يكن هناك فرق فى الاصل بين الاثنين بل كان *paīt kabīar* مثلا معناها اما (البيت الكبير) أو (بيت كبير) او (البيت كبير) وهذا قبل حدوث الاعراب والتعريف ثم استفادت اللغة منهما تفريق الجملة الاسمية عن غيرها من تركيبات الاسماء وخلاصه ذلك ان مبتدأ الجملة الاسمية معرفة على العموم وخبرها انكرة ومن الروابط التى تربط المبتدأ فى الجملة الاسمية بخبره دخال ضمير بينهما وهذه الوسيلة فى الربط بينهما قديمة جدا شائعة فى اللغات السامية وربما كانت أقدم من الربط بالأفعال التى معناها « كان » والضمير المستعمل للربط هو ضمير الغائب إذا كان المبتدأ غائبا وفى بعض اللغات السامية اذا كان المبتدأ متكلما أو مخاطبا أيضا مثاله فى الآرامية *ʿābdohī anah nā himmo* أى نحن هم عباده

ومثل ذلك لا يكاد أن يوجد في العربية ، وإدخال الضمير ليس بواجب يد أن العربية تقتضيه في حال كون الخبر مرفعا (نحو هذا هو الصواب) وسمى النحويون الضمير في مثل هذا ضمير الفصل لأنه يفصله بين الأسمين يشير إلى أنهما جملة لا بدل ومبدل منه أو مؤكد وتأكيده إلى غير ذلك . وقد يدخل الضمير في العربية بعد فعل (كان) أيضا نحو (إن كان هذا هو الحق) فإذا كان المبتدأ متكلما كان الضمير متكلما أيضا وكذلك في المخاطب (نحو كنت أنت الرقيب عليهم) وذلك يدل على أن لأدخال الضمير في مثل هذه الجملة أصلين : أحدهما ضمير الفعل المستعمل في الجملة الاسمية المحضة ، والآخر ضمير التأكيده في مثل قمت أنت . وقد يدخل الضمير إذا كانت الجملة معمولة لفعل من أفعال القلب أو أخوات جمل فيصير اسمها مفعولا له نحو (وجعلنا ذريته هم الباقون) . ومن الروابط بين المبتدأ والخبر الباء . وهي تلحق بالخبر وأكثر ذلك عند التقى (نحو وما ربك بظلام للعبيد) وقد تلحق بالمبتدأ نحو وكيف به أي كيف هو غير أن بين الاثنين فرقا والتقدير الأقرب إلى المعنى (كيف به) هو كيف به الحال فيظهر أن (كيف به) ليست في الأصل بجملة اسمية كاملة مبتدؤها ضمير الغائب بل هي من أشباه الجمل المذكورة آنفا . وقد يدخل بين المبتدأ وخبره الفاء نحو (كل امرئ فله رزق سيبلغه) وكذلك تدخل بين كل جزء للجملة مقدم وبين باقى الجملة نحو (وثيابك فطهر) . ومثل ذلك الفاء الواقعة في جواب أما غير أنها أقوى في هذا المعنى من البقاء على حدتها فالآية المذكورة يماثلها مع ضم أما في أول الجملة (أما اليتيم فلا تقهر) ومثل هذا نادر والعادة أن يتلو كلمة أما مبتدأ جملة اسمية نحو أما انت فلم تصل وأصل الفاء في مثل هذا واضح فهي جواب الموصول في أما فان أصلها ^{anfm} وما هي الموصولة وأن ربما كانت من العناصر الأشارية فالفاء في غير ما أوله (أما) ربما قيس بها على ما بأولها (أما) والفاء في مثل (كل امرئ فله رزق سيبلغه) أصل ثان نعرفه من أن اللهجات العربية الدارجة تعوض الواو من الفاء في مثل هذا نحو (كل بلاد ولها زى وكل شجرة ولها فى) فهذا يذكرنا التركيبات العطفية المكونة من اثنين من أشباه الجملة نحو أنت وذلك غير أنا إذا حذفنا الواو في مثل أنت وذلك

بقيت كلمتان منفردتان لا جملة وإن حذفنا الواو من مثل (كل بلادها زى) بقيت جملة كاملة وهي (كل بلادها زى) مع أن معناها ليس بمعنى الجملة الأصلية تماماً بل يقرب معنى تلك من أن يكون (كل بلاد في حالة كونها زى) قالوا وفي مثل هذا قرينة من واو الحال . فالخلاصة أن الفاء الداخلة بين جزء مقدم من الجملة وبين باقيها بعض أصلها من الفاء الواقعة في جواب أما وبعضه من الواو العاطفة بين اثنين من أشباه الجملة مع أنه يمازج هذه الواو شيء من واو الحال . وخبر الجملة الاسمية في (كل امرئ قلله رزق سيافه) فالخبر في هذه الجملة جملة كاملة هي (له رزق) ولا بد من أن يوجد في الجملة الخبرية ضمير راجع إلى المبتدأ هو في مثالا الضمير المتصل في له وهذا التركيب ونسبته بالجملة الاسمية المركبة كثير الاستعمال في العربية بعضه بالفاء بين المبتدأ أو الجملة الخبرية وأكثره بغيرها وهو قديم سامى الأصل مثاله من الأرامية *baitā dnā satreh* أى هذا البيت هدمه . وفائدة الجملة الاسمية المركبة تقارب فائدة العبارة الفرنسية المذكورة *c'est que* فتمكن الناطق من أن يقدم الكلمة التي يريد أن يذبه السامعين إليها أو الكلمة التي تربط الجملة الجديدة بما قبلها إلى أول الجملة بغير تغيير لتركيب الكلمات العادية . والعربية تميل إلى التحفظ بالترتيب المألوف فإنا لو أردنا في مثالا (كل امرئ قلله رزق سيافه) أن نقدم كل امرئ في جملة اسمية بسيطة لكانت (وكل امرئ رزق سيافه) وكان مثل هذا الترتيب غير مقبول في الزمان القديم وإن وجد كثيراً في الزمان الحاضر وفي اللغة العربية ، وقد تكون الجملة الخبرية من الجملة الاسمية المركبة مركبة هي نفسها من جملتين أو أكثر فيقع الضمير الراجع إلى المبتدأ في جملة معمول فيها لا في الجملة العاملة . مثال ذلك (إن حرب الأوس والخزرج ما حدثت تذكرت الخزرج قيس بن الحاطيم) فخير (حرب الأوس والخزرج) هنا مركب من جملة عاملة هي (تذكرت الخزرج) وجملة معمول فيها هي (ما حدثت) وضمير (حدثت) هو الراجع إلى المبتدأ الذي هو (حرب الأوس والخزرج) وكنتك في خبر كان نحو (كان الرجل في الجاهلية إذا كان شاعراً سموه الكاهن) فخير كان مركب من جملة عاملة هي (سموه) ومعمول فيها هي (إذا كان شاعراً)

وضمير كان هو الراجع الى فاعل كان الأولى الذى هو الرجل وهذا النوع من التركيب هو ما يفيد العربية خفة واستعدادا لتأدية المعاني المتنوعة أكثر مما نجده في سائر اللغات السامية - ومن خصائص العربية أن مبتدأ الجملة الاسمية المركبة ربما كان ضميرا للغائب لا علاقة له بالجملة الخبرية ولا راجع اليه فيها وهذا ما سماه النحويون ضمير الشأن نحو إنه (لا يفلح الظالمون) وأكثر ذلك بعد إن كما هو في هذا المثال أو بعد أن وقائدة هذا التركيب أنه يمكن الناطق من إدخال إن وأن على الجمل الفعلية نحو (لا يفلح الظالمون). فهذا مما يشهد بنزوية العربية شهادة مييزة ، فخيرها من اللغات السامية قد يقدم أمثال إن على الجمل الفعلية وإن كان موضعها الأصلي أول الجمل الاسمية فقط والعربية أعدمت الشواذ وأقست قاعدة إلحاق إن وأخواتها بالجمل الاسمية فقط وهي مع ذلك اخترعت وسيلة لقب الجمل الفعلية اسمية بغير تغيير تركيبها لكي يمكن إلحاق إن وأخواتها بالجمل الفعلية بواسطة لا مباشرة .. وبمبتدأ الجملة الاسمية منصوب بعد إن وأخواتها وكثرة ذلك من خصائص العربية مع كون أصله ساميا شائعا في غير العربية أيضا وما يدل على أن (إن) وهي أقدم الشكل كانت تعمل النصب في الأصل كما عمله في العربية ، وفي العبرية تلحق بها الضمائر على الطريقة التي تلحق بمضارع الفعل وأمره نحو *himenni* أي إني والنون الثانية من *enni* هي نون الضمير المنصوب والأولى هي نون التأكيد المستعملة في المضارع والأمر مثل *iq (enni* وتوجد في *himenni* أي إنا أيضا .. وفي العبرية بعض أخوات إن لا توجد في العربية قياس بها على أن منها *ōd* أي بعد وأيضا نحو *ōdenni hai* أي هو باقى في الحياة أصلها *ōden ī* والنون نون التوكيد أيضا .

والجملة الفعلية أبسط تركيبا من الجملة الاسمية ولا ينبغي لنا أن نتكلم عنهما تفصيلا بل يكفى الكلام عن مسألة واحدة من مسائلها وهي مسألة الفعل المعلوم الفاعل أو المسند اليه - أما الأول فهو فعل مالا يسمى فاعله نحو (ضرب زيد) فهو معدوم الفعل وليس بمعدوم المسند اليه فنراه أسند الى زيد وهو مفعوله

فإذا قلنا جملة (ضربت زيدا) الى ما لم يسم فاعله صار المفعول وهو زيد مسند اليه ، وحذف الفاعل في العربية قد يسند فعل ما لم يسم فاعله في بعض الأوقات الى ما لم يكن مفعولا بل كان منصوبا غير مفعول نحو (صير فرسخان) أصلها صاروا فرسخين و (صيم رمضان) أصلها صاموا رمضان ولا نظير لذلك في غير العربية . وحذف الفاعل عند نقل الجملة الى ما لم يسم فاعله هو الأصل في اللغات السامية بخلاف اللغات الهندية والأيرانية والعربية وترى فيها أن الفاعل لا يحذف عند النقل الى ما يسمى فيها صيغة التأثر بل يضم الى الفعل بواسطة أداة خاصة بهذه الوظيفة مثال ذلك في الفرنسية *Il a été frappé par moi* وفي الانكليزية *he has been beaten by me* وقد يوجد مثل ذلك في اللغات السامية وأكثر ذلك في الآرامية نحو *mi-lan* أي مسموع لما يعنى سمعنا ومثله في العربية اقيصة نادر جدا هذا إذا كان الفعل متعديا وله مفعول وإن كان لازما أو متعديا ليس له مفعول فيصير غير مسند بالنقل الى ما لم يسم فاعله نحو غشي عليه أو ذهب به ، فقد في مثل هاتين الجملتين المسند اليه لفظا وإن وجد معنى . فان الظرف أي (عليه) أو (به) يقوم مقامه . فلا نجد في العربية جملة مفقودة المسند اليه معنى . وهذا من خصائص اللغة السامية الأصلية أيضا وإن عدل عنه بعض اللغات السامية نحو *heskat* في الآرامية أي أظلمت الدنيا والجملة المفقودة المسند اليه كثيرة في اللغات العربية نحو *Il pluit* أو *It rains* وطبيعتها ضد طبيعة ما ذكرناه من (غشى عليه) فإذا وجدنا في غشى عليه أن المسند اليه مفقود في اللفظ موجود في المعنى وفي المثالين الفرنسي والآنكليزي هو مفقود في اللفظ أي *il* و *it* ومفقود في المعنى لأن *il* و *it* لا تفيد معنى أصلا بل هما علامتان لفظيتان لوقوع الفعل . وقد يوجد في العربية ما هو قريب من غشى عليه وأمثالها وإن لم يكن الفعل جديا على ما لم يسم فاعله مثال ذلك (كفى بالله شهيدا) و (لم يرع القوم الا بالرجال) فالمسند اليه وإن لم يوجد لفظا فقد قام مقامه معنى (بالله) و (بالرجال) وكان يمكن ان يقال (كفى الله شهيدا) و (لم يرع القوم الا الرجال) وقبسا على مثل (اكفى بالله شهيدا) و (إذا بالرجال) . ومن

غرائب العربية التي تتميز بها ليس عن سائر اللغات السامية فقط بل عن أكثر اللغات على العموم إسناد الفعل أو الخبر إلى ظرف زمان نحو (إذا ما قام ليل الحوجل) أي إذا قام البطيء والأحقق إليه ومن مثل ذلك أخذ وصف الزمان بالفعل نحو (يوم عاصف) وإضافة الفعل إليه نحو (مكر الليل والنهار)

القسم الثالث إلى هنا تم القسم الثاني من هذا الباب ويليه القسم الثالث في تركيب الكلمات في داخل الجملة . فأجزاء الجملة البسيطة إذا صرفنا نظراً عن الضمائر فبعضها أسماء وبعضها أفعال فيحصل انقسام بحث تركيب الكلمات في داخل الجملة إلى موضوعين : أولها توابع الأسم والثاني توابع الفعل ويتوسط بينهما موضوع ثالث هو توابع الأسماء المشتقة من الفعل كالمصادر وفاعل ومفعول إلى آخر ذلك ولأن أجزاء الجملة تؤثر بعضها في بعض سميناهم الاتباع . ونقسم إلى المواضيع الثلاثة المذكورة موضوعاً رابعاً سميناهم الاتباع

فتوابع الاسم هي أداة التعريف والبدل وما يقارنه والصفة والمضاف إليه أما التعريف فلا نجد في الأكدي ولا في الحبشية إذا نظرنا إلى اللغتين المشاهدين في المستندات الباقية . فإذا هو خاص بثلاث من اللغات السامية وهي العبرية والآرامية والعربية والأدوات المستعملة في هذه اللغات لتأدية التعريف اثنان ha في العبرية والآرامية مع أنها تليق بأول الكلمة في العبرية وبآخرها في الآرامية نحو $hammek$ أصلها $hamelek$ في العبرية و $malaka$ أصلها $malaka$ في الآرامية وهي al في العربية ومع ذلك فتقواعد التعريف والتكبير السائدة في اللغات الثلاث تتقارب جداً وهذا من العجيب فإنه لو كان التعريف من أصولها المشتركة فيها بين اللغات السامية الغربية لكان من المنتظر أن تكون أدواته واحدة في اللغات المذكورة وأن يوجد التعريف في اللغة العربية الجنوبية وفي الحبشية أيضاً وربما كان الميل إلى التعريف بين المعرف والمنكر تشترك فيه كل اللغات السامية الغربية قبل افتراقها ثم زال من العربية الجنوبية والحبشية . والعربية الشمالية أبدعت أداة خاصة بنفسها للتعريف . والعبرية والآرامية حسب تقاربهما في كثير من جواهر اللغة استخدمتا العنصر الأشاري القديم ha وربما كان الأمر على ضد ذلك فلا يكون

لغات الثلاث اشتراك تاريخي حقيقي في التميز بين التعريف والتنكير أصلاً بل تشابه مظهراً فقط . وكل واحدة منها تخصصات على قواعد التعريف بحالها مستقاة عن غيرها وهذه المسألة من نوع من المسائل كثير الوقوع في مقابلة اللغات وبالأخص اللغات السامية له أهمية أساسية . وذلك أننا كثيراً ما نردد ونسأل إذا عثرنا على تعابه ما بين لغتين متقاربتين أهو أصلي فيهما يرتقي إلى زمان اتحادهما قبل أن تتفارقا أم هو نتيجة تأثير أثره إحداها على الأخرى أم طرأ عليها تغيران مستقلان أحدهما عن الآخر انتهى إلى نتيجة واحدة لتساوي الأساسين والقوة المؤثرة فيهما ومثال الأول جل ما ذكرناه من العناصر السامية الأصل ووجودها وكثرتها وظهورها مما يحملنا على إثبات تقارب اللغات السامية وعلى اشتقاقها من أصل واحد . ومثال الثاني أننا نرى أن اللغة العبرية كانت تتأثر بالأرامية في أشياء كثيرة في زمان زوالها عن السنة الناس وقيام الأرامية مقامها . واسئلة الثالث كثيرة وخصوصاً بين الأرامية والحبشية منها أهمها لتأدية المفعول المرفع متصل ضمير الغائب بالفعل وتليانه المفعول ملحقا بأوله اللام مثال ذلك من الأرامية qablah leggarla أى قبل المكتوب ومن الحبشية 'Adam - azzazkahu la أى أمرت آدم فلا يمكن أن يكون هذا التركيب أصلياً في كلتا اللغتين فنراه ينشأ في الأرامية في مدى تاريخها الظاهر في مستنداتها ولا يمكن أيضاً أن تكون إحدى اللغتين أثرت في الأخرى لأنه أم تكن بينهما علاقة يحتمل منها ذلك فلا بد من تشوؤ هذا التركيب في اللغتين على حدسهما والداعي إليه واحد فيهما وهو الحاجة إلى التعريف فإن الأرامية وإن كانت لها أداة للتعريف في الأول كانت قوتها المرفقة ذات وتلاشت كما ذكرنا آنفاً والحبشية لا تحوي أداة تعريف أبداً والوسائط إلى الحصول على المحتاج إليه كانت موجودة في كليهما وهي الضمير المتصل الذي من طبيعته أن يكفى عن معرف، واللام التي كانت تداخل بين الفعل والمفعول في أحوال ممدودة منذ زمان قديم . فهذا مثال ما قلناه من تساوي الأساسين والقوة المؤثرة فيهما فأما تطابق العبرية والأرامية والعربية في كثير من قواعد التعريف والتنكير فيمكن أن يكون من أصولها

المرتقية الى زمان كونها لغة واحدة ويمكن أن يكون من النوع الثالث من التشابهات وهو التغيرات المستتمة على خطوط متوازية فمن أهم قواعد التعريف في اللغات الثلاث أن المضاف اليه المرفوع يعرف بالمضاف فلا يمكن إدخال آلة التعريف عليه نحو بيت الملك أي البيت الملك وهي في العبرية *bet hammelek* وفي الآرامية العتيقة *bet malka* فإذا فرضنا أن هذه القاعدة ليست بأصلية قديمة بل حديثة في كل واحدة من اللغات وجب علينا أن نبين طريقته الى فهم نشوئها وهي ليست مما لا يحتاج الى تفسير فانا راها تضاد قواعد التعريف السائدة في اللغات الغربية فمنها لثا ترجمته بالفرنسية *la maison du roi* وبالإنكليزية *the house of the king* فنشاهد آلة التعريف قبل المضاف في كليهما . وربما أمكننا تبين أصل تلك القاعدة على هذه الطريقة . . إن مما اشترك فيه كل اللغات السامية وحصل الضمائر المجرورة بالأسم نحو بيتي وهي في الأكديّة *biti* وفي العبرية *beti* وفي الآرامية العتيقة كذلك وفي الحبشية *beteia* فلما اخترعوا آلة التعريف لم يروا إدخالها على مثل هذا واجبا لأنه وإن امكن أن تشير بيتي مثلا الى بيت واحد من بيوتى . فالأقرب من الاحتمال أنه يعنى بها بيت لى معين . واللغات الغربية منها ما هو على مثل هذا كالفرنسية والإنكليزية والألمانية فببقي فيها *mein Haus 'my house 'ma maison* ومنها ما هو على ضد ذلك كاليونانية أو الطليانية فببقي فيها *la casa mia, he oikia mou* بالآلة التعريف مع الضمير . ثم بعد ما ثبت أن بيتي وامثالها معناها التعريف قاسوا عليها سائر المضافات المعروفة بخلاف اللغات الغربية . وبها كان أصل التعريف في العربية فلا شك أنها وضعت له بعض القواعد الجديدة وقيدته أكثر مما قيدته اللغتان الأخريان بعني العبرية والآرامية . من ذلك أنها شددت معنى التنكير حتى أنه يعبر في المفرد عن الوحدة نحو (من غروجه) أى من غروجه واحد والجمع المتكلم قد يعبر به عن التعدد نحو مكثوا أياما أى أياما متعددة وقد يوجد مثلها في العبرية ايضا نحو *iam im* أى عدد من الأيام ، *vanim* أى عدد من السنين . ومن ذلك إثبات درجة بين التعريف والتنكير ووضع القواعد لها وهي أنواع أحدها تعريف الجنس بخلاف

تعريف المهدنحو (الرجل خير من المرأة) معناه المجلس المسمي برجل ، وكثيرا ما يقرب ذلك من التكثير فيكون معناه اى ماكان من المجلس. وخصصوا الاسماء المعرفة جنسا بوصفها بالمثل الوصفية غير الموصولة نحو (انك المرء رجوه) فهى متوسطة بين (انك المرء الذى رجوه) فيكون هو رجلا معروفا بعينه وبين (انك امرؤ رجوه) . فالعنى مبهم تماما . ونوع آخر من الدرجة المتوسطة بين التعريف والتكثير اضافة مضاف الى مضاف اليه معرف اضافة غير حقيقية نحو حسن الوجه وطالب الثأر وخصصوا مثل هذه بدخول لام التعريف على المضاف فقالوا (الرجل الحسن الوجه) (والطالب الثأر) . ونوع ثالث من ذلك اضافة بعض الكلمات المهمة الى المعارف فتبقى منكورة مع ذلك نحو بعضهم اى واحد أو عدة منهم والعربية مداومة الرعاية للتعريف والتكثير فى تأليف الجملة تفرق بذلك بين اجزائها . فالفاعل والمبتدا معرفان . والخبر والحال منكران الى غير ذلك . وإن وجد شواذ من هذه القواعد قلما قواعد اخرى

أما البدل والتوكيد والوصف فأكثر خصائصها ساءى الاصل لا تختص به العربية وبما يجب الالتفات اليه التمييز وما يقاربه فكثيرا ما نجد الإسم التابع لتعبيره منصوبا . من ذلك ان نصب بعد الاعداد من احد عشر الى تسعة وتسعين نحو عشرون رجلا . وكذلك (كم رجلا عندك) و (فلن يقبل من أحد ملء الارض ذهبا) ومن ذلك التمييز التابع للوصف وخصوصا للمفضل منه نحو (هو رفيع قدرا) و (أنت أعلا منزلة من غيرك) . وقد تقاس على ذلك الافعال نحو (طرب نفسا) و (جرى دما) . ومن ذلك (انتم المؤمنون) و (امرأته حمالة الحطب) ؛ وكل هذا ومثله يكاد يكون خاصا بالعربية لا نجد له الا آثارا قليلة فى سائر اللغات السامية ؛ منها انه يحتمل ان يكون المعدود فى العبرية فى مثل *mōi mī'a bra'*

تقديره النصب كما هو الحال فى العربية فى اربعون يوما . ومنها فى العبرية

kabbōr mē' abīkā iāmīm اى اكبر من ابيك اياما و *iāmīm* هنا

لا يحتمل ان تكون جرا لتدخل الكلمة قبلها فلزم ان تكون نصبا . والارجح انه وان لم نجد اكثر التركيبات فقد قال النحويون ان (انتم المؤمنون)

تتدبرها (أنتم أعني المؤمنين) وربما كان هذا صحيحا أو قريبا من الصحيح وعلى كل حال فأصل النصب في هذه غير أصله في النوعين الأولين ، وما يشير إلى ذلك أن المنصوب معرف في مثل (أنتم المؤمنين) وهو منكر في مثل (عشرون رجلا) و(رفيع قدرا) والتذكير يقرب النصب فيهما من نصب الحال ونصب خبر كان وأخواتها ونصب ما ياتلها من توابع الفعل فنرى المنصوب منكرا في كل ذلك أيضا فيحتمل أن يتعلق النصب المذكور في توابع الأسماء به في توابع الأفعال وإن لم يمكننا تبين طبيعة العلاقة بينهما ومن خصائص الوصف التي تستحق الاطلاع عليها وصف الشيء بصفة شيء آخر مربوط به يذكر بعد الصفة نحو (مررت برجل كثير أعداؤه) فوصف الرجل بصفة شيء مربوط به وهو الأعداء الذين صفتهم الكثرة ، والأصح أن النسبة بين (كثير) و (الأعداء) ليست بوصفية بل اسنادية فصفة الرجل هي كون أعدائه كثير ، والعبارة المألوفة في وصف هذا الشيء بمعنى أسند أحدها إلى الآخر هي الجملة الوصفية وكان يمكن استعمالها في مثالنا ويكون إذا (مررت برجل أعداؤه كثير) فيحتمل أن يكون الخبر قد قدم فصارت (برجل كثير أعداؤه) ثم أتبعوا كلمة (كثير) للاسم السابق لها كأنها وصفها فأصبحت (برجل كثير أعداؤه) فهذا أصل واحد للتركيب المذكور ، وربما كان له أصلا آخر معه وذلك أنه كثيرا ما يكون الكلام بهما وحتى مخطئا في الأول ثم يستدرك أو يصحح ، ومثاله في العربية بدن الأشمال والغلط نحو (أعجبني عمرو حسنه وأدبه وعلمه) و (مررت برجل حمار) أي لا يرجل بل بحمار فمن ذلك قولي (رأيت رجلا حسنا) ثم استدركته بقولي (وجهه) أي وليس الحسن هو الرجل كله بل وجهه ، فيحتمل أن يكون هذا هو الأصل الثاني للتركيب المذكور ، وفي مثل (الكتب الآتي ذكرها) كان المتظر إذا صدرنا عن الأصل الأول أن أن تتبع كلمة « الآتي » كلمة « ذكرها » لكونها خبرا لها فتكون منكرا مذكورة مرفوعة ، وإذا صدرنا عن الأصل الثاني انتظرنا أن تتبع كلمة « الآتي » كلمة « الكتب » لكونها وصفا لها فتكون معرفة مؤنثة منصوبة ، فهي في الحقيقة بين الاثنين معرفة مذكورة منصوبة . فنرى من ذلك أن أصل التركيب أصلا

وأن الوصف وجهان : فيكون وصفا للاسم السابق له ، وخبرا للاسم التالي له .
 ويجوز جعل مثل هذا الوصف اسما موصوفا كسائر الأوصاف فكما يجوز أن أقول
 (الحسن) أعني الرجل الحسن كذلك يجوز أن أقول (المؤلفة قلوبهم) أي
 الرجال المؤلفة قلوبهم والتزيب المذكور كثير في الاسم المفعول وإيس له مسند إليه
 نحو (الرجل المغشى عليه) و (المرأة المغشى عليها) من غشى عليه وعليها وقد
 ذكرنا ذلك ، فالتركيبات التي من هذا الجنس تساوى الأوصاف فقد تستعمل
 خبرا نحو (هو مغشى عليه) و (هي مغشى عليها) و (كان مرحولا إليه) من
 يرحل إليه ، أو اسما موصوفا فتعرف باللائق واللام نحو (نلت المرغوب عنه لا
 لا المرغوب فيه) . وقد توجد في العربية أمثلة أخرى لجزء من الجملة له وجهان
 منها (أرى السيوف ستسل) فالسيوف منصوبة لأنها مفعول « أرى » ومع ذلك
 أسند إليها كلمة « ستسل » وكان يمكنني أن أقول (أرى أن السيوف ستسل)
 والاضافة سامية الأصل وقد ذكرنا أن المضاف لم يكن معربا في الزمان
 القديم وأن عدم إدخال أداة التعريف عليه مما تشترك فيه العربية مع العبرية
 والآرامية . والاضافة قد توازن الإبدال أو التأكيد في بعض الأحوال منها -
 أنه يمكننا أن نقول (ثوب حرير) أو (ثوب حرير) ويمكن أن يقال (ثوب
 من حرير) أيضا ، ومن ذلك (ثلاثة رجال) أو (رجال ثلاثة) ، ومن ذلك
 أن الكل ومثلها والنفس ومثلها قد تضاف إلى الاسم وقد تبدل منه بانصال
 ضمير راجع إليه مثال ذلك (كل الناس) أو (الناس كاهم) و (كلتا الحاتين)
 أو (الحاتنان كلتاهما) و (نفس الامر) أو (الامر نفسه) و « كل » سامية
 الأصل على اختلاف معانيها (كل شيء) مثلا يقابلها في العبرية kol dābār
 منكرة في معنى كل واحد من الأشياء و (كل الأشياء) يقابلها kol hadbārīm
 معرفة في معنى جميع الأشياء . والنفس تستعمل في الآرامية مبدلة فقط نحو
 luḥapšēl أي هو نفسه وهي في العبرية لا توجد لامبدلة ولا مضافة إلى الأسماء
 وإنما تضاف إلى الضمائر نحو u ai e ḥābēhū knāpsō أي فأحبه كمنفسه يعني
 كحبته لنفسه . وتقارب النفس في العربية العين وهي تضاف أكثر مما تبدل نحو

(عين الامر) وقد تؤخر مع الحاق الباء نحو (الامر بعينه) وهى فى هذا المعنى خاصة بالعربية، ويوجد فى سائر اللغات السامية أسماء آخر مرادفة لها نحو الرأس أو qnōmā فى السريانية ومعناها الشخص . وعند الكل هو البعض وتركيباتها متنوعة فى العربية يوازن بعضها تركيبات الكل ولا نظير لها فى سائر اللغات السامية . ومما يماثلها من جهة كثرة الاضافة الى غيره وعدم التعرف بالاضافة الى المعرف « مثل » وما يرادفها ، وليس لسائر اللغات السامية اسم فى هذا المعنى يل تكتفى بالكاف ، ومنه غير وهى مما اخترعته اللغة العربية مبنية فى ذلك مزيتها وطبيعتها فاننا نرى « غير » متنوعة المعانى والوظائف واسعة العمل وهى مع ذلك مضبوطة بالقواعد التى لا تدع مجالاً للتردد فى طريقة تركيبها مع غيرها ولا فى ما تفيده فى اى موضع كان . ومن ذلك ذو وصاحب ويقابل الصاحب فى سائر اللغات السامية بعض الاسماء نحو ba al habbait فى العبرية أى صاحب البيت وليس لها عنصر اشارى فى هذا المعنى غير أن الاسم الموصول الذى أصله اسم من أسماء الإشارة قد يقارب « ذو » فى الاضافة الى الأسماء ، مثال ذلك من الأرامية bēḡ gid zaiḡn dī malkā أى بيت الخزان ذو الملك يعنى الذى للملك ، ومن الحبشية haṭi al za-hegb أى الخطيئة ذات القوم يعنى خطيئة القوم ، والفرق بين العربية وبين الأرامية والحبشية أن dī و za هما اسماء الموصول العاديان الخاصان بالفتين فلا تقابلان « ذو » العربية التى لا معنى لها غير معنى الصاحب . فاذن الارامية السنية وهى d فى السريانية و za فى الحبشية علامتان للاضافة ، ومثلها كثير فى اللغات السامية وفى اللهجات العربية الدارجة والعربية الفصحى لما فيها من الاعراب الدال على كل احوال الامم دلالة غير مشبهة لا تحتاج الى علامات خاصة بالاضافة . وقد تستعمل بعض اللغات السامية بعض أسماء القرابة فى معنى قريب من معنى ذو أو صاحب وأكثرها استعمالاً فى هذا المعنى ابن وبنت نحو (ابن السبيل) و (بنات الدهر) أى المصائب و (ابن ثلاثين سنة) ويطابقها فى العبرية ben s̱ōsīm s̱ānā والسريانية بتعدى فى ذلك الى مثل bar iaumā أى ابن يومه يعنى فى ذلك اليوم بعينه ، ومثل

ذلك اهل القرآن واهل السنة ، وقد يقع الاخ والاخت في مثل ذلك نحو
 (أخو الخير) و (اخوان الصفاء) وليس لذلك نظير في غير العربية . . . ومن
 غريب الاضافة إضافة الاسم الى الصفة وبالعكس . مثال الاول (سورة الفاتحة)
 و (دار الآخرة) و (بيت المقدس) ولكلها سبب : أما (سورة الفاتحة)
 فـ (الفاتحة) قامة مقام الاسم الموصوف وهي اسم علم لأم الكتاب فالإضافة في
 (سورة الفاتحة) كالإضافة في (مدينة بغداد) ، و (دار الآخرة) تقديرها
 (دار الحياة الآخرة) فقام الوصف مقام الموصوف ، و (بيت المقدس) أصلها
 (البيت المقدس) ثم حذفوا أداة التعريف في الكلمة الأولى ثم ضلوا في التركيب
 فظنوه إضافة وهو في الحقيقة وصف ومثله كثير في العربية المتوسطة بين الفصحى
 والدارجة . . . والثاني أي إضافة الوصف الى الاسم أنواع منها مثل (حسن
 الوجه) وقائدة الإضافة هنا تخصيص المعنى فالحسن يرجع الى الوجه فقط لا
 الى غيره ونرى المضاف اليه في هذا التركيب دائماً معرفاً في العربية تعريف جنس
 ولا يعرف في غيرها ، مثاله من العبرية *ipat to'ar* أي حسنة الصورة ، فيذكرنا
 ذلك بما تكلمنا عنه في مثل (رفيع قدرا) منكرة ، غير ان *to'ar* في المثال العبري
 مجرور لا منصوب ونعرف ذلك من الكلمة السابقة لها وهي *ipat* فهي مضافه
 هنا ولو كانت غير مضافة لكأن *ipat* فالإضافة في العبرية شكل خاص به . فيظهر ان
 إضافة الوصف الى اسم يخص معنى سامية الاصل غير ان العربية عرفت
 المضاف اليه وهو منكر في الاصل والتعريف كما قلنا تعريف الجنس ولذلك لا
 يعرف المضاف اليه المرف المضاف فيمكن وصف المنكر بمثل حسن الوجه نحو
 (رجل حسن الوجه) ويمكن تعريفها بالالف واللام نحو (الرجل الحسن الوجه) .
 والجوهر في كل هذا هو الاصل لانه خاص بتركيبات الاسماء غير البدلية والوصفية
 بخلاف النصب الذي هو خاص بعمل الافعال في الاسماء مثل (رفيع قدرا) أبعد
 عن الاصل من (حسن الوجه) والنسبة المعنوية بين الكلمتين في مثل (حسن
 الوجه) إسنادية لان المعنى هو ان وجهه حسن وذلك يذكرنا بما في مثل (رجل
 كثير أعداء) من الوصف بالاسناد ، فنجد في العربية ثلاثة تركيبات تكاد

أن تكون مترادفة (رجل حسن الوجه) و (رجل حسن وجهها) و (رجل حسن وجهه) غير أن بينها اختلافات يسيرة في المعنى وفي الاستعمال ومن إضافة الوصف إلى الاسم (أفضل الرجال) و (أفضل رجل) و (عزز كتابكم) وما يماثلها فرقع الوصف في كل هذا إلى درجة الاسماء الموصوفة كأنه يقال (الشيء العزيز من كتابكم) إلى آخره وذلك ما يفرق هذا النوع عن النوع السابق فإن الوصف في مثل (حسن الوجه) يبقى وصفا لا يتخالف معناه شيء من الوصفية ، ومثل (أفضل الرجال) كثير في اللغات السامية غير أنها تستعمل الوصف العادي لأنه لا يكون فيها صيغة خاصة بالفضيل مثال ذلك من العبرية qṭōn bānāy أي أصغر بنيه ... وبخلاف ذلك فأضافة الوصف إلى مفرد منكر كـ (أفضل رجل) خاصة بالعربية فنكروا المضاف إليه بدل تعريفه فأشاروا بذلك إلى أن الرجل ليس بالأفضل الذي لا أفضل منه بين الرجال البتة بل واحد من الأفاضل وأفردوا المضاف إليه بدل جمعه لأنهم لو قالوا (أفضل رجال) لكان المعنى الأفضل الذي لا أفضل منه بين بعض الناس وهذا غير المراد فالإضافة في فضل رجل رقرية عنها في (مدينة بغداد) ومثلها أي تمييزية فكما أن (مدينة بغداد) معناها المدينة التي هي بغداد فكذلك (أفضل رجل) معناها أفضل كثير الفضل هو رجل . والإضافة في (أفضل الرجال) تخالف تلك فهي إضافة البعض إلى الكل . فينتج من الفرق في طبيعة الإضافة بين العبارتين فرق في المعنى زائد على ما ينتج من تكبير الرجل وإمراده في (أفضل رجل) وذلك أن معني (أفضل رجل) لا يكاد يزيد على (رجل فاضل جدا) ومن أحوال الإضافة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وهو كثير في العربية نحو (صلى الفجر) أي صلاة الفجر ومنه في العبرية āmī أي دوام وبقاء في معني الأضحية الدائمة بدل olat āmīd أي أضحية دوام .

والأسماء المتعامة بالأفعال — يعني المصادر وقاعل وأخواتها — حافظت في العربية على كثير من عمل الأفعال : منه رفع الفاعل في مثل (منع الناح من مخاطبته أحد بسيفنا) ونصب المفعول في مثل (إطعام في يوم ذي مسغبة

يَيمَا) أو (بكي لضرب المؤدب إياه) وفي (المؤتون الزكاة) و(ما أنت بتابع قبائهم) ونصب المفعول الثاني في مثل (جاءل الليل سكنا). ويوجد مثل ذلك في بعض سائر اللغات السامية أيضا غير أنها لم تضع لأعمال الأسماء المتعلقة بالافعال عمل الأسماء أو الأفعال قواعد ثابتة كالتى تراها فى العربية . ومن العمل الفعلى فى العبرية نصب مفعول المصدر فى مثل *et Dāvid et Ihāmīt* أى يقتل داود و *et* *ahre hōdīā cōhīm otkā et kol zōt* فى العبرية أو *ha anāsini hambaqsiu et* كل هذا بمفعولين بعد المصدر، ونصب مفعول فاعل فى مثل *napseka* أى الناس الطالبون نفسك يعنى حياتك . ورفع الفاعل هو أحد التركيبات الأوية المطلقة التى حافظ عليها بعض اللغات السامية أكثر مما نشاهد فى العربية مثال ذلك من العبرية *hakōt otkō kol mōs o* أى ضربه كل واجده يعنى ضرب كل من يجده إياه أو *lanūs sammarōseah* أى لهرب هالك قاتل يعنى ليهرب الفاتل هناك .. وقد تعمل صفة فاعل فى العربية النصب العباغة فى تنكيرها نحو قراءة بعضهم (كل نفس ذائقة الموت) بدل قراءة العامة (ذائقة الموت) وهى منكورة فى هذه القراءة أيضا لانهم عدوا إضافة فاعل الى مفعوله من الاضافة الغير الحقيقية ولذلك أجازوا تعريف الفاعل المضاف الى المفعول المعرف بالالف واللام نحو (الواهب المائة الهيجان) ومثل ذلك نادر .. وقد خصت الأسماء المتعلقة بالافعال بعمل تفارق به الأسماء والافعال جميعا حسب موقفها بين هذه وبين تلك وهو « من » للفاعل و « اللام » للمفعول نحو (ما أواعدهم لإخادعة منى) و (قال ذلك إكراما له) و (ما كنا للغيب حافظين) و (من) للفاعل قد يوجد فى بعض اللغات السامية مع ضيغة ما لم يسم فاعله اذا سمي فاعلها بخلاف اسمها ومعناها الاصلى مثاله من الحبشية *em - malā ekt tessaggad* أى من الملائكة تسجد يعنى يسجد الملائكة لك ، واللام للمفعول كثير فى العبرية والارامية وخصوصا فى الحبشية مثال ذلك *ua-la-hedān tegazerū* أى فاختبوا الولد ومثل هذا نادر جدا فى العربية ، مثاله من القرآن الكريم (ان كنتم الرؤيا تمهرون) وأقتصرت اللام للمفعول فى العربية غالبا على مفعول المصدر و (فاعل) وأخواتها فوضعت

العربية قواعد تحدد الحالات التي يجوز فيها استعمال اللام . . . ومن خصائص العربية أنها قد تعمل بهض الاوصاف المتعلقة بالعمل غير (فاعل) وأخواتها عمل (فاعل) أيضا ونادرا ما ينصب مفعولها نحو (إن الله يسمع دعاء من دعاه) وكثيرا ما تدخل عليه اللام نحو (سماعون للكذب) أو (أمقت الناس لشرع) وأما توابع الفعل فتنصب مفعولا كانت أو حالا أو خبرا أو ظرفا أو غير ذلك إلا ما تدخل بدنه وبين الفعل حرف من الحروف الجارة وأكثر ذلك سامى الأصل فالتنصب هو عمل الفعل كما ان الجر هو عمل الاسم وللعربية قليل من الخصائص في هذا الباب فالتنصب ظاهر في العربية يظهره الاعراب كإظهاره للرفع والجر بل إظهارا أبين من إظهاره لها فأن ترى الرفع والجر يحذف اعرابهما في الوقف والفتحة الاتهائية في التنصب اذا كان منكرًا لم تحذف بل تعد وذلك يدل على أنها ممدودة في الأصل ومجدها كذلك في العربية في بعض الاحوال نحو baitā أي يتنا يعني في البيت والى البيت تحذف الاعراب في العربية ولم يبق منه الا الفتحة في التنصب وهي تقتصر على الظرفية دون المفعولية والخيرية ولذلك احتاجت العربية في بعض الاحوال الى علامة في المفعولية غير الاعراب وهي *et* المذكورة وتدخل على المفعول المعرف نحو *u a i i a r' elohim' et ha' or ki tob* أي فرأى الله الثور أنه حسن يعني فوجد أنه حسن ويقابل *et* في الأرامية العتيقة *et* وفي العربية اياوها لا تدخلان إلا على الضمائر المتصلة نحو *manniā iāthōn* أي عيّنهم ومن العربية (إياك نعبد) والأرامية في غير الضمائر تستعمل اللام علامة للمفعولية وإذا كان المفعول معرّفا تشير إليه بضمير متصل بالفعل يتبعه المفعول نفسه نحو *qabbāh legga* أي قبله للمكتوب يعني تقبل المكتوب وقد ذكرنا ذلك آنفا والعربية لا تعرف مثل هذا أبدا بل تكفي بالأعراب في الإشارة الى المفعولية

والعربية كثيرة الاستعمال للتنصب في الحال وفي خبر كان وأخواتها . وخبر الفعل حال في الأصل فأن قولي (كان تاجرا) أهل معناه عاش وهو تاجر . والحال وخبر الأفعال المطابقة لكان وأخواتها كثير في غير اللغة العربية أيضا

إلا أنها بما فيها من ظهور النصب ومن التباين بين المعرفة والنعرة تمكنت من إقادة المعاني المتشعبة بواسطة الحال وخبر الفعل وتمكنت من تفريق بعضها عن بعض وعن غيرها والقواعد المؤدية الى ذلك معلومة . ومن الغريب أن العربية مع كل ذلك ومع ميلها الى التحديد والتقييد لم تتحصل على الغناء التباس صاحب الحال الناشئ من وجود أسماء أو ضمائر غير واحد في بعض الجمل فلا يظهر إذاً أيها هو صاحب الحال مثال ذلك أنه اذا قلت (لقيته راكباً) لا يمكن السامع معرفة هل أنا كنت راكباً وقت اللقاء أم هل كان هو الراكب . وما يوافق مزية العربية الدافعة لها الى استعمال التركيبات الظرفية والعبارات الصناعية ثم استفادت من هذا الإيهام في مثل (لقيته مصعداً منحدراً) أي وأنا مصعد وهو متحدر أو بالعكس وفي مثل (متى ما تلقاني فردين) أي ونحن فردان . وما تنفرد به العربية من هذا الباب كثرة وقوع المصادر حالاً نحو (أخذت ذلك منه سيماً) أي سامعاً أو من (صار الى الاسلام طوعاً أو كرهاً) أي طائماً أو كارهاً . . . ومن مسائل عمل الأفعال عملها العائد الى إفعالها ولذلك في اللغات السامية ثلاثة أنواع من العبارة : أولها صيغ من صيغ الفعل خاصة بهذه الخدمة نحو (انتحر) أي نحر نفسه فالفاعل في هذا المثال هو عين المفعول ومثله نادر وأكثره وجوداً أن الفاعل يكون المفعول له أو به الى غير ذلك نحو (اكتسب) أي كسب لنفسه ، والعبارة الثانية هي وصل الضمير بالفعل مثاله من العربية *altappilkā biqhālā* أي لا تنزل في الجماعة يعني لا تنزل قدرك وهذا نادر جداً ولا يوجد في العربية الا مع أفعال القلوب نحو (إني أراكي أعصر خيراً) أو (كيف يجرك) ولا يجوز مثل هذا في غير العربية ، والعبارة الثالثة هي المألوفة وهي التعويض عن الفاعل باسم الفعل نحو (من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) فاتصل بالنفس الضمير العائد الى الفاعل واذا كان الفاعل ليس مفعولاً بل أضيف اليه جار يمكن أن يوصل بالجار ضمير عائد الى الفاعل نحو (دماه اليه) وادخال النفس بينهما أكثر استعمالاً نحو دعاه الى نفسه . وأما الحروف الجارة العربية فكثير منها سامي الاصل أو سامي غربي على الأقل مع أن بعضها غير سامي تمييزاً يسيراً

مثال ذلك أن اللام كسرت مع الاسماء على قياس الباء نحو للبيت ككبابيت
وكانت في الأصل مفتوحة وهي كذلك في العبرية والحبشية نحو *lā-rōb* أي لرب
بمعنى كثيرا و *la-medr* أي للأرض وبقيت الفتحة سالمة عند وصل الضمائر باللام نحو
(لسم) يطابقها في العبرية *lakem* وفي الحبشية *lakennu* ونقلت العربية ومنها
الحبشية واحدا من الحروف الجارة القديمة هو *adi* وهي في الأكديّة *adi* وفي
العبرية *ad* وفي الآرامية مع إلحاق ما الزائدة *damma* فتتوب عنها في العربية
« حتى » وزادت العربية على الحروف الجارة القديمة جديدة كثيرة منها « في »
علاوة على الباء ومنها « عن » علاوة على « من » السامية الأصلية ومن ذلك
أن *im* العبرية يحاذيها في العربية تجارات وهما مع المطابقة *im* نفسها وعند
المطابقة لفظا *imma* العبرية أي معي وقد ذكرنا أصلا فصارت الباء تدل
على الاتصاف كقولي (به داء) والاستعانة كقولي (كتبت بالفلم) والمصاحبة
نحو (اشترى القرس بسرجه ولجامة) و « في » تدل على المكان نحو في البيت
وهي في الحبشية *babet* وفي العبرية *babbait* وفي الآرامية *baita* وبالباء أيضا .
وكذا صارت « من » تشير إلى ابتداء الغاية كقولي (سرت من البصرة)
والتبعض نحو (أخذت من الدراهم) واليبين نحو (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)
و « عن » تشير إلى البعد نحو (بعيد عن البيت) وهي في الحبشية *ba'id em-bet*
وفي العبرية *rahōq min habbait* وفي الآرامية *mab da mén baita* كلها بن فتحة
من هذه العلوات أن العربية لم تكن من توزيع وظائف الباء مثلا على
جارين هما الباء وفي ، فحصل من ذلك تخصص موافق لطبيعة العربية ، وقد
ابتدعت العربية عددا كبيرا من الأدوات الجارة وأكثرها على قياس تحت وهي
نفسها سامية الأصل أو سامية غربية بقابلها في العربية *tahat* وفي الآرامية
thet أو *thot* وفي الحبشية *tahat* وهما قيس عليها في العربية دون (فوق وبعد
وقبل وأمام ووراء وقبل وإزاء وحذاء وغيرها) واخترعت العربية غيرها
القياس (لدى ولدن وحتى) ومما اختلفت به العربية من ضروب استعمال أدوات
الجر الباء لتعديتها أفعال المتحرك والانتقال من موضع إلى موضع نحو (جئت به)

أى (اجأته) و (أثبت به) أى آتته وأصل المعنى أنى جئت بصحبته وجئنا
 معا ومن ذلك « من » عند أفعال القرب نحو (قرب منه) و (دنا منه) ويتلوها
 مثلاً فى العبرية اللام أو أى الى ، ومنه ادخال « من » بعد « ما » و
 « إن » النافين نحو (ما لهم من ناصرين) فهى هنا داخلة على المبتدأ ، و (ما
 جاءنى من أحد) فهى داخلة على الفاعل ، و (ما جعل الله لرجل من قابين فى
 جوفه) فهى هنا داخلة على المفعول . ومنه تضاد معنى الفعل عند تضاد الجارين
 النافين له نحو رغب فى الشئ ، أى اشتهاه ورغب عن الشئ ، أى كرهه . ومنه
 أن العربية كثيرة الإيجاز فى استعمال الحروف الجارة ، والإيجاز من علامات
 العربية الميزة لها تميزاً ظاهر عن غيرها من ذلك (إني لست منك ولست مني)
 أى لآعلاقة بينى وبينك ، و (كساه عن العرى) أى كساه فلم يبق عارياً و (عفا
 عن قدرة) أى عفا مع أن له القدرة على العذاب ، و (بأبى أنت) أى قدرك
 عندى قدر أبى ، و (كأن بك تخادتنى) أى يظهر لى وأخاف أن تخادتنى ، و
 (على به) أى قالوا به الى ، و (أنا لك بذلك) أى اكفل لك به ، و (انى
 لى بالشعم) أى كيف يمكننى أن أصير شعباً ، و (نحن بالله) أى نتوكل على الله
 و (ما أنا عليه) أى الحاله التى أنا عليها ، و (صالحه على الف درهم) أى على
 شرط دفعه اتف درهم ، و (لونه الى السواد) أى مائل الى السواد . و (بعدى)
 أى بعد موتى . . ويمكن إضافة الجار وخصوصاً « من » الى بعض الحروف
 الجارة والمبنية على انفتح منها فتختص اذاً بنحو (هذا من عند الله) وكذلك
 (نزل من على فرسه) و (قد باقت من لدنى أجراً) ولا تجوز إضافة الجار الى
 « مع » فالحروف الجارة المبنية على الانفحة غير « مع » أصلها أسماء نصب
 لتأخوف فلا تنجب أنها تختص بعد جار و « على » تبع (فوق) فى ذلك
 و « لى » تبع (عند) وبعض اللغات السامية غير العربية يتعدى ذلك الى
 مثل *min* أى فأخذ من لديهم بإضافة *min* الى *et*
 و *el mihus* فى العبرية أيضاً أى الى من خارج معنى الى خارج من البيت
hne isu ad isra أى لمن رجل وحقى امرأة يعنى ما بين رجل وامرأة

و *batreh* في الآرامية أي لبائره يعني لورائه والى ورائه
 قد يضاف معنى الاسم المضاف إليه حرف الجر إذا كان مضافا إلى اسم آخر أو ضمير
 فيصدران معا بمنزلة حرف جر نحو (بين يديه) أي أمامة و (على يديه)
 أي بواسطة و (من شأنه) و (لشأنه) و (لأجله) و (بغير) و (من
 غير) إلى غير ذلك ومثل ذلك كثير في اللغات السامية نحو *biad idau* في الآرامية
 أي يد يديه معناها يديه قلم يبق (يد) الأولى معنى مستقل أضلا
 و *al idē* في العبرية أي على يدي فلان غير أن معناها غير معنى تلك وهو حسب
 و *lirce* في العبرية أي لوجه فلان معناها أمامه و *batar* المذكورة آنفا في
 الآرامية معناها وراء ولا يطابق أحد الأمثلة السامية واحدا من العربية مطابقة
 تامة إلا أن (بلا) و (هم) لم تر كـب من حرف جار واسم بل من حرف
 جار وحرف للتي يطابقها *blo* في العبرية و *ina balu* في الأكديّة و *enbala*
 في الحبشية

وقواعد الانباع السائدة في اللغات السامية تختلف عنها في اللغات الهندية
 والایرانية والعربية اختلافا هو من أشهر علامات الفرقين فنرى اللغات الهندية
 والایرانية والعربية مؤسسة على الانباع التام ، فكل جزئين من الجملة بينهما علاقة
 بخوبة يتفقان على أكثر ما يمكن الاتفاق في العدد والجنس والاعراب فإذا كان
 الإفعال مثلا مؤنثا لزم أن يكون الفعل كذلك قدم أو آخر وإذا كان الاسم مثلا
 مذكرا مجموعا يكون الموصف مثله وكل تابع لمرفوع فهو مرفوع ضرورة إلى غير
 ذلك . والانباع في اللغات السامية وخصوصا في العربية ناقص من جهات: منها
 أن الفعل المقدم يجوز أن يكون مذكرا مفردا في أكثر الحالات على اختلاف
 أحوال الفاعل ، ومنها أن الجمع المكسر ودا يشا كله يشع غالبا كأنه مفرد مؤنث
 ومنها أن بعض الأوصاف لا تؤنث أبدا وقد ذكرنا ذلك . ومنها أن الحال
 والتمييز وغير ذلك منصوب دائما وإن عاد إلى مرفوع أو مجرور . وأنواع نقص
 الانباع المذكورة قديمة جدا نراها في بعض اللغات السامية الباقية أيضا مثل

ذلك من العبرية *lo ihie lka' clōhīm' aherīm* أى لا يمكن لك آلهة أخرى، بالفعل المفرد قبل الفاعل المجوع . واما مثل (مختلفا الوانها) بدم اتباع الخبر للمبتدأ لنزوله بمنزلة الفعل وتقدمه للمبتدأ فخاص بالعربية ومثال آخر من العبرية *uatta rok lisra el* أى غاصطفت بنو اسرائيل باتباع شبه الجمع كأنه مفرد مؤنث القسم الرابع . ولنتنقل الآن الى القسم الرابع من هذا الباب وهو فى أنواع

الجل وانذكر منها الاستفهام والنقص والاستثناء .

اما الاستفهام فهو جنسان فى كل اللغات استفهام عن كلمة أو استفهام عن جملة وجواب الاول كلمة وجواب الثانى نعم او لا . فانى اذا استفهمت (متى جئت ؟) دلت بذلك على ان بحى والمخاطب معروف ولا اجعل الا وقت مجيئه فيكفى فى الجواب ذكر الوقت بامس أو مثل ذلك فالسؤال هنا بكلمة « متى » فى مثالنا وهى من ظروف الاستفهام واسماء الاستفهام كن وما تسمى بهذه الطريقة ايضا والجواب كذلك بكلمة او ما يقوم مقامها فهذا الجنس من الاستفهام بسيط لا يكاد ان يشكل فى اية لغة من اللغات . واذا سألت (هل جاء اخوك) دلت بذلك على اني اسك فى نفس مجيئه فاستفهم عن الجملة جميعها او بالاحرى عن صحة وقوع مضمونها فالجواب إما ان يكون نعم او لا او ربما جاء او لا اعرف او مثل ذلك وهذا الجنس من الاستفهام يختلف فى تأديته اللغات . فكلها واكثرها بشير اليه بنعمة خاصة بالاستفهام على العموم او بالاستفهام عن الجملة خصوصا بخلاف الاخبار، وبعضها يزيد على ذلك ومنها اكثر انما هجات العربية الدارجة ففى لهجة الشام مثلا « بترافقى » إما اخبار او استفهام حسب تسمتها وبعض اللغات يعز الاخبار والاستفهام بتخالف فى ترتيب الكلمات منها الفرنسية والانكليزية والالمانية نحو *il est venu* و *est-il venu* أو *he has come* و *has he come?* وبعضها أدوات خاصة بالاستفهام منها اللاتينية نحو *venit* أى جاء و *venit ne* أى جاء والتركية نحو *num* كدى وكديعى . واللغات السامية لا تعرف تأدية الاستفهام بترتيب للكلمات خاص بها أصلا فلما ابت تستغنى عن كل اشارة اليه الا انفعة وإما ان تستخدم الأدوات ، والاول موجود فيها كلها وهو نادر جدا فى العربية الفصحى

فأدوات الاستفهام عن الجلالة في العربية اثنتان : هل والهمزة ، ولا توجدان في غير العربية من اللغات السامية إلا أن ha في العبرية والأرامية العتيقة تقارب الهمزة العربية والهمزة هي المألوفة الأكثر استعمالاً ، وهي أشد قوة في الاستفهام وقد ترمز إلى أن السائل يتوقع الجواب بلا ولذلك قد تقع بعدها (من) الخاصة بالسبب مثاله من القرآن الكريم (هل من مزيد) فكان معناها ما من مزيد فتقارب هل إلى nm اللاتينية التي لا يستفهم بها إلا إذا توقع السائل النفس فهو venitne أى أجهاء يعنى لا أعرف أجهاء أم لم يجهى ، و nm venit أى هل جاء يعنى أظن أنه لم يجهى ، وإن كان على ضد ذلك نخاف في فالعربية لم تحصل على عبارة عن هذا المعنى تبعاً لكل الشك غير أنها تقدمت إلى ذلك ولا رافقها إحدى سائر اللغات السامية ، وضد هذا المعنى هو التوقع للجواب بنعم ويعبر عنه في كل اللغات بالاستفهام المنفى نحو ? nonne venit و ? has he not come و ? n'est il pas venu أى ألم يجهى ، يعنى أظن أنه جاء فأكد . فالاستفهام المنفى فيه شيء من الحصن فغلب في العربية هذا المعنى على المعنى الاستفهامى في بعض الحالات منها « ألا » نحو (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم) أي دونكم قتالهم و (ألا أخيركم) أى لأخبركم ، وقد يتلوها الناضى نحو (ألا أرسلت إلي) أي لبتك أرسلت إلى ويوجد في هذا المعنى (إلا) بالتشديد و (هلا) وفي القرآن الكريم (لولا) نحو (يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) أي ياليت أنزل عليه آية أو يكاد أن يكون المعنى لا شيء ، لم تنزل عليه آية ، و (ألا) تكون زائدة نحو (ألا إن الهداية لا تدوم) ومن خصائص العربية في هذا الباب إدخال الهمزة على إن نحو (أأنك لانت يوسف) ونسكبها نحو (أبداً متاً وكنا تراباً وعظاماً) أتألمسون) وفي كل اللغات كثير ما ينضم إلى الاستفهام استفهام ثان على ضد الأول نحو (أجهاء أخوك أم لم يجهى) فلا بد من وقوع أحدهما من المحبى أو عدمه فيجب على المحبى أن يثبت الأول وينفى الثاني أو بالعكس . و (أم) خاصة بالعربية التي اخترعها بهذا المعنى بخلاف (أو) فإذا استفهمت أزيد عندك أم عمرو دللت بذلك على علمي بأن أحدهما موجود عند المخاطب لا أعرف أيهما فالجواب يزيد

لاعمرو أو بالعكس بخلاف قولي أزيد أو عمرو عندك - أى واحد منهما أو كلاهما
فيجبوز أن يكون الجواب نعم زيد أو نعم عمرو أو نعم كلاهما أو لا ليس عندي لأزيد
أو لا عمرو، غير أن (أو) قد تستعمل في معنى (أم) أيضاً وهي في بعض اللغات
السامية في كلا المعنيين بدون فرق مثلاً في العبرية *mi jodea hehakam iijie'o sakal*
يعني من يعلم أيكون حكيماً أم سفيهاً . ولما كان معنى أم التخيير بين حالتين متخالفتين
تجاز استعمالها في نفس الاختيار أيضاً وهو التسوية نحو (سواء عابهم أأنذرهم
أم لم تنذرهم) فالفعل ماض مع دلالة على الحاضر لمشابهة هذا التركيب للشرط
وكثيراً ما استغنوا عن الاستفهام في التسوية نحو (أنا الملك شتم أو أيتهم) أو
(غنياً كان أو فقيراً) وسائر اللغات السامية لم تحصل على عبارة بينة عن التسوية
باللغة . وإما الجواب عن الاستفهام عن جملة فإذا كان متقياً فهو أداة النفي فقط
أى «لا» ولا يبرعنه في العربية بكلمات خاصة بذلك كـ *non* في الفرنسية و *no*
في الإنكليزية و *nein* في الألمانية بخلاف النفي الذي هو *not* و *ne-pas* و *nicht* .
وإما الإيجاب، فمباراته كثيرة في العربية وأقدمها «إن» وهي نادرة الوقوع
نحو (قالوا غدرت فقلت إن). وهي في العبرية *hen* وفي الآرامية *en* . وبلى في
العبرية *ai* ومنها النفي في بعض الاوقات والإيجاب في الأخرى كـ *ko*
بلى موجبة وبلى نافية . وأصل معنى نعم طيب . وإي من الاصوات . وأصل
أصلها غلمض .

وإما النفي فأقدم أدواته في العربية «لا» ويقابلها في الأكديّة والآرامية
la وفي العبرية *lo* وفي الحبشية يقابلها *la* فقط الموجودة في *albo* «أى» ليس
فيه . وفي *alko* أصلها *alko* «أى ما كان و *re*» هذه يقابلها *re* في العبرية والآرامية
العتيقة و *ul* في الأكديّة . فنفترض لغة السامية الأم كلاهما يعني *ja* و *ai* وأصلهما
واحد ويختلف أن يكون سبب تخالفهما في اللفظ تأثير قواعد الوصل
والتركيب اللفظي في الجملة وبذلك تخالف وظائفهما في الأكديّة والعبرية
فإن *ja* في الأكديّة للنفي و *ul* للسلب وفي العبرية على العكس فإن *lo* للسلب
و *ai* للنفي . ولا يتعجب أحد من هذا التضاد فالتأري الأكديّة تضاد سائر اللغات

السامية في كثير من قواعد ترتيب الكلمات فيقدم الفعل في اللغات السامية المجرية في أكثر الحالات على فاعله ومفعوله وغيرها ويؤخر في الأكديّة إلى غير ذلك . وقد اشتقت العربية من « لا » أدوات أخرى للنفي لا توجد في سائر اللغات السامية إلا « ليس » فيقابلها في الأرامية *laīt* وهي مركبة من لا واسم معناه الوجود . يحتمل أن يكون لفظه القديم *laīlā* أو قريباً من ذلك وهو *lā* في العبرية و *lā* في الآرامية العتيقة ويقاربها في الأكديّة فعل وهو *lā* أي يملك الشيء وهو له فعلى *laīt* لا يوجد ، وهذا هو عين معنى ليس الأصلي . غير أن حروفهما لا تتطابق تماماً فإنا قد كنا بينا أن السين العربية لا يقابلها في اللغات السامية الشمالية إلا السين بينها أو الشين ولا يقابلها التاء أو الراء الأرامية ولا يوجد بين الحروف العربية حرف يقابله في الأرامية التاء أو الراء وفي العبرية والآكديّة الشين إلا التاء فكان يلزم أن تكون *laīt* في العربية *laīta* وقيام السين في ليس مقام التاء نقض لقوانين الأصوات السامية لا بد له من سبب ولا نعرفه . . . وما يشتق من لا « لات » وهي نادرة لانكاد أن توجد إلا في القرآن الكريم وبعض الشعر المتبق . ومن ذلك لم وربما كانت مركبة من لا وما الزائدة فحذفت الفتحة المحذوفة الانتهاية في بعض أحوال التركيب اللفظي في الجملة كما حذفت فتحة *la* الانتهاية في بعض اللغات السامية فصارت *lām* ثم قصرت الحركة لئلا يكن بعدها وقد انضم إليها مائة ثانية فتصير لما في مثل (لما يذوقوا عذابي) وإن مركبة من لا وإن وقد ذكرنا ذلك فيما سبق . والعربية لم تقتصر على اشتقاق حروف للنفي من لا بل اخترعت له بعض أدوات جديدة أيضاً وهي ما وإن وغيره . فـ (ما وإن) يحتمل أن يكون أصلها الاستفهام وهذا ظاهر في ما في ما الاستفهامية بعضها في الأصل لأشكك في ذلك وإن صعب تصور الطريقة التي ينبغي أن تكون قد سلمكتها من معنى الاستفهام إلى معنى النفي فإذا نظرنا مثلاً إلى (ما عندي) فيعناها على الاستفهام « أي شيء عندي » فإذا افترضنا أن الناطق يتوقع جواباً شافياً وبشيراً إليه بسؤاله فيكون المعنى « لا شيء عندي » وليس هذا معنى ما التامية بل هو ما عطف به إذ كانت ما تامة ناقصة لا معنى لها إلا على تقدير كلمة نحو (ما عندي شيء) .

وذلك: أن معنى ما الاستفهامية مركب من معنيين معنى الاستفهام ومعنى الشيء،
 وتورجئة لذلك فيما قبل بأى شيء . ومعنى ما النافية بسيط ناف لا يحاطل الشيء،
 البتة . فإذا اشتققنا ما النافية من الاستفهامية نضطر إلى أن نفترض أنه مع قلب
 الاستفهام إلى النفي أو بعده فقدت ما النافية العنصر الاسمي الذي كان موجودا
 في ما الاستفهامية فصارت نافية محضة ترجمتها الفرنسية ne-pas والانكليزية not وكان
 يجب أن تكون ترجمتها nothing or rien . . . وقد استفادت العربية من كون ما
 الاستفهامية يشتق من على الشيء، والنافية لا تشمل عليه ففرقت بذلك بينهما فاني
 إذا سمعت (ما عندي) لم يمكنني الشك في أنها استفهام لاني لو فرضتها نفيًا لكانت
 الجملة ناقصة، وإذا سمعت (ما عندي شيء) عرفت أن ذلك نفي لاني لو فرضته
 استفهامًا لكانت كلمة شيء زائدة . وكذلك فرقت العربية بين ما الموصولة
 وبين غيرها بتخصيص الموصولة بالضمير العائد إليها وإدخال المفسرة بعدها، وما الزائدة
 لها أيضًا قواعد خاصة بها تميزها عن غيرها . فالنتيجة أنه وإن كانت «ما» تؤدي معاني
 متعددة في العربية فلا موضع للشك في أنها هو المراد وذلك لثبات القواعد
 النحوية ووضوح الرافعين للعربية فوق أخواتها السامية . وأما إن فرعا يبقا بلها الحرف
 النافي المألوف في الحبشية وهو ⁱⁿ فإذا كان كذلك كان أصل ⁱⁿ ثم قصرت
 لبسًا كن بعدها . و ⁱⁿ و ⁱⁿ تقاربان (أى) و (أين) فرجعا نشأ قلب الحركة المركبة
 من الفتحة والكسرة كسرة بسيطة مدودة عن تأثير أحوال التركيب اللفظي في
 الجملة . فيمكن أن تكون إن أصل معناها أين والتوصل من هذا المعنى إلى معنى
 النفي أسهل بكثير مما يحشا عنه في باب ما فإذا نظرنا مثلا إلى (أن الحكم الله)
 سهل علينا اشتقاقه من (أين الحكم إله) وذلك لانه وإن احتوت أين على
 معنى غير معنى الاستفهام وهو معنى ظرف المكان كان ليس بواجب في الجملة
 ومعوظه غير مشكل : وأما غير فهي اسم معناه مختلف عن الشيء الذي أضيفت
 إليه قالشيء الموصوف بها ليس بالشيء المضاف إليه وهذا هو معنى النفي . وما يظهر
 أن «غير» تميز بين أدوات النفي عطف (ولا) عليها نحو (غير المقضوب عليهم
 ولا الضالين) . . . وإذا أردنا أن نبين وظائف أدوات النفي المذكورة على اختلافها

وتعلق بعضها ببعض وجب علينا أولاً تقسيم معاني النفي المهمة التي تؤديها الأدوات وهي ثلاثة أنواع : نفي الفعل ، ونفي الخبر ، ونفي الكلمة ونقسم إليها نوعاً رابعاً وهو عطف المنفى على المنفى . . فالنوع الأول ينقسم إلى نفي الماضي والحاضر والمستقبل ، وإلى نفي الدماء ونظيره وإلى نفي الأمر وهو النفي والنوع الثاني بسيط . والنوع الثالث ينقسم إلى ثلاثة أقسام : نفي وجود الشيء ، ونفي وقوع معنى الجملة على الشيء ، ونفي الاتصاف بالشيء . . والأول واضح ومثاله نفي الجنس نحو لا بد وقد ذكرنا ذلك آنفاً ، ومثال الثاني (ليس لذلك دعوتك) فتنفى كلمة لذلك فقط ولا ينفي الفعل لأن المعنى أنني أوجب كوني دعوت المحاطب وإنما أنفي وقوع دعوتي له على كلمة (لذلك) وارتباطها بها ، ومثال الثالث ما ذكرناه من (غير المغضوب عليهم) فالمعنى هو نفي وصف (الذين أنعمت عليهم) بأنهم هم المغضوب عليهم . فإذا فرقنا أدوات النفي العربية على أقسامه المذكورة حصلنا على الجدول الآتي



والجدول يحتاج الى بعض إيضاحات : فلات مقصورة على نفى وجود الحين نحو (لات حين مناص) ويقابل هذه العبارة في العبرية مثل *lo et he asel* hammiqrē أى لات حين جمع المال ، فلات يقابلها هنا *lo* المطابقة لـ « لا » بدون التاء والعبارة في العبرية من أشباه الجمله كنفي الجنس في العربية فيحتمل أن تكون لات حرف نفى ولا تكون فعلا من أخوات كان فـ (لات حين) شبه جملة لاجملة . و (لما) مقصورة على توقع الفعل وانتظاره واستطالة زمانه فـ (لما يذوقوا عذابي) معناها لم يذوقوا عذابي بعد . . فترى لات ولما وكذلك لم ولن وغير محدودة المعاني مخصوصة مع أنه إشارك كل واحدة منها في وظيفة حرف آخر من حروف النفي ، فلن وغير إشاركما لا ، ولم إشاركما ما ، الا لات والـ فتعاطفا أخص من معاني غيرها فلا يؤدي تماما الابهما . وترى « لا » مستعملة في كل الحالات الا الماضي واذا راعينا أن « لم » ليست الا « لا » بزيادة « ما » قلنا ان « لا » مستعملة في الجميع والسبب في ذلك أنها أقدم حروف النفي العربية فكانت عامة ابتداء ، والباقية كلها أحدث منها وأخص . فأصل محل « ليس » القديم نفى الخبر ثم نقات الى غير ذلك وسبب ايثارهم لها على غيرها ومخصوصا على « ما » في بعض الحالات أنها واضحة يسهل تمييزها عن غيرها وأنها لا تكون متكونة من مقطعين أكثر ضعفا وتأثيرا في السمع ، وكثيراً ما تنوب عنها كان منفية وهي أكثر تنوعاً من « ليس » في الاوقات وغيرها فليس دائماً للحاضر و « لم يكن » للماضي و « ان يكون » للمستقبل الى غير ذلك . ولأن (ما) أحدث من لا مخصصت نفى أحدث أبنية الفعل وهو فعل للماضي فنفي الماضي القديم هو « لم يفعل » والحديث « ما فعل » ، ومع ذلك فـ (ما) كثيرة في نفى الخبر . و (إن) تكاد أن تطابق (ما) في وظيفة وأكثر وقوعها قبل (إلا) للجناس بينهما نحو (ان الحكم الا لله) ، ونفى الخبر يحتاج الى ملاحظة فإذا كان الخبر وصفا أو بمنزلة الوصف فكثيراً ما تدخل عليه الباء كما ذكرناه قبل وبالأخص بعدما وايس وقد جمع بعد كان المنفية أيضاً نحو لم تكن بصغيرة . ويجوز نصب الخبر بعد ليس وكان وهو بعد كان أكثر من الباء في لهجة الحجاز يجوز نصب بعدما ،

وقالوا بعد لا أيضا غير أن وقوع الوصف خبراً بعدها تادر . ومثال النصب
بعد ما (ما هذا بشراً) و (ما هـ أمهاتهم) وخبر ما في غير لهجة الحجاز مرفوع
نحو (ما كل من تلقى بذلك عالم) وجاء في القرآن الكريم (ما محمد إلا رسول)
بالرفع والاصل هو الرفع والنصب قيس على ليس وكان . وكلاهما من النصب
والرفع قليل . . ومن غرائب النقي سقوط حرف النفي في القسم والنشد وزيادته
فيهما عند الإيجاب نحو

أقسمت بالله أسقيها وأشربها حتى تغرق رب الأرض أوصالى
(أى الحر) أى أن أسقيها ولا أشربها ولشدتك الله أو بالله أن فعلت ذلك
أى لا تفعله وأقسمت عليك إلا لست درعى أى البسه ، وأصل ذلك في النشد
ظاهر وهو حذف جزاء الشرط فتقديره (ألا لست درعى كنت ملعوناً) أو مثل
ذلك . . ونجد شبهة في العبرية نحو *he par o im tes u mizze* أى وحياة فرعون
أن تخرجوا من هنا يعنى لا تخرجوا من هنا وتقديره أن تخرجوا فلعنكم الله أو مثل
ذلك . وربما كان سبب حذف النفي في القسم مثل هذا

والاستثناء أصله من تركيب الجمل فان (إلا) مركبة من ان الشرطية ولا التافية
فمثل (ما جاءنى أحد الا زيد) أصلها (ان لم يكن جاءنى زيد فإ جاءنى أحد) غير
أن (ما جاءنى أحد الا زيد) بعيدة عن هذا الأصل جداً وذلك من ثلاث جهات :
أولها أن معنى « ان » هنا غير المعتاد فان غرضى من قولى (ما جاءنى أحد
الا زيد) ليس أن أقيد مضمونه بشرط بل المراد أنى أعلم أن زيدا جاء فعنى
أن هنا قريبة مما تعودنا عليه في « لو » فتستطيع أن تشرح مثالنا بـ (لو لم
يجى زيد لما جاءنى أحد) وهذا ليس بصحيح تماماً أيضا لأنه يمازجه شئ من
التمني ولا يوجد في الاستثناء . والوجهة الثانية أن الشرط يقدم غالبا لا يؤخر .
والثالثة أن نفي ان ليس بـ (الا) بل بـ (ان لم) على العادة و « الا » أقدم
من « ان لم » كما أن « لا » أقدم من « لم » . فـ « الا » في مثل (ما جاءنى
أحد الا زيد) وإن أمكن اشتقاق معناها من جملة شرطية فلم يبق فيها في الحقيقة
شئ من معنى الشرط ولا يستأنف بها جملة بل هي وما بعدها جزء من الجملة

المستثنى منها فيقرب معناها من معنى النفي ولذلك ذكرناها بهذا . وهي في غير
مثالنا أبعد بكثير عن الشرط منها فيه مثال ذلك (فشربوا منه إلا قليلا منهم)
فلا يمكن تقدير ذلك كجمله شرطية ومثل (مئة إلا واحدا) أبعد عن الجملة الشرطية
من السابق . فانتقلت « إلا » من معناها الاصل الى هذا المعنى قياسا على « ما خلا »
و « ما عدا » ولذلك تعمل إلا في النصب مثل (شربوا منه إلا قليلا منهم) كما
تعمل « ما خلا » و « ما عدا » لكون خلا وعدا فملين متعديين . ولا « إلا »
تطابق في الآرامية *ella* غير أن *ella* لم تبتعد عن أصلها ابتعاد « إلا » عنه . يد
أن السريانيين قد يجمعون بين *ella* وبين *en* أصلها ولم تفعل العربية ذلك . مثاله
من السريانية *la-meskah-na la-mhama nu ella en etpiset* أي . (لا تقدر أننا
على الايمان إلا ان اقتنمت) يعني لا أقدر أن أؤمن إلا أن أفتح . فتقدير العبرانية
الآرامية (ما خلا على شرط كوني مقتنعا) وتقدير العبرانية العربية : (ان لم يكن
الحال كوني مقتنعا) فـ « إلا » هنا محافظة على معنى شرطية وهي « العبرانية »
لم تحافظ عليه أصلا حتى أنها تحتاج الى ضم *en* اليها . . وقد وضعت العربية
القواعد الدقيقة للاستثناء وأكثرت من حروفه : وفرت بينها في بعض
الأحوال فصار الاستثناء فيما بابا مستقلا بنفسه لا يحتاج فيه إلى إحدى سائر
اللغات السامية

الفصل الخامس : والآن بقي علينا الكلام عن تركيب الجمل بعضها مع بعض
وهو جنسان : نسوية وإعمال ، وكلاهما نوعان : عطفي وغير عطفي . فيكون
ذلك أربعة أقسام ، مثال النسوية الغير العطفية (أمر يو ، ثم معبد أميره عمرو
ابن مالك) ، والنسوية العطفية كثيرة الوقوع نحو (جاء فقال) والوقف من أمثالها
والاعمال الغير العطفية : (جاءني رجل لا أعرفه) وكثير من أمثالها
نحو (قدمت أنفريج) وغيرها ، و (لا أعرفه) و (أنفريج) . وأمثالها ليست بحديثة
مستقلة كـ (أمره عمرو بن بن مالك) في مثالنا الأول بل تقوم مقام جزء من
جملة أخرى فيمكنني أن أستبدل (جاءني رجل لا أعرفه) به (جاءني رجل
غير معروف) (قدمت أنفريج) به (قدمت منفرجا) فكأن الاسم يعبد في

صفته المتكونة من كلمة فكذلك يعمل في الصفة المتكونة من جملة وكما أن الفعل يعمل في النصب على الحال فكذلك يعمل في الجملة الحالية ، والقسم الرابع أي الاعمال العطفية كثير منه كل ما يربط بالاسماء الموصولة وان وأن وان واذا ولما إلى غير ذلك . فالعطف أحدث من عدمه والاعمال أحدث من التسوية وكثير من اللغات لم يتحصل على غنى كاف من وسائط اعمال الجمل في الجمل ، ولم يوفق إلى ذلك غير لغات الأقوام المتدينين أصحاب الحضارة العالية من جهة الفكر منها اللغة الصينية والهندية القديمة أي Sanskrit واليونانية واللاتينية واللغات العربية ومنها اللغة العربية غير أنها حسب مزيتها مع الترقى إلى تركيبات الجمل المشتبكة المتنوعة الكافية في إفادة جميع أنواع العلاقات بين الأفكار على اختلافها قد حافظت على بعض أشكال تركيب البسيطة الأولية أيضا ، من ذلك ما ذكرناه من عدم للعطف في الاعمال ومن ذلك الاستعانة ببعض حروف التسوية العطفية في الاعمال أيضا كالوار للحال والماء في جزاء الشرط ، فالعربية تشبه في ذلك العبرية بعض الشبه والفرق بينهما أن العربية بتحديد وظيفة كل واحد من وسائط التأدية البسيطة الأولية منها والكلام الحديثة ، وبتفريق بعضها عن بعض ووضع القواعد المميزة بين كل واحد من أنواع التركيب قد استفادت مما تستعمله من الوسائل الأولية البسيطة قوة مؤدية تعادل في القوة ما نجد من وسائط تركيب الجمل في اللغات الغربية وانطلق الآن على بعض تفصيلات هذا النظر العام

أن من التسوية الغير العطفية بين الجمل في اللغة العربية بدل الفعل من الفعل مثل (أمر يومئذ معبد أمره عمرو بن مالك) وقد ذكرنا هذا المثال آنفا فالغرض من التركيب هنا ذكر قاعل مالم بسم قاعله ابتداء فهذا النوع من بدل الفعل من الفعل خاص بالعربية ويوجد غيره في غيرها أيضا مثال ذلك (كانت قنلت خلادا رمت عليه رحي) ومثله من السريانية ketbet b et niennak أي كتبت طلبت منك فالفعل الثاني يشرح الأول ويخصصه واكثر ما يكون ذلك في كل اللغات السامية إذا دل الفعل الأول على حركة وخصوصا إذا كانا امرين

نحو (قم فصل) ومثله في سائر اللغات السامية أكثر منه في العربية ومثاله من
العبرية qūmū s ū أى قوموا اخرجوا ، والعربية لا تضطر الى ترك العطف في
كل هذا بل يجوز (قتلت خلادا فرست عليه رحي) و (قم فصل) وقد يجوز أيضا
الاعمال بدل التسوية نحو (قتلت ترمى عليه رحي) الا في بدل فعل من فعل فتدل
(أمر أسره فلان) لا تنوب عنه عبارة أخرى ، ومما أصله تسوية غير عطفية مع كون
معناه الحقيقى غير ذلك قولى (مالى لم أسمع بك) أو (ما بالكم بخلم) فأصل
هذا استغناء وإخبار مستقل عن الاستفهام غير معطوف عليه كأنى قلت (ما بالكم)
ثم استأنفت فقلت (اسألكم ذلك لأنى أراكم بخلم) ثم صار الكل جملة واحدة
معناها (لاى شىء بخلم) فتبعت الجملة الاولى الثانية وصارت بمنزلة الجزء منها .
والعطف في التسوية كثير في العربية وهو الاصل فيها ، وحرف العطف الاصل
هو او او وهى سامية الاصل ونجد في العربية معها الفاء وأصل معناها « أيضا »
ويقابلها في العبرية ap أى ايضا فابتدعت العربية لهذا المعنى كلمة جديدة وجمدت
الفاء حرف عطف وذلك ترقى مهم ارتفعت به اللغة على غيرها من اللغات السامية
وتكدت من تنويع تأدية العلاقة بين الجملتين المتساويتين وهى مع ذلك ومع
وجود عواطف أخرى كتم واو وام ولكن وبلى لم تمل غنى اللغات العربية في
هذا الباب بخلاف ماناته في باب إعمال الجملة في الجملة فلا تحوي عبارات بسيطة
بينة غير مشتبهة عن معنى mais الفرنسية و but الانكليزية أو car الفرنسية و for
الانكليزية الى غير ذلك . واما العواطف المذكورة فـ « ثم » خاصة بالعربية
ويظهر انها مشتقة من ثم المقابلة لـ sam العبرية و tammin الأرامية ، و « او »
سامية الاصل ، و « ام » حديثة عربية اصلها a-ma كما ان « لم » اصلها la-ma
وكم اصلها ka-ma و « لكن » مركبة من « لا » و « كن » المقابلة لـ ken العبرية
و ken الأرامية التى معناها « هكذا » فمعنى « لا كن » (ليس كذا) ، وبلى
أصلها جواب عن سؤال وقد ذكرناها

ومن استعمال أدوات التسوية العطفية في الاعمال واو الحال في مثل (قتل
زوجها وهى حامل) والذي يدل على الاعمال ههنا هو العطف بمع تضاد الجملتين

في طبيعتها فان الأولى فعلية ماضية والثانية اسمية غير معينة الوقت.. واصل المعطف هو عطف المبتدئين وأما عطف المتخالفين فلا بد من أن يكون له سبب وهو هنا عمل الجملة الأولى في الثانية ، وتستعمل واو الحال في تركيبات كثيرة غير هذا وكأها مقيدة بالقواعد فلا شك أبداً في كون الواو واو العطف أم واو الحال إلا في الأفراد القليلة وهذا من خواص العربية . . ومن استعمال العواطف في الاعمال الفاء في جزاء الشرط وغيره كما قلنا مثال ذلك (إن تصي قويل له) فالفصلة فيها مثلها في واو الحال فان الذي يميز فاء الجواب عن فاء العطف هنا هو تضاد طبيعة الجملة الأولى فعلية يعمل في فعلها حرف الشرط والثانية اسمية لا تعمل للشرط فيها . . ولادخال الفاء على جزاء الشرط وغيره قواعد ثابتة في العربية غير أن الفاء قد تدخل على ما لا يحل لها فيه في الأصل نحو (فلما أتانا فلصبح مسروراً) بدل (أصبح مسروراً) وكثير مثل ذلك في الزمان المتأخر . وقد ذكرنا الفاء الداخلة في وسط الجملة بين جزء منها مقدم وبين باقيها ، ولما كانت الفاء خاصة بالعربية فلا نظير للتركيبات المذكورة في غيرها من اللغات السامية إلا أنها كثيراً ما تدخل الواو على الجواب عن الجملة المفعول فيها بغير قواعد ثابتة واضحة وأكثر ذلك في العربية نحو *im āsorihīc unatatta* أي إن كان أذى (يعني من ضرب الرجل صاحبه) أعطيت نفساً بدل نفس وليس يميز الاعمال هنا عن التسوية إلا حرف الشرط فيمكن ترجمته (ان كان أذى وأعطيت نفساً بدل نفس) ولا نعلم أن التركيب ليس هذا بل هو الذي قدمناه ، إلا بالفكر المؤدى بهذه الجملة ، والعربية تميل جداً الى استعمال الواو حتى في الاستشاف فسفر القضاة مثلاً *uāhi āhre* يعني وكان بعد موت موسى الى آخره . ومن الاعمال بالعواطف « الفاء » هو « بالواو » و « أو » التواصب نحو (وأتني فأكرمك) أو (ولانلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) أو (أدعى وأدعوا) أو (لازلئك أو تعطيني) والاصل فيما كانا العطف والتسوية والكون الجملة الثانية تابعة للأولى في المعنى عبروا عن ذلك بنصب فعلها فصارت جملة مفعولاً فيها في الحقيقة وهذا

خاض بالعربية

وأنواع الاعمال الغير المعطى كثيرة ويصاحب كل واحد منها نوع من الاعمال المعطى . فالجمل المعمول فيها على العموم تنقسم الى أربعة أنواع: وصفية تقوم مقام الوصف ، واسمية تقوم مقام الاسم الموصوف مبتدأ كان أو خبراً أو مفعولاً أو مجروراً ، وحالية تقوم مقام الحال ، وظرفية تقوم مقام ظرف المكان والزمان وغيرها ونجد بينها الشرطية أيضاً . . فالجمل الوصفية إما صفة أو صلة وقد فرقت العربية بين الجنسيتين فالصفة تقتصر على وصف الاسماء المنكرة وتقتصر الصلة على وصف الاسماء المعرفة نحو (جاءني رجل لا أعرفه) و(اعبدوا ربكم الذي خلقكم) والجنسان موجودان في سائر اللغات السامية وان لم تفرق بينهما تفريق العربية فتسقط الموصول بعد الاسم المعروف في كثير من الأوقات مثال ذلك من العبرية *hā'eder nittan lak* أي القطيع الذي أعطيتك وبالعكس ومثال ذلك من السريانية *garbā da-mīc kulleh garbā* أي رجل كله تمتليء بالجرب فأدخلت أي «الذي» بعد الاسم المنكر في المعنى . وتختلف اللغات السامية في الاسم الموصول نفسه إلا أن أصله اسم من أسماء الإشارة في أكثرها منها العربية كما ذكرنا ذلك والأرامية فهو فيها *di* وأخيراً *h* والحبشية فهو فيها *za* وهو في الأكديّة *sa* وأصلها اشاري أيضاً بوائفها *se* العبرية ، والمألوف في العبرية *asu* وأصلها غامض . والاسم الموصول في الأصل جزء من أجزاء الجملة العاملة لا الموصول فيها واحتفظت العربية بذلك فأثبتت الاسم الموصول الاسم الموصول به في إعرابه مثال ذلك (بعد هذين البيتين اللذين مضيا) وذلك ضد ما تعودنا عليه في اللغات الغربية القديمة وفي الألمانية أيضاً فترجمة المثال في اللاتينية [post duo versus qui prae terierunt] versus—بالنصب المقابل هنا للجر العربي و *qui* بالرفع لأنه فاعل *prae terierunt* أي مضيا . واكثر اللغات السامية بين هذين الضدين فالاسم الموصول فيها لا يتغير أبدا لا تبعاً لما يسبقه ولا لما يتلوه كـ *sa* الأكديّة و *aser* العبرية و *di* أو *h* الأراميتين وكذلك أيضاً الاسم الموصول في العربية الدارجة كـ *elli* وامثالها . والحبشية وان وجد فيها مؤنث

هو enta وجمع هو ella^٢ فعلى نميل الى استعمال za في كل الحالات.. وبما حافظت فيه جميع اللغات السامية على الأسلوب القديم الخائف للذي نشاهد في اللغات الهندية والآرامية والعربية وقوع الضمير المائد على الاسم الموصوف في داخل الجملة الوصفية مثال ذلك من الاكدية sarru tum sa is dāsa sursuda أي ملك قوي أساسه . فالجملة الوصفية كاملة في نفسها لا يكون الاسم الموصول جزء منها وترجمة المثال بالفرنسية un royaume dont les fondements ont été fixes فالجملة الوصفية les fondements ont été fixes ليست بكاملة وتحتاج الى الاسم الموصول Cont في إتمام معناها فهذه القاعدة ثابتة في اللغات السامية لا شواذ منها أصلا . ولا يحذف الضمير المائد الا اذا كان تقديره سهلا . وكما يجوز أن يجعل الوصف المتكون من كلمة اسما موصوفا كذلك الجملة الوصفية أيضا فاني كانت موصولة فلا عجب في ذلك لان في أولها « الذي » وما يشاكلها نحو (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وأما الغير الموصولة فلا تجعل اسما موصوفا في العربية الا ما قد ذكرناه من مثل (المؤلفة قلوبهم) ويجوز جعلها اسما موصوفا في بعض سائر اللغات السامية : من ذلك في العبرية alire lo jo ilu halaku أي قيسوا وراء من لا ينفع فـ jo ilu لا أي لا يتفكرون بغير اسم موصول قائم مقام الاسم الموصوف ، ومثاله من الآرامية uhibu lššbssar smeh أي فوهبوا لرجل اسمه ششبر فـ Ššbassar smeh أي (ششبر اسمه) قائم مقام الاسم الموصوف .. ويجوز استعمال أسماء الاستفهام موصولة أيضا فهذا وان وجد في سائر اللغات السامية فحيزه في العربية أوسع بكثير منه في غيرها مثاله من العبرية ni iare iaso أي من خشى فيلعد أو e se^٣ omrim^٤ أي ما أنتم تقولونه أما أفعله . و « من » و « ما » كثيرة جدا في هذا المعنى في اللغة العربية و « أي » أقل منهما . وأصل معنى من من ذكر وهو بين المفرد والجمع وان أثبت دائما كأنها مفرد مثاله (ومن الناس من يقول آمنا بالله) فيظهر من الجمع في آمنا أن المراد جمع هو الجمع وهذا المعنى يقرب من معنى الشرط فذلك كثيرا ما عمات « من » عمل حروف الشرط نحو (ولكن البر من اتقى) أي إن اتقى الإنسان الله تعالى فهذا هو

البر ، وخصوصا إذا استوفيت بمن نحو (من كان عدو الله) أى ان كان أحدهم
عدو الله . و « ما » وسائر أسماء الاستفهام على هذا النحو . . وقد تضاعف
« ما » لتأدية معنى الابهام والتسكير فتصير « ما » بدل *manā* . وتلحق ما
بغيرها أيضا مثل « أين » و « متى » و « كيف » و « أين » و « حيث »
وأصل السكك أسماء أو ظروف استفهامية تستعمل كالموصولة وتعمل غالبا عمل حروف
الشرط . وكل هذا يكاد أن يكون خاصا بالعربية وإن وجد القليل المشاكل له في غيرها
أيضا مثال ذلك من الأكدية *manumma eristusu sa sarri belia lisp ur* أى
مهما تسكن رغبة مولاي الملك فليبعث إلى غير أن الجملة التالية *manumma*
اسمية لا شرطية

وأما قيام الجملة مقام الاسم الموصوف فهو على نوعين ، فالأول مقام الاسم
هو إما لفظها - وهذا ما سماه النحويون حكاية - أو مضمونها فالأول مثل (بسم الله)
بسم الله (أى أن الكتاب الملقى على ملكة سبأ هو بسم الله إلى آخره) يعنى
الكتاب أى المكتوب متكون من هذه الكلمات ، ومثال آخر (أعلن لا إله
إلا الله كبير) يعنى أهل النطق بلفظ الشهادة دون الإخلاص بعبادتها ، وهذا
نادر جدا إلا بعد أفعال القول نحو (قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض
خليفة) فالتسوية المطلقة بين قال وبين الكلام المحكى هى أنه مفعول قال وليس
بينهما أداة دالة على ذلك . والحاق الكلام المحكى بفعل من أفعال القول مباشرة
هو المؤلف فى أكثر اللغات على العموم ويجوز فيها الإخبار عن مضمون الكلام
بدل حكايته وهذا مما سذكركم بعد . . وقد فرقت العربية بين النوعين فخصصت
كلمة قال بالحاق الحكاية بها دون إيراد المضمون فقط والحالة على ذلك
في أكثر أفعال القول الباقية ، فإذا استبدلت كلمة « قال » في مثالنا بكلمة « أخبر »
لزمنا أن نقول (أخبر الله الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة) فوجب هنا
دخول « أن » ولا يجوز ادخالها بعد كلمة « قال » . وما يختلف به الإخبار عن
الحكاية هنا هو ابدال الضمائر فالتكلم في الحكاية صار غائبا في الإخبار . .
ومن الكلام الواقع بعد أفعال القول الاستفهام فإذا حكى حكاية قل الفرق بينه

وبين ما قد مرّ من حذاه . وأما الاخبار عن مضمون الاستفهام فيحتاج الى أمباء
 الاستفهام أو أدواته المستأنف بها كاحتياج الحكاية اليها فلو أدخلنا عليه أن
 أو مثلها لكان يارمنا الجمع بين أداتين في أول الجملة وهذا وإن وجد - نحو
 (سل عنه أنه هل صلى العشاء) - إلا أنه كان غير مقبول في الزمان القديم ،
 والمألوف هو مثل (فنظرت هل ترى أحدا) بخير أن أو مثلها فهذا من الاستفهام
 عن الجملة : ومن الاستفهام عن الكلمة مثل (فانك لا تدري متى أنت راجع) ،
 وإذا اطلعنا على المثالين وجدنا بينهما فرقا وهو أن مفعول فعل السؤال في الأول
 هو الجملة الاستفهامية بأسرها وفي الثاني يمكننا أن نعد اسم الاستفهام
 وحده مفعولا للفعل وصحة هذا الرأي ظاهرة كل الظهور في مثل (ولم يتفقوا
 على أيهم أشعر) فأبهم هنا مجرورة بعلى فهي جزء من أجزاء الجملة الأولى وهي
 مع ذلك مبتدأ الجملة الاستفهامية أيضاً فهنا بما فيه وجهان لجزء من أجزاء الجملة
 كما ذكرناه من (رجل كثير أعداؤه) . . . ومن هذا الباب التسوية الاستفهامية
 التي سبق ذكرها مثل (سواء عابهم أنذرهم أم لم تنذرهم) غير أن الاستفهامين
 في هذا المثال مبتدأ جملة اسمية لامفعول جملة فعلية . ويقارب السؤال التحني في مثل
 (يود أحدهم لو يعمر الف سنة) فأصلها الحكاية قامة مقام مفعول يود وكانت
 تكون (لو أعر الف سنة) ثم قلب المتكلم الى الغائب ولم يباحق بالجملة حرف من
 حروف الاخبار كـ « أن » لوجود « لو » في أولها

وأما قيام مضمون الجملة مقام اسم موصوف فنال ذلك أي اذا كنت مسروراً
 و اردت ان انكلم عن تلك الحالة وافيد مثلاً ما سببها قلت (سبب كوني مسروراً
 الى آخره) فقلبت الجملة التي هي (اكون مسروراً) مصدراً فأمكنني بذلك
 إضافة كلمة سبب اليها وهذه الوسيلة التي تصير الجملة اسماً ناقصة من جهات منها
 لزوم تغير بناء الجملة تغيراً تاماً فيصير المسند اليه مضافاً في أكثر الحالات الى
 غير ذلك . ومنها احالة التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل وغير ذلك فان المصدر
 هو كوني مسروراً سواء اكنت مسروراً في الماضي ام سأكون مسروراً في
 المستقبل فلهذا السبب ابتدعت اللغة وسائل أخرى لتصير الجملة اسماً وأقدمها

في اللغات السامية ادخال اسم موصول عليها والعربية تستعمل «ما» في هذا المعنى ويسمونها النحويون ما المصدرية لأنها مع الجملة النائية لها تنوب عن المصدر كما شرحنا ذلك فإذا ادخلنا «ما» صار مثالنا (سبب ما اكون مسروراً هو...) (إلى آخره) وهذه العبارة غير مألوفة وإن كانت جائزة واصابها استفهام وهو سبب ما يعني سبب أي شيء ثم اجبت عليه فقلت (الشيء هو اني اكون مسروراً) فالفرق بين هذه العبارة وبين «ما» الموصولة العادية ان الجواب عن ما في مثالنا هو الجملة بأسرها. وإذا نظرنا إلى مثل من «ما» الموصولة نحو (عرفت ماعرفته) رأينا أن معناه الأصلي هو استفهام وهو (عرفت أي شيء) والجواب (عرفته انت) يعني شيء عرفته انت فالجواب عن السؤال هنا جزء من الجملة فقط ويبدل عابه الضمير العائد المتصل بـ (عرفته) ولا نجد ضمير ارجعاً في مثل (سبب ما اكون مسروراً) و «ما» في هذا المعنى نادرة جداً في سائر اللغات السامية وأكثر استعمالها فيها مضافاً إليها الكاف نحو kama في الحبشية و kma في الآرامية والنالوف فيها كلها استعمال الاسماء الموصولة التي ليس أصلها من أسماء الاستفهام مثل ^{sa} في الأكديّة و ^{asa} في العبرية و ^{di} أو ^q في الآرامية و ^z في الحبشية وأكثر ذلك في الآرامية مثاله من الآرامية القديمة ^{ana} ^{di} ^{ia} ^{ida} ^{idana} ^{antun} ^{zabnin} أي عارف أنا انكم تشترون الزمان يعني أنكم تلامسون التأجيل وقصة أصل هذا مثل قصة أصل استعمال أسماء الاستفهام في معنى المصدر. ولم تكشف العربية بحرف مصدرى واحد هو «ما» بل اخترعت اثنين معهما «ان» و «ان» ويظهر أنهما اشتقا من ان وهي سامية الاصل كما ذكرنا سابقاً. وميزت العربية بين «ان» و «ان» بادخال «أن» على الجمل الاسمية فقط و «ان» على غيرها ولهذا التفريق خلل فالجملة الاسمية تحتمل القلب إلى جملة اسمية في بعض الحالات فيدخل عليها «ان» ومع ذلك فقد ذكرنا ان ضمير الشأن يمكن الناطق من ادخال ان على الجمل الغير الاسمية ايضاً فتكون ان وان مترادفتين متطابقتين في المعنى في بعض الاحوال نحو بلغني ان قد جاء زيد او ان زيدا قد جاء او انه قد جاء زيد فالعبارات الثلاث وان لم تتطابق تماماً فالفرق بينها يسير

جدا فالأولى وهي (أن قد جاء زيد) معناها أخبروني فقالوا لي قد جاء زيد ،
والثانية وهي (أن زيدا قد جاء) معناها أخبروني بكون زيد قد جاء ، والثالثة
وهي (أنه قد جاء زيد) معناها أخبروني بحادثة وهي كون زيد قد جاء . هذا
إذا كان الفعل ماضيا وأما إذا كان مضارعا تصبوه بعد « أن » وهو مرتفع بعد
« أنه » أو في جملة اسمية بعد « أن » فزادوا بذلك في التفريق بين أن وإن وأخرجوا
« أن » عن كونها مصدرية محضة فإن قرئ أريد أن تفعل ذلك يتعدى قولي أريد
فعلك ذلك في أن نصب الفعل يقرب « أن » من « كي » كاني قلت (أريد كي
تفعل ذلك) أي غرض ارادني فعلك ذلك كما جاء في القرآن الكريم (إنا نريد
الله ليعتبرهم بها) . فالجمل المصدرية النائية عن مفعول فعل من أفعال الإرادة
والطلب وما يشاكلها تقترب من الجمل الغرضية في جوهر معناها ولذلك تتردد
اللغات في التعبير عنها وبعضها يشبهها بالجمل المصدرية المحضة كالفرنسية والإنكليزية
فأما تدخلان عليها الحروف المصدرية العادية وهي qui في الفرنسية و that في
الإنكليزية وأصلهما اسمان موصولان ، وبعضها يشبهها بالجمل الغرضية كاللاتينية
فهي تدخل عليها III وهي حرف الغرض ، وبعضها تشبهها بتلك من جهة وبهذه
من جهة ومنها العربية فأما تدخل عليها حرفا من حروف المصدر هو « أن »
غير أنها تعمل عمل حروف الغرض مثل « كي » . ولم تقصر العربية هذا العمل
على ما يشبه الجمل الغرضية من الجمل المصدرية المستأنفة بـ « أن » بل أطلقتها
على كل ما فعله مضارع وقد توجد شواذ لذلك . وما يدل على أن « أن »
كثيرا ما تتعدى معنى المصدرية إلى معنى مستقل مقارب لمعنى كي حذف الحروف
الحجارة قبلها وهذا كثير في العربية نحو (أيعجز أحدكم أن يقرأ) بدل (عن أن
يقرأ) و (يبين الله لكم أن تضلوا) أي (عن أن تضلوا) يعني حماية لكم عن
ذلك فيكاد المعنى أن يكون لا تضلوا وهذا من غرائب التركيب في اللغة العربية
وإذا تراءى لنا عن الفرق بين « أن » وأن « وبين « ما » مع صرف النظر عن
الحالات التي تفي فيها « أن » بوظيفة خاصة بها فتعمل في نصب الفعل وجدنا
ن التطابق بينها كثير مثاله من القرآن الكريم (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمته)

و (ذاك بما عصوا) فـ « أن » و « ما » معناها واحد ، و منه (من بعد ما جاءهم العلم) و (من بعد أن نزع الشيطان يدي و بين إخواني) وعلى العموم فـ « ما » أندر كثيراً من « أن وأن » و يقل استعمالها تدريجاً مع تطور اللغة العربية غير أنها احتفظت بها في بعض الأحوال نحو (قل ما وجد مثل ذلك) و طال ما و بش ما و الجملة المصدرية هي الفاعل في كل ذلك و كل ما و ريث ما و عندما و بينما و الجملة المصدرية مضاف إليها هنا . وقد تميز العربية بين « أن وأن » و بين « ما » في المعنى وأشهر مثال لذلك هو الفرق بين كان أو كان و بين كما فكأن وكان تفيدان فرض كون الشيء غير ما هو عليه في الحقيقة و كما تفيد التشبيه و التمثيل الحقيقي مثال ذلك (وإذ نتقنا الحبل فوقعهم كأنه ظلة) و العجبل لم يكن ظلة أو مثل ظلة بل كانت ضدها في المتانة و الرخو و المعنى لو كان العجبل كظلة لكان نتقه و رفعه و زائله قريباً من الاحتمال فلا أنه لم يكن كظلة كان نتقه من المعجزات . و « كما » مثل (آمننا كما آمن الناس) يعني إيماننا بمثل إيمانهم . و تفرق « كما » عن « كان و كأن » من جهة بناء الجملة أيضاً و ذلك أن « كان » خاصة بالجملة الفعلية و « كان » خاصة بالجملة الاسمية و لا يقابلها إلا « كما » و حدها و تغلب عليها الجملة الفعلية ، فلكي يكون التوازن تاماً ابتدعوا حرقاً معناه معنى « كما » وهو خاص بالدخول على الجملة الاسمية وهو « كما أن »

وينتج من الأمثلة الموردة أن أكثر ما تنوب عنه الجملة المصدرية من أجزاء الجملة هو الجرور بحرف جار ثم بعد ذلك الجرور باسم مضاف و المنصوب على المفعولية ، و الأقل وقوعاً هو الرفع مسنداً إليه نحو (أيسرك أنه صبح كلامك) و ما ذكرناه من قل ما إلى آخره ، أو مسنداً نحو (ذلك أن وذلك أن) ، و قد تبدل الجملة المصدرية من الاسم و ما هو بمنزلة نحو (ما قلت لهم إلا ما أمرني به أن اعبدوا الله) فـ (اعبدوا الله) و ان دخلت عليها « أن » من الحكاية المذكورة آنفاً و دخول « أن » على الحكاية كثير نحو (فأوما إليهم أن اعبدوا) فالحكاية هنا مفعول أوما ، و يوجد مثل هذا في سائر اللغات السامية أيضاً و خصوصاً في الآرامية مثاله من الآرامية العتيقة *uken amar leh di haskaha ghar* أي

وكذلك قال له أن وجدت زجلاً وهو الاسم الموصول تقابل أن . ولا يظن أحد أن بين البناء العربي والأرامى علاقة تاريخية بالضرورة بل يحتمل أن تكون العبارتان مستقلة إحداهما عن الأخرى فإنا نرى إدخال الحرف الخاص بالجملة المصدرية على حكاية الكلام كثيراً في لغات مختلفة غير متقاربة منها التركية نحو (بكاديدي كه يارين بو رايه كل) أى قال لى أن حى هناغدا ولاعرية مع قلب الجملة مصدراً أو إدخال ما أو أن أو أن عاياً وسيلة أخرى لاقامة الجملة مقام الاسم وهى إدخال (كون) عليها نحو (نبهت على كونه) أنا قاله مذهباً (افشه) أى على أنه قاله ، غير أن مثل هذا من كلام المتأخرين فكانوا يعملون إلى ما نسميه العبارة الاسمية يعنى أنهم يؤثرون أسماء المعانى ومن بينها المصادر على غيرها من الأفعال والادوات وذلك لسببين : أحدهما استمداد العربية لذلك فإن أسماء المعانى فيها كثيرة جداً وصوغ الغير الموجود منها سهل . والى سبب الثانى تأثير التدريس المنطقى والشرعى فيهم قالت أكثره متكون من أسماء المعانى وتركيباتها . . . وكل ما ذكرناه إلى الآن من الجمل المصدرية عطفي يعنى يقع فى أوله حرف يعمل الجملة الأولى فى الثانية ، وقد توجد جمل مصدرية غير عطفية وأمثلة ذلك نادرة متفرقة إلا فى حالتين سنذكرها بعد ، وأما الباقى فنحو (فبدا لهم ليسجنته) أى قصد سجنه فالجملة هنا مسند إليه ، ونحو (المروة إذا أعطيت شكرت) أى المروة هى تشكر إذا أعطيت شيئاً فالجملة هنا مسند ، ونحو (ألم تكن عاهدتنى عهداً لاتكتمنى شيئاً) أى عهداً مضمونه أن لاتكتمنى شيئاً فالجملة بدل من عهداً ، ونحو (أقسم لا يخرج من الحبس) أى عدم خروجه فالجملة مفعول . وكل هذا وأمثاله ليس له أصل ثابت ولا قاعدة معينة فى العربية وهو من بقايا أوائل اللغة التى قد تحافظ عليها العربية مع وجود عبارات خاصة بالمعنى فيها فيجوز فى كل الأمثلة المذكورة إدخال حرف بين الجملتين نحو (فبدا لهم أن يسجنوه) إلى آخره . وغالباً يكون لحذف الأداة سبب وهو فى مثالنا أنه إذا أدخلنا (أن) لا يمكن تأكيد الفعل بالنون وإذا أدخلنا (أن) وقلنا بدالهم أنهم ليسجنته صار التركيب ثقيلاً وجيلاً بين بدالهم

وبين إدسجته أكثر من الواجب ، وفي مثل (أفتير الله تأمروني أعبد) كان السبب في حذف (أن) هو تقديم المفعول قانا إذا أدخلنا أن قانا (أفتير الله تأمروني أن أعبد) حالت بين الفعل ومفعوله المقدم حيولة غير مقبولة . ويوجد مثل كل هذا في سائر اللغات السامية أيضا غير أن أكثره أندرفيهامنه في العربية . وأما الحالتان اللتان وضعت لهما العربية قواعد ثابتة لاستعمال الجملة المصدرية الغير العطفية فأولاهما ما يضاف إليه يوم وحين ومثلهما نحو (لما كان حين نزل رسول الله بحسن أهل خيبر) وأكثر ذلك في النصب على الظرف نحو يوم جئت فالاسم هنا مستمد ليصير حرفا كاذ ، وتشاهد مثل هذا في غير العربية أيضا مثاله من العبرية *kol imc hithalla bi a`ittam* أي كل أيام تمسشنا معهم يعني عشنا معهم ، وقد يضاف في العبرية أسماء المسكن إلى الجمل أيضا نحو *qiriat hana David* أي قرية تمسك داود ، معناها القرية التي تمسك فيها داود كما أن حين نزل رسول الله معناها الحين الذي نزل فيه ، وربما كانت « حيث » اسما في الأصل أضيف إلى جملة ثم صارت حرف مكان . والحالة الثانية لإحاطة بعض حروف الجر بالجمل بغير توسط أن أو ما وهي قليلة في العربية منها اللام بمعنى كي وحتى ومنذ ومثل ذلك كثير في بعض اللغات السامية وخصوصا في الحبشية

أما الجملة الحالية فهي مع كثرة وجودها في العربية وسمة حيزها واختلاف أشكالها لاستتاق بحرف خاص بها بل تكون إما غير عطفية أو معطوفة بالوار ، وكلاهما اللتين قد وردتا في العبرية فمثال الغير المعطوف *lo tasipi iqr u lak rakka* أي لا تزيدن يسموئك رقيقة يعني لا يدومون يسوونك رقيقة ، ومثال المعطوف *naiera elay lahue min joseph pelah li ohel* أي فظهر له الرب وهو قائم على باب الخيمة ، ويوجد بعض ذلك في سائر اللغات السامية أيضا ، فمثلا لأن العبريان يوافقان القواعد السائدة في اللغة العربية في أن المضارع في الأول غير معطوف والجملة الاسمية في الثاني معطوفة وهذا من أقدم عادات اللغات السامية في هذا الباب والشواهد منها متعددة في العبرية وغيرها وهي في العربية أقل من ذلك . وأما الماضي فلا يعرف كيف كان استعماله الأصلي في الجملة الحالية ، والعبرية

استخدمت حرف للتوقع الخاص بها وهو « قد » في استئناف الجملة الحالية الماضية ملحداً به الواو نحو (فاتبه وقد شدوه) .. فلما حال طريقتان بسيطتان أوليتان في اللغات السامية هما على نحو (خرج يستقباني) و (جاءني وأبا قاعد) فالأول متركب من فعلان أولهما ماض والثاني مضارع وفاعلهما واحد ، والثاني مركب من جملة فعلية وجملة اسمية مبتدأها غير فاعل الفعل . ويحتمل أن يكون أصل الأول بدل الفعل من الفعل وقد ذكرنا ذلك فيكون عكسنا أن نقول (خرج استقباني) كما ذكرناه من بدل الفعل من الفعل في (قتلت خلالاً أرمت عليه إرحني) فكان المعنى إذا (خرج وذلك أنه استقباني) ثم استبدلوا الماضى بالمضارع لأن المضارع كثيراً ما يدل على فعل مصاحب لآخر متابع له فيصير بهذا الاستبدال عبارة عن كون الخروج هو أصل الحادثة والاستقبال تابع له بمعنى من المعاني وهو في مثالنا أن الاستقبال هو عرض الخروج ، فترى من ذلك التحليل أن إيهام معنى الجملة الحالية وسعة خبرها من طبائشها الأصلية . وأما الطريقة الثانية وهي (جاءني وأنا قاعد) فهي أقرب إلى الفهم من الأولى فنعطف الجملتين هو المؤلف لا يحتاج إلى تعليل والجملة الاسمية أقرب إلى معنى الحال من الفعلية وخصوصاً عند اختلاف المسند إليه في الجملة الثانية عنه في الأولى والأحوال من طبيعتها اتباع الحوادث فلا تحتاج التابعة في مثل هذا إلى عبارة خاصة بها .. هذا ما كانت عليه الأمر في الأصل ثم بعد ما كثر مثل (جاءني وأنا قاعد) تعودوا على تلقى هذا التركيب أي الجملة الاسمية المعطوفة على فعلية بل على اسمية أيضاً مع تخالف ما في المعنى كأنه عبارة خاصة بالتابعة والحالية . ومع ما بين الطريقتان المذكورتان من الفرق في التركيب وفي الأصل التاريخي فهما متقاربتان وحتى متساويتان في المعنى غير أن الأولى كثيراً ما يمازجها شيء من الغرضية والثانية يمازجها شيء من التضاد بين الجملتين .. وأما التنفى فتروى في الجملة الحالية المضارع المنفى بالحرف النافي القديم وهو لا يتبع المضارع الغير المنفى فيكون حالاً بغير حرف عاطف ، والماضى المنفى يتبع الماضى الغير المنفى في أمثال الواو على الجملة الحالية فتسألف به « ولم أجدها » ، « ما »

تستعمل اتقى المضارع أيضا ولا يجوز استغنىها عن الواو لانت أصلها
استفهام لا تقى

والآت بعد شرح أساس الجملة الحالية على العموم نذكر العاقل من تفصيلاتها : منها أن الجملة الحالية قد تكون خبراً كما أن النصب في معنى الحال هو أصل النصب في خبر كان وأخواتها كما ذكرنا ذلك فيما سبق وذلك كثير جداً منه كان يفعل وكان قد فعل إلى غير ذلك ولا يجوز أن نقول أن أصل هذه التركيبات من جمل الحالية فإنه لو كان الأمر كذلك لكان من الواجب أن يقال (كان وقد فعل) بالمعطى لا (كان قد فعل) بغير المعطى ، فينتج أن الجملة الحالية تختلف عن الاسم المنصوب على الحال في أن نصب كل توابع القول وبها الحال من أصول اللغات السامية يمكننا أن نبيّن عليه في بيان سبب غيره ، والجملة الحالية ليست بأصاية ولا بسيطة بل لها أصول مختلفة كما شرحنا ذلك فنضطر إلى أن نقرر أن الجملة الخبرية نوع من الجمل التوابع بنفسها قريب من الجملة الحالية وليس مشتقا منها ، والجملة الخبرية المدلول عايتها هذا غير الجملة القائمة مقام الخبر المذكورة آنفاً نحو (المروءة إذا أعطيت شكرت) فالجملة القائمة مقام الخبر عوض عن اسم موصوف وبالأخص عن مصدر كما شرحناه والجملة الخبرية في (كان يفعل) عوض عن وصف منصوب على الخبر أي كان فاعلاً .. والجملة الخبرية لا تقتصر على الاستناد إلى كان بل تستند إلى مفعول أو فعل القلوب أيضاً نحو (أحسبه مات في خلافة عمر) أو (أدرك اليوم جسمك تحمف) فهو كان مثل هذا حالاً لا يلزم إدخال الواو عليهما وإدخال قد على الأولى وكما يتبع المضارع فعل كان كذلك يتبع ليس وعاد وكاد وغيرها نحو (كدت أذهب) ويجوز إدخال أن نحو (كدت أن أذهب) فشبهوا كاد بأراد وأخواتها .

وأما الجمل الظرفية فـ شيراً مائة وم مقامها جمل مصدرية مع الحاق واحد من حروف الجر بها نحو بعد ما ولأن ، اوجمل حالية ولا يكاد يفيي الابض الجمل الغرضية final والشرطية وما يجانسها من الزمانية ، فحرف الغرض في العربية

كي وقد تضاف اليه اللام فيحير لكى واللام تعبر عن الغرض أيضا إما بنفسها أو مضافة الى أن في لأن وللا . ويقابل « كي » في العبرية *hah* ومعناها يتنوع جداً فهي قد تربط الجملتين المتساويتين المستقلتين إحداهما عن الأخرى ويكون إذا معناها فإن أو بل ، وقد تربط الجملة العاملة بالمعول فيها ومعناها أن أو أن أو إن أو غير ذلك فهي على غاية من الإبهام لا تكاد أن تغير شيئا إلا الارتباط مطلقا فالعبرية حددت معناها وحصرته فصارت قابلة الوقوع بالنسبة الى الأدوات الجديدة المرادفة لها في الأصل كأن وأن

والشرط قد يستغني فيه عن الأداة العاطفة للجملتين . مثال ذلك (ستن كليك يقتلك) أى إن سمنت كليك قتلك أو فسيفقتك فالمضارع المجزوم هنا جواب عن الأمر ومعناه . معنى جزاء الشرط الذى ينوب عنه الأمر وكثيراً ما لا يفيد المضارع المجزوم معنى جزاء الشرط في مثل هذه التركيبات نحو (أين يبتك أزرك) فقدّر المحذوف من مثل ذلك بأمر مثل (قل لي أين يبتك أزرك) وهذا بعيد ويوجد ما فيه تقدير الشرط أبعد منه في هذا المثال نحو (أيتك عندنا يحدثنا) أى أو كان عندنا يحدثنا ، فلارجح أن المضارع المجزوم لا يفيد إلا معناه المألوف الخاص به إذا ألحقت به اللام فيكون المعنى (أين يبتك فلا أزرك) و (أيتك عندنا يحدثنا) و (ستن كليك فليقتلك) فهذا المعنى هو الأصل ثم اشتقوا منه معنى الشرط في بعض الأحوال ، وأصل التركيب وسبب عدم العطف هو الإبدال كإني فأت مثلا (أيتك عندنا) ومعنى تعنى ذلك أني أحب أن يحدثنا ، فالمضارع المجزوم هو إيبان معنى ما سبقه على نحو ما شاهدناه آنفاً ، من بدل الفعل من الفعل وهذا المعنى الأصلي ظاهر في مثل (مر قومك يصوموا صاموا هذا) فالمجزوم هنا تبين واضماراً ما هو ضمير في مـ ولا يكون هنا شرط قائماً لو قدرناه به (إن أغريت قومك صاموا) صار المعنى بعيداً عن المراد ولا يمكن أيضاً اشتقاق هذا التركيب من مثل (أمر قومك فصاموا) فلو كان هذا أصله لكان يلزم أن يكون (مر قومك فيصوموا) أو (فليصوموا) ، وأكثر هذا خاص بالعبرية ويوجد مثل بعضها في الآرامية نحو *hah san netleb* أى هب لنا نغمد يعني اصطحبنا

أن تقدم وهذا بعيد عن معنى الشرط أيضا

وحرف الشرط في العربية إن وقد ذكرنا أنه قديم سامي غربي يفاهاه في العبرية *im* وفي الأرامية *en* وفي الحبشية *im* أو *ina* ونرى العمل في الشرط وأن دل على الزمان الحاضر والمستقبل إما أن يكون ما ضياء أو مضارع مجزوم نحو (إن أكرمته أكرمتك) أو (إن تكرمته أكرمتك) والمضارع المجزوم دل على الزمان الماضي أيضا في الأصل كما ذكرناه قبل ، واستعمال الماضي وما بمنزلة في الجملة الشرطية دالا على الحاضر والمستقبل كثيرا في اللغات السامية منه في الأكديّة *summa alpum avelam ikkip-ma ustanut dinnu* أي نطع الثور انسانا فقتله فلا يكون حق لهذه الدعوة و *ikkip* يوازن المضارع المجزوم وقد سبق أنفا أن هذه الصيغة هي العبارة المألوفة عن الماضي في الأكديّة . ومثاله من العبرية *im hakanita hakanita lak* أي ان كنت حكيما كنت حكيما لنفسك ومن الحبشية *esma baika fannuola hez he ia* أي إن أبيت تسربح قومي . وأصل التعبير عن الشرط بالماضي تظاهر في الأكديّة فـ *summa* وإن كنا ترجمناها بأن فهي لا توافق إن تماما بل معناها (افتراضا) ولا تعمل في الجملة نوعا من العمل فالجملة الشرطية الأكديّة مع جزائها ليست بتركيب اعمال بل هما تركيب تسوية ، فيأخذنا أن نترجم مثالنا (تقضي القصة الآتية ، نطع ثور انسانا فقتله فتقول ليس لأحد حق على أحد في ذلك هذا) فيظهر أننا لكي يمكننا أن نتحكم بذمتي أن تقضي الحكموم فيه ما ضيا حدث قبل حكمتنا فيه . و نرى من المثال الأكدي أن الأصل هو الماضي في الجملة الشرطية والحاضر أو المستقبل في جزائها واكثر اللغات السامية على هذا غير أن العربية اطلقت الماضي على الجملتين باتباع الثانية الأولى والفرع من ذلك نفوية على الشرط وربما لم يكن ذلك الا بعد ما نسوا أصل استعمال الماضي في الجملة الشرطية حاسرين أن يفعل وفعل عبارة عن الحاضر والمستقبل خاعة بالشرط يجوز استعمالها في الجزاء أيضا ، وما أدى الى ذلك ان المضارع المجزوم قد زالت دلالاته على

الزمان الماضي في أوائل تاريخ اللغة العربية إلا بعد . . وأما نفى الشرط فهو دائما بلا أولم ومدمما المضارع المجزوم ولم يتمكن حرف النفي الجديد وهو « لا » من التداخل في هذا التركيب القديم و« لم » هي النفي المألوف في الشرط و« لا » تتحد مع « أن » فتصيران « ألا » وهي لا تستعمل في الشرط إلا مع حذف فعلا وتقديره ما سميتها نحو (أنت سميت ما كان ينبغي ويملك وإلا تاجرتك) يعني إذا أوفيت العهد فلا بأس وإن لم توفه قابلك . . وأكثرا استعمال « إلا » في الاستثناء وقد ينشأ صدوره عن الشرط أيضا وقد توجد « إلا » في النشأ وذكرنا ذلك أيضا . والعربية شددت قواعد الشرط وصحبتها وزادت في ذلك عن غيرها كثيرا وذلك من اخص سلاماتها غير أنها لم تستند شيئا من وجود صيغتين في الشرط هما الماضي والمضارع المجزوم فاهما مترادفتان ليس بينهما فرق محسوس في المعنى فهذا من الفضول الذي لا فائدة له ومثاله نادر في العربية وقواعد الجملة الشرطية معروفة ولا نذكر منها إلا واحدة وهي أن الجملة الشرطية ينبغي أن تكون فعالية في العربية إلا أنه يمكن تقديم الفاعل المؤكدة على الفعل نحو (إن أنت فعلته) وبمقدم الفاعل نادرا إذا كان اسما مثاله من القرآن الكريم (إن امرؤ كفرا) . . وفي اللغات السامية غير العربية يجوز الجملة الاسمية في الشرط مثاله من الآرامية *hen itekum tidin* أي أنت كنتم مستعدين وإني في *itekōn* هي المذكورة آنفا وهي اسم معناه الوجود ويكون معنى *itekōn* وجودكم و« أن » يرافقها « إذا » وهي خاصة بالعربية ومماها بين الشرط وبين الزمان وعملها يتبع فعل « أن » في كثير من حالاته غير أن حداثة « إذا » تظهر جليا في اقتصرها على أحدث العماين الخاصين بـ « أن » وهو الماضي دون المضارع المجزوم فإنه وإن جاز أن نقول (إن تكرمني أكرمك) فلا يجوز أن نقول (إذا تكرمني أكرمك) بل يلزم أن نقول (إذا أكرمتني أكرمك) . . ونما تنفرد به « إذا » عن « أن » كثرة وقوعها على الزمان الماضي فوضعت العربية لها « إذا » قواعد ثابتة مفصلة وفرقت بين « إذا » التي يداخلها معنى الشرط و« إذ » المعبرة عن الحين الحين في الماضي كل التفريق ولا نجد نظير كل هذا

في غير العربية من بين اللغات السامية

ومما تشارك فيه اللغة العربية أخواتها التحيز بين الشرط والمبرعنه بأن وما يقابلها
وجنس ثان من الشرط أداته السامية «لو» ويفرق معنياً الجذنين بشيئين : أولهما
أنى إذا قلت (ان أكرمتني) شككت في - هل أكرمني الخاطب أولاً - وإذا
قلت (لو أكرمتني) كنت عارفاً بأن الخاطب لم يكرمني فالغرض المشار إليه بلو
فرض ضد الواقع أو المتوقع ، والفرض المشار إليه بأن فرض ما يتردد في وقوعه
والفرق الثاني أن «ان» دائماً للمستقبل أو على الأقل لا كثر للحاضر و«لو» للماضى
وقائلاً ما تكون للحاضر والمستقبل - وقواعد عمل «لو» أقل تحديداً من قواعد
عمل «إن» وخصوصاً بشأن الجواب عن لو وكثيراً ما نجد فيه اللام المؤكدة
نحو (لو جئتني لأكرمتك) غير أنه يجوز حذفها ، فنرى هنا عبارة معينة نافية
للاشك في حالة الحدوث والانكشاف . واللغات العربية تميل الى حذف الشرط
المضاد للواقع أو المتوقع إذا كان معناه مطلقاً ، يها والى الاكتفاء بجوابه وخصوصاً
في الحاضر والمستقبل نحو I should say أو je dirais ويمكن هـذا فيها لان لها
صينا من صيغ الفعل خاصة بهذا الجنس من الشرط وجوابه والعربية على ما شاهدنا
فيها من عدم وجود عبارة معينة عن هذا المعنى لا تستطیع أن تستغنى عن ذكر
لو والجملة التالية لها غير أننا نجد أن اللام في جواب لو كثر استعمالها مع تطور
اللغة العربية وكثر تطبيق لو على الحاضر والمستقبل أيضاً ، فيمكننا الآن أن نترجم
البارتين الفرنسية والانكليزية بـ (لكنت أقول) . . . وإن الشرطية لا توجد
إلا في العربية والعبرية والآرامية وهي في الأخيرتين أصل معناها التثني
وتستعمل كذلك في اللغات المذكورة وفي الاكدية وهي هناك أيضاً ، والجملة
التالية لها فعلية دائماً في العربية غير ما استؤثفت بأن أى (لو أن) وفي غير
العربية يجوز كون الجملة التالية لـ «لو» اسمية مثاله من الآكدية lu salmu ana
sarri belia أى لو أن على مولاى الملك سلاماً ومعناها سلام على مولاى الملك
فيختلف معناها في الاكدية عنه في العربية فانها في العربية انما تفيد التمني الذى
لا يتوقع ألا يكتفى بواقعه ، وهي مطلقاً المعنى في الاكدية ، وربما كان بين

١١١ أى لو بين اللام الجازمة قرابة فانا نرى في الاكدية ان ١١١ كثيراً ما تلحق بالمضارع المجزوم الذي يفيد الماضي في الاكدية على طبق ما تلحق به اللام الجازمة في العربية مثال ذلك *asu isten lillika limursi* أى طبيب واحد ليحى، ولينظرها واما *lillika* فليست مجزومة بل الفتحة الانتهاية تقابل نون التأكد العربية في مثل يحيى ونأخذ ١١١ بالفعل الذى هو *illika* و *im ursi* فسمعت صدمها

الى هنا تم البحث في موضوع محاضراتنا الاولى وهو التطور النحوى للغة العربية . ونلحق به ملحفاً نكلم فيه عن تطور اللغة العربية لامن جهة نحوها يعنى أصواتها وابتنيها وتركيبات جملها بل من جهة الكلمات التى تتكون هى منها ونجعل هذا الملحق باباً رابعاً خاصاً بالمفردات

الباب الرابع

في المفردات

اذا نظرنا الى ما وفق اليه علماء الشرق والمستشرقون من الكشف عن اللغة العربية وجدناه قليلاً ناقصاً بالنسبة الى الواجب والكامل . والنجاح في باب النحو والصرف أكبر منه في باب المفردات فالعمل في الكشف عن ابغة قديما في أولهاما الجمع والوصف ، والثاني التحليل والتعليل والتأليف ، اما عمل جمع مواد اللغة العربية ووصفها وتدوينها فنسج كثيره في باب الصرف والنحو وبعضه في باب مفردات اللغة . قلنا نرى قديما النحويين واللغويين دونوا في كتبهم أكثر ما جاء في التروفي الشعر الحديث .

واجتهد المستشرقون في سد هذا الخلل وكان توفيقهم في باب الصرف والنحو أكثر منه في باب المفردات ونظمت اسبين : أهمها ان باب المفردات اوسع

بكثير من باب النحو وعدد كلمات ذلك أكثر مراراً من عدد أشكال البناء والتراكيب المعروفة في هـ ذاء والسبب الثاني أن مفردات اللغة كثرت وتنوعت وتغيرت أضاف ما نجد من ذلك في باب الصرف والنحو وذلك من جهات فانه وإن كانت اللهجات القديمة تتخالف في بعض أبنية الأسماء والأفعال وتركيبات الجملة فذلك نادر قليل ولم يكمد يبقى منه أثر في اللغة الفصحى المستعملة في القرون الأولى بعد الهجرة وعلى العكس فيظهر أن اللهجات القديمة تحالفت تحالفاً واسعاً شديداً في بعض الكلمات والعبارات وبقي أكثر ذلك مستعملاً عند كثير من أصحاب الشر والتأخرين ومع ذلك اضطروا إلى اختراع كلمات جديدة لأنهم لم يسموا الأشياء والمعاني الجديدة التي لم ترها العرب قبل فتوحات الإسلام ولم تفهمها وهذا التطور لم يزل إلى أيامنا فانا إذا نظرنا إلى جريدة عثرنا في كل سطر على الكلمات الجديدة أو الكلمات القديمة ولها معنى جديد وإن كانت أبنيتها وتركيباتها لا تختلف عما كان مألوفاً في الزمان السابق إلا قليلاً . فإذا تخيلنا ديواناً للغة العربية بالغاً أقصى غاية في الكمال وقدرنا به الحقيقة كانت النتيجة مأسيتي : أن ذلك الديوان الكامل كان يذكر فيه كل عناصر اللغة من كل أبوابها وكل عصور تطورها وكل أنواع أساليبها وكان يؤدي لكل واحد منها بشواهد يظهر منها أن كان نادراً أم كثيراً أو عاماً أم خاصاً بالتشعر أو بالشر أو بغيره من فروعها أم كان خاصاً بعصر من عصور تاريخ اللغة إلى غير ذلك . والحقيقة أن الصرف والنحو وخصوصاً أحوال الجملة قد دون على هذا النمط مع بقاء الحلال العريضة العميقة . وأما المفردات فليس لنا قاموس عربي يقضي حاجتنا بل يقرب من أن يقضيها فإن الكتب القديمة من اللسان وغيره وإن دهشنا منها وشكرنا مؤلفيها صميم الشكر فلا تأتي بالشواهد إلا للتأثير الغريب وتهمل الآثار المشهورة وكلام المتأخرين وما جمعه المستشرقون في هذا الباب فهو مع كثرتة بعيد جداً عن النهاية والذي منع علماء الشرق مع بذل الجهد المجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات عن الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام سببان مرتبطان أحدهما بالآخر، أولهما مداومتهم

على السؤال عن الجائز في اللغة وضده وعلى المنع عن كثير من العبارات . وهذا وإن كان واجباً نافعاً فهو عمل المعلم لا العالم والمبالغة غير مضرّة ، فالعالم يقتصر عما يكون في الحقيقة لا عما كان ينبغي أن يكون ، والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة فإن أمى هذه النصيحة واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويموقها جازتها وغفلت عن تعليمه فيتسع إذا الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية وبين ما يعلّمه النحويون كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية . والسبب الثاني اعتقاد علماء الشرق أن أكل ما كانت عليه اللغة العربية وألفته وأحسنه ما يوجد في الشعر القديم وهذا حكم غير علمي وهو صحيح من جهة باطل من أخرى ، فإن القول المطلق بأن لغة البدو قبل الإسلام وفي أوائله كانت أكل وأحسن من اللغة العربية المستعملة في المدن في الزمان المتأخر ليس مما يحتمل تبين صحته بالبراهين العلمية القاطنة لأنه عارجه شيء من الذوق الشخصي كما قلنا أنا أثر هذا على ذلك وأستحسنه ، وإذا قيدت الإطلاق بذكر الأغراض المقصودة بالكلام على اختلافها وجدت أن لغة البدو القديمة كانت أدنى بكثير من لغة المتأخرين من جهة بعض تلك الأغراض فإن لغة البدو وإن كانت حسنة بارعة الحسن في وصف حياة البدو وكل ما يهمهم غنية غني باهرأ في جميع ذلك عجيبة الإيجاز والقوة في تمثيل المراد أمام السامعين كأنه حي حاضر فهمي مع كل ذلك لا تكفي في تأدية أحوال الأقوام المتمدنين وحاجاتهم وخصوصاً أفكرهم الدينية والفاسقية والعلمية وغير ذلك . . فاذا نظرنا إلى أحد فحول الشعراء المتقدمين فلا شك في أن استقصاء كل ما جاء في شعره من العبارات واجب وأساس من أساسات علم اللغة العربية . وإذا نظرنا إلى واحد من الشعراء المجهولين الذين يأتي اللغويون ببعض آياتهم شواهد على الكلمات النادرة الموجودة فيها فاني لأشك في أن الاشتغال بمثل ذلك عبث بالنسبة إلى بعض ما أهمله علماء الشرق إهاباً تافهاً وإذا ذكر مثلاً كتب الإمام الشافعي وأضح علم الشريعة بمنزلة علم حقيقي متعدد لجمع الآثار والأحكام ففتح بذلك للعربية أرضاً واسعة من وسائل التثديّة وأغناها غني زائداً على خدمة كثير من الشعراء لها وليس هو بالوحيد في درجته ومن

دونه بقليل ومع ذلك فوق كثير من الشعراء فعدد هم كثير
وانرجع الى موضوعنا فنقول . إن كل ما ذكرناه حتى الآن هو عمل الجمع
والوصف والتدوين وأما عمل التحليل والتأليف فلا . وآمل أن تكونوا
قد رأيتم من محاضراتي أنا وفننا الى فهم الكثير من مصادر الأصوات والأبنية
والتركيبات وتغيراتها التاريخية . وأما باب المفردات فنحن أبعد بكثير من بلوغ
غاية عمل التحليل والتعليل لما عن بلوغ غاية عمل الجمع والوصف ، وسبب ذلك
مع سعة اللغة العربية وكثرة ألفاظها المأخوذة من الاحاطة بها أن وظائف التحليل
والتعليل لمجموع المفردات متعددة واليك بأهمها . فإذا بدأنا بالكلمة الواحدة
على حدتها لزمنا أن نتفحص عن أصلها واشتقاقها ودرجة قدمها أن تكون أصلية
بما تشترك فيه اللغة مع أخواتها ؟ أم مخترعة حديثة ؟ أم دخيلة ؟ فإذا كان كذلك
فمن أي لغة هي ؟ ونفحص عن زمان اختراعها أو استعارتها ثم عن تغيرات لفظها
ومعناها ، وإذا كانت قد زالت عن الاستعمال تبعنا في أي وقت كان ذلك ،
فيكون لكل كلمة تاريخ وترجمة لحياتها ويتكون القاموس من مجموع هذه
النوااريخ . ثم نؤلف بين الكلمات المنردة على عدد من الطرائق وأهمها
اثنان : فترتها أولاً على أصولها فجميع بين كل ما يرتقى الى أصول اللسان ثم
نضم اليه طبقات ما اخترع في الزمان المتأخر أو استعير من لغة أخرى ونسأل
عن موقف كل طبقة وطبقة في التاريخ وخصوصاً تاريخ الحضارة والتقدم والتطور
الإنساني والأدبي فنستنتج الأسباب الداعية الى اختراع الكلمات الجديدة
أو استعارة الدخيلة . وبعد هذا المتبع التاريخي تبحت عن موقف اللغة ومفرداتها
من الوجهة الاجتماعية فنسأل ما هو العام منها وما هو خاص بصنف من أصناف
الشعب ومصطلح به بينهم ؟ ومن ذلك التفريق بين الثرى والشعري والتفريق
بين العادي والفني أو العلمي والتفريق بين العالي والمنخفض . والطريقة الثانية
التأليف بين الكلمات من جهة معانيها ومن هذا ما سباه القدماء فقه اللغة والاعتناء
الكثير به مما تتعجب منهم لأجله ، غيره أنهم لم يوفوه كل الاستيفاء فانهم وإن
كانوا قد جعلوا مثلاً كل الكلمات التي ترجع الى الخيل وبينوا معانيها وقربوا

بينها فقد اعتمدوا في ذلك على الكلمات أولا ثم شرحوا معانيها وكان ينبغي أن يسلكوا ضد هذه الطريقة في كثير من الحالات فيبدأون بالأشياء ثم يتساءلون كيف تسمى ؟ فإذا أردنا مثلا أن نفهم معنى كل الكلمات المتعلقة بالبر والفروق بينها لزمنا أولا أن نتعرف ماهو البر وما أنواعه ومن أي الأشياء يتكون إلى آخر ذلك فإن الشيء أقدم من اسمه في كثير من الحالات فإذا عثر الناطقون على شيء جديد لم يكونوا يعرفونه قبل من الأشياء العادية وكذلك من المعاني اضطروا إلى تسميته فاما أن يستعينوا على ذلك بكلمة موجودة قديمة معناها قريب من المطلوب أو أن يخترعوا كلمة جديدة أو أن يستعملوا كلمة أجنبية وأكثر ذلك إذا كان الشيء أجنبيا أيضا يأتيهم من خارج بلادهم واسمه معه فيظهر من ذلك أن تغيرات المعاني جنسان : أولى وثانوى ، فالأولى تغير المعنى بغير تغير في الأشياء الموسومة بالكلمات ، والثانوى ما يدعوا إليه تغير الأشياء وظهور أشياء جديدة . وتغيرات معاني الكلمات من أهم موضوعات هذا الباب كما أن تغيرات الأصوات والبنية والتركيبات من أهم موضوعات البحث عن التطور اللغوى والفحص عن قوانينه من أجل أغراض علم اللغة : فإذا قابلنا ما كان يلزم أن نتناوله كتب اللغة بما تناوله في الحقيقة شاهدنا نقصا مدهشا لاجابة الى تفصيله

ولقصر ما بقى لنا من الوقت لا يمكننا أن نتكلم عن كل ما وقفنا الى استخراجه من تاريخ المفردات العربية بل نضطر الى أن نكتفى بالقليل من ذلك فلنتكلم بالاختصار أولا عن النسبة بين مجموع مفردات اللغة العربية وبين ما نفترض لغة السامية الأم من المفردات ، وثانيا عن الدخيل الذى دخل فى اللغة العربية في الزمان القديم وعن أى اللغات استعير

أما الكلمات التى تشترك فيها كل اللغات السامية وبينها العربية والتى تستحق أن تعد بين أقدم عناصر اللغة العربية بناء على ذلك هى بعض أسماء الانسان وأحواله : كإناس وذكر وأتى وأب وأم وابن وبنت وبكر وأخ وبعل وأمة وضمرة . ومن الأفعال المتعلقة معنى بهذه الأسماء : ولدت ، ثم ملك وتسكر . ثم

من أسماء الحيوانات : نمر وذئب وكلب وخنزير وإيل ونور وسحر ونسر وعقرب
 وذباب، ومنها فعل نبح . ومن أسماء النباتات وأجزائها : عنب وثوم وقثاء وكون
 وزرع وسنبلة . ومن أعضاء البدن : رأس وعين وأذن وأنف وفم ولسان وسن
 وشعر ويد وحفظة وظفر وركبة وكتف وذئب وقرن وعظم واب وكرش وكبد
 وكاية ونفس ودم ومثانة . ومن الأفعال والأوصاف الراجعة إليها : سمع وطعم
 وشباب ورعين وموت وخلق وقبر . ثم من أجزاء العالم : سماء وكوكب وشمس
 وأرض وحقل وماء ومنبع وبئر وعضة وقتار وأثر . ومن الأفعال والحوادث
 التابعة لها : ظل ويوم وليلة وبرق ودلا ولط . ثم بعض أسماء البيت وأجزائه
 والآلات نحو : بيت وعمود وعرش وقوس وحفظ أصل معناها السهم وحبل وإناء
 فيتبعها من الأفعال رمى . ثم من الماء كولات والمشروبات : قح ودبس وحمة
 وسكر تعود إليها أفعال مثل طحن وطبخ وبسل وقلا . ثم عدد كبير من الأفعال
 التي لا تخص واحداً من الأشياء المذكورة وبعض الأسماء التابعة لها نحو . كان
 وشام وإنشأ ورضو . وعلا وقدم وقرب وبكا وصرخ ونفخ وأخذ وذكر وسأل
 وبشر ورحم ومنى ولبس ورحض وبل وحجر ونقل ونقب وصفر وذرى ورعى
 وسقى وضد وركب ونظر وفقد وكلأ ونظر وسلم وطلب وبس وخيل وأبد
 وثبر ودق وقصر وقرص وخطى . وذبح وبارك وهلى . ومثل قول ووفر وعل
 وحدث وسفل وفتح وورق . ومن الأسماء : اسم وكل ثم أسماء العدد إلى العشرة
 وبعدها ثم بعض الأدوات وقد ذكرناها كما ذكرنا قبل بعض الأسماء المذكورة
 هنا أيضا . وبين هذه الكلمات وقيل من الكلمات التي نشك في وجودها في
 كل اللغات السامية المهمة وبين الالفاظ التي تتفردها العربية عن أخواتها عدد
 من الكلمات التي تشترك فيها أربع أو ثلاث أو اثنتان من اللغات السامية فقط
 دون غيرها بالحكم في هذه الكلمات مشكلاً ، إن كانت سامية أصلية ثم نسبت
 في بعض اللغات السامية وزالت من الاستعمال وتكون خاصة ببعض اللغات السامية
 فقط كالسامية الغربية والسامية الجنوبية فاختارته هذه الفرقة عن اللغات السامية
 بعد تفرقها عن غيرها فإذا جمعنا كل الكلمات العربية التي توجد ولو في إحدى

اللغات السامية غير العربية وقابلناها بمجموع المفردات العربية بعد طرح كل الكلمات الدخيلة منه وجدنا أن ماشارك فيه اللغة العربية غيرها من السامية هو قسم قليل جداً من مجموع ألفاظها مع أن منه عدداً كبيراً من الكلمات الاسامية الواجبة المكونة كمنه اللغة . فأما أصل هذه الكلمات الكثيرة الخاصة بالعربية فقد مال بعض العلماء الى أنها أو أكثرها سامية أصلية أيضاً وسقطت من كل اللغات السامية غير العربية ، وهذا بعيد عن الاحتمال في الغاية ولا يجوز افتراضه إلا على فرض كون اللغة العربية أقرب الى اللغة السامية الأم من أخواتها وحتى كونها هي اللغة الأصلية بينهما . وقد بينا في مواضع كثيرة أن هذا من الأوهام التي لا سبب لها فان اللغة العربية ترقى ترقياً أكثر من أخواتها وارتفعت الى درجة فوق درجتها فكيف يمكن أن تكون مع ذلك أقرب الى أرائل اللغة منها ؟ فلا بد من أن نفترض أن اللغة العربية اخترعت ألوفاً من الكلمات الجديدة ولأعجب في ذلك بعد ما شاهدناه مراراً متعددة من ميلها الى التخصيص وإلى اختراع العبارات الجديدة المحدودة فكما أنها مثلاً اخترعت أدوات جديدة للنفس خاصة ببعض معانيه كذلك اخترعت مثلاً كلمات جديدة خاصة بكل من أنواع الأبال على اختلافها فنشر على آثار مزينة العربية الخاصة بها في تاريخ مفرداتها كما وجدناها في تطور صرفها ونحوها

والموضوع الثاني الذي كانت مرادنا أن نتناوله هو دخول الكلمات الأجنبية الى اللغة العربية فلقد ذكر من اللغات التي أثرت في العربية في الزمان القديم الفارسية والحبشية والآرامية . والسبب في تأثير هذه اللغات بالخاص في اللغة العربية هو أنها كالت لغات الاقوام المتعدنة المجاورة للعرب في القرون السابقة للهجرة فاللغة الآرامية على اختلاف لهجاتها كانت سائدة في كل بلاد فلسطين وسوريا وبن النهرين وفي بعض العراق . واللغة الفارسية كانت مجاورة للآرامية والعربية في العراق وكان نفوذها قوياً في شرق جزيرة العرب وجنوبها . واللغة الحبشية ومعها اللغة العربية الجنوبية المقاربة جداً للحبشية كانت مجاورة العربية الشمالية في جزيرة العرب نفسها . ومع ذلك فكانت هذه اللغات لغات

العلاقات التجارية. أيضا فان تجار مكة مثلاً كانوا يتجرون مع الأراميين في دمشق ومع الفرس في الحيرة والمدائن ومع سبأ وحمْير في اليمن وفواقل هذه الاقوام كانت تمتاز جزيرة العرب من جهة إلى أخرى ومع ذلك كانت الارامية من أهم لغات التهرانية التي كان يميل إليها كثير من العرب . وكانت الحبشية من لغات النصارى أيضاً . ونظم من سيرة النبي علاقات الصداقة بين أتباعه وبين نصارى بلاد الحبش . والارامية كانت لغة الدين التابع للتهرانية قوة ونفوذاً في جزيرة العرب وهو دين اليهود . والدين الثالث وهو المجوسية كانت لغته الفارسية وهي مع ذلك لغة إحدى المملكتين المتصلتين في أطراف بلاد العرب واستمرت تلك المملكة مع نخلاف سلالات ملوكها أكثر من ألف سنة فلا عجب إن أثرت لغتها تأثيراً قوياً لا في اللغة العربية فقط بل في غيرها أيضاً خصوصاً الارامية . ولغة المملكة الخاضعة للفارسية وهي اللغة الروسية واليونانية وإن لم تباشر العربية فقد أثرت فيها بواسطة لغات أخرى وبالاخص الارامية وكان ذلك من الواجب لان اليونانية مع كونها اللغة الادارية في مملكة الروم كانت أيضاً لغة الحضارة العليا الموجودة حينئذ ولغة الفلسفة والعلوم لانظيرها في زمانها . والحضارة اليونانية لما فتحت الشرق صادفت هناك حضارة أدنى منها ولكن أقوم بكثير وهي الحضارة الشرقية القديمة فلم تقفها بل امتزجت بها فبقيت آثار لغتها وهي الاكدية وقبلها السوميرية كثيرة في اللغات الشرقية . ومن العجيب أن اللغة القبطية لا يكاد يوجد لها أثر في اللغة العربية ولذلك أسباب تاريخية لا محل هنا لتفصيلها .

وأما الفارسية فالألفاظ التي عرمت منها في الزمان المتأخر كثيرة ونحن نكتفي بذكر بعض ما دخل العربية قبل الإسلام أو في طوره منها اصطلاحات الإدارة كالديوان والرزق والمرزبان والدهقان والفرسخ والتاج . ومنها ألفاظ دينية كالدين والجناح والمجوس واليروز ، ومنها أسماء الاشياء الخاصة بالعجم أو المجلوبة من عندهم كالصنج والصولجان والفردوس والفيل والجاموس والمسك وخصوصاً أسماء أنواع السائج كالديباج والاستبرق والبرسيم والطيلسان والقمط

ومنها غير ذلك كالمراج والخرندق . فانتظر إلى أصل معناها وكيفية تعريبها .
 فالديوان هو في الأصل الكتاب يكتب فيه أهل الخراج والجزية وغير ذلك :
 وأهل العطية أيضا وهو مشتق من دير أى الكاتب . والرزق أصل معناها العطية
 اليومية مشتقا من روز بالضمة المجهولة أى rōz و rōz ومعناها قريب من ياء النسبة
 فـ rōzik معناها اليومية . بعينها فالقاف العربية تقابلها الكاف الفارسية هنا وهذا
 كثير والكاف في هذه الكلمة لا توجد إلا في اللهجة الفهرية من اللغة الفارسية
 أى اللهجة المستعملة في وقت الاشكانيين Arsakiden والساسانيين وحذفت
 فيما بعد ، فهذا ما يدل على قدم تعريب الكلمة ويدل عليه أيضا وجودها
 في الآرامية مستعملة من الفارسية فهي هنا rōzika . ومرزبان مركبة من
 « مرز » أى الأقليم والولاية و« بان » أى صاحب الشيء والدافع عنه . والدهقان
 مشتقة من « ده » أى الضيقة . والفرسي في الفارسية فرسنك فلان صوت الـ
 (نكك) لا يوجد في العربية استبدلوه بالحاء . وتاج من الكلمات التي دخلت الآرامية
 أيضا فهي taga وكذلك دين في معنى الديانة وأما دين في معنى الدينونة فهي معربة
 من الآرامية وأصلها dem في الأكديّة ولعلّ دين الفارسية في معنى الديانة مأخوذة من
 dem الأكديّة بعينها مع اختلاف معنييهما . والجناح أصلها گناه فيقابل
 الكاف الفارسية هنا وفي تاج وغيرها الحيم العربية وهذا يدل على أن الحيم
 وقت ما عربت هذه الكلمات الفارسية كانت قريبة في لفظها من الكاف كما يثبنا
 ذلك في الباب الأول من محاضراتنا وأهلاء الفارسية تقابلها هنا الحاء العربية
 وذلك نادر الوقوع . ثم المجوس مشتقة من magu أى عابد النار ويقابلها في
 الفارسية الحديثة مغ . والنيروز قسمها الثاني « روز » أى النهار وذكرناها آنفا
 وقسمها الأول كلمة مثلها جديد وهي في الفارسية الحديثة « نو » غير أن بعض
 الدلائل تدل على أنها كانت تلفظ nev في بعض اللهجات كما نجد في نيسابور
 ثم نيسابور فعني نيروز هو النهار الجديد أي أول السنة . والصنج أي صفيحة
 مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى مثابا للطرب هي جنك . فحافظوا فيها على

الـ (نكث) على خلاف الفرسخ واستبدلوا الجيم بالعاد وهذا كثير . ومنه
اصولجان وهي في الفارسية الحديثة جوجان بالضممة المجهولة . والفردوس لانعرف
أصلها الفارسي غير أن اليونانية كانت استعارتها قبل الهجرة بما يقرب من ألف سنة
وهي هناك paradisos والقيل هو بيل و pila في الآرامية . والجاموس مشتق من
كاو أي البقر وهو في الفارسية شكاوميش بالكسرة المجهولة أي هـ وكذلك
gaumesā في السريانية والمقطع الثاني من جاموس العربية يقارب المقطع الثاني
من مجوس . والمسك مشك في الفارسية وكذلك muska في الآرامية فهذا
من إبدال الشين بالسين الذي صار أخيراً في بعض الكلمات المعربة قديماً كما يتأكد ذلك
في الباب الأول ومثله كثير بين الكلمات الفارسية الداخلة في المبرية ومشك أصلها
هندي فدخلت الفارسية ثم الآرامية والعربية وقد حدث مثل هذا مرارا . والدياج
أصلها في الفهلوية depak فصارت الكاف هنا جيما بخلاف الرزق فقد وجدنا فيها
الكاف الفارسية صارت قاقا وهذا يدل على أن كلمة رزق أقدم بكثير من كلمة
ديياج فإن الكاف الفارسية السابقة لها حركة صارت كافا في الأول ثم
صارت هاء أو حذفت فـ depak صارت في الفارسية الحديثة دياموديا بالكسرة
المجهولة . والاستبرق مشتقة من إستبر أي الشديد والتخين بالخاق ak - وهي
كثيرة جداً في الأوصاف الفارسية فأصل المعنى لسيجة تخينة متينة ثم أطلقت
على غليظ الديباج . والابريسم أصلها أبرشم بالكسرة المجهولة وأبدلت الشين
بالسين كما سبق . والنمط في الفهلوية namat فأبدال التاء بالطاء كأبدال الكاف
بالتف في بعض ما ذكرناه . وكذلك طيلسان وهي في الفارسية تالشان وإبدال
الفتح المدودة والكسرة يكون في بعض الكلمات الأخرى أيضاً . والسراج
أصلها چراغ بالعين بدل الكاف المثبتة وهي في الآرامية sraga فيبدل ذلك على
أن لفظ الجيم الفارسية كان قريباً من الشين في هذه الكلمة وربما كان سبب ذلك
تحركها بالكسرة فصارت سيناً في العربية كسائر الشينات في الكلمات المعربة
قديماً . والخندق أصلها khandak أي محفور وهي كنده في الفارسية الحديثة
الكاف ، الكاف ، الكاف ، الهاء المتأخرة تقابلهما في الفارسية الحديثة الحاء فذلك

من اختلافات اللهجات وهو كثير في الفارسية ونجد الحاء في بعض الكلمات المتعلقة بـ (كنده) منها خات أى الفندق وخانه أى البيت ... وأما الكلمات الفارسية التي توجد في الأرامية أيضا فيمكننا أن نقول إما أن الأرامية توسعت بين الفارسية والعربية فدخلت الكلمة اللغة الأرامية أولا ثم عربت مع سائر الالفاظ الأرامية العربية أو أن الكلمة دخلت كلتا اللغتين مباشرة مستقلة إحداهما عن الأخرى فلا بد من تحقيق ذلك في كل كلمة وكلمة وهذا صعب بل محال في كثير من الحالات

وأعم الكلمات الحبشية الموجودة في العربية هي العائدة إلى أشياء دينية كحواريون وناقق ومنافقون وفطر ومنبر ومحراب ومصحف وبرهان وهي مع بعض الألفاظ النادرة التي جاءت في القرآن الكريم وفي الحديث تشهد بالنبأيات الصحيحة بين المسلمين وبلاد الحبش قبل الهجرة ، وبعض الكلمات الأخرى التي يمكن اشتقاقها من كلمات حبشية ربما كانت في الحقيقة يمانية فانه للقرابة بين الحبشية واللهجات اليمانية يبرز أن نفترض كثيرا من المفردات الحبشية لغة العربية الجنوبية أيضا فمن ذلك : خوخة ومشكاة وسكة في معنى الطريق الكبير ومائدة وبخل . وقد عربت في بعض الأوقات كلمات عربية جنوبية لا توجد في الحبشية منها تاريخ ، فحواريون جمع *hawāreā* أى الرسول من *hōra* أى سارومشى . وناقق مأخوذة من *naḥaqa* أى شك وداهن ومنها اشتق *manāḥeq* أى تابع لطائفة مخالفة للإمامة وفطر كذلك في الحبشية لفظا ومعنى . ومنبر أصلها *manbar* أى المقعد . ومحراب ربما كان أصلها *mehram* أى المقعد فأبدلت الميم الثانية باء فخالف بينهما . ومصحف وروى الميم بالحركات الثلاث أصلها *maṣḥaf* أي الكتاب مشتقا من *ṣaḥafa* أى كتب . وبرهان مشتقة من مادة (بره) وهي تنوب في الحبشية عن (بهر) في معنى النور والضوء فأصل معنى برهان هو النور والتنوير . وخوخة أى السكة تؤدي النور إلى البيت من *hūhat* في هذا المعنى بعينه . ومشكاة من *maskot* أصلها *maskot* ومعناها السكة أيضا ورسم المنطع الثاني بالواو في القرآن الكريم يدل على أن حركته لم تكن

فتحة مدودة في الاصل بن كانت ٥ . وسكة معربة من saklat ومائة من mī³ cd ، وبغل من tazl فأصبحت الفاف رخوة تشبها لها باللام ، وتاريخ مشتقة من qal³ أى القمر فأصلها تورخ وقد تجيء كذلك ومعناها الحساب بالشهور وكل هذا يحتاج الى ملاحظة فانا إذا وجدنا كلمة عربية تساوى كلمة غير سامية فارسية مثلاً فلا بد من كونها دخيلة في إحدى اللغتين فأخذتها العربية عن الفارسية أو بالعكس أو تكون دخيلة في كليهما فأخذناها من لغة ثالثة . وإذا ساءت كلمة عربية كلمة سامية حبشية أو آرامية أو غير ذلك فالأقرب الى الاحتمال أن الكلمة سامية أصلية أو خاصة بفرقة من اللغات السامية فورتها كلتا اللغتان الاختان من أهمها فلا بد سبب يجوز أن نقول إن الكلمات المذكورة المذكورة التي تشارك العربية فيها الحبشية ليست بأصلية في كلتا اللغتين بل هي حبشية الأصل واللغة العربية استعارتها فالجواب انا نستنتج ذلك من تحقيق لفظ الكلمة ومعناها وكيفية استعمالها في اللغتين ومن العلاقات بينها وبين سائر الألفاظ وأعم الجميع وجود اشتقاق ظاهري بين الكلمة في إحدى اللغتين مع عدمه في الأخرى فـ (حواريون) مع كون بنائها غير مألوف في العربية فلا يمكن اشتقاقها من (حار) لان ما هو أقرب الى معنى الحواريون من معانى هذه المادة وهو الرجوع أبعد عنه بكثير من معانها في الحبشية وهو السير والمشي كما قلنا . ولعلاقة في العربية بين النفاق وبين سائر معانى مادة (نفق) وهي في الحبشية تدل على التفسير والتفسير فالنفاق هو التقسم القاب قبل الايمان فظاهره يخاف باطنه . وفطر لم تؤد معنى الخلق في العربية قبل مجيئها في القرآن الكريم وأصل معانها العربي هو شق وهي في الحبشية مألوفة في معنى الخلق و nabara في الحبشية هي الكلمة المعتادة للتعبير عن العقود ولا اشتقاق للتعبير في العربية ولا المحراب وأما مصحف وصحيفة وغير ذلك مما اشتق من مادة (صحف) فبدل معناه على كونه دخيلاً فان العرب لما أخذوا الكتابة بن جبرائيل الذين سبواهم الى التمدن يحتمل أن يكونوا قد أخذوا منهم الاسماء الدالة على التمدن فكان ينظر إذا أن تكون المصحف آرامية كما أن الخط العربي آرامي الاصل غير أنا لا نجد

في الآرامية كلمة تقابل « مصف » فنظر إلى اليمن وبلاد الحبش لأن الكتابة كانت معروفة مستعملة هناك أيضاً وكان بعض العرب يكتب بالحروف اليعمانية قبل أن يألّفوا الحروف الآرامية . وبرهان منفردة في العربية ليس لها قرابة إلا ما اشتق منها كبرهن . وكذلك خوخة ومشكاة وسكة ومائدة وتاريخ . وأما مشكاة فذكر اللغويون القدماء أنفسهم أنها حبشية

والكلمات الآرامية العربية كثيرة لانكاد أن نحصى وتختلف منابعها فبينها يهودية يذبحى أن تكون قد أخذت لهجة من اللهجات اليهودية الآرامية ومنها نصرانية يحتمل أن يكون منبعها لهجة النصارى المستعملة في بلاد سوريا وفلسطين وهي غير اللغة السريانية المشهورة التي ما بين النهرين إلى شمال سوريا فقط . وبين الكلمات الآرامية العربية ما يدل معناه على صدوره عن إحدى الطوائف الصغيرة المتفرقة في العراق خصوصاً المندائية والتفريق بين هذين المصداق وتعيين الصحيح فيها صعب وقد يوقفنا إلى ذلك لفظ الكامة نفسها مثال ذلك قسطفى في السريانية *qusta* بالطاء وفي اللغة المندائية *kusta* بالكاف فلا يحتمل أن تكونا هما مصدرها فلا يبقى إلا الآرامية اليهودية فالكلمة فيها *qusta* وهي كذلك في الآرامية النصرانية المستعملة في سوريا وفلسطين قديماً ، غير أن هذه الملاحظة لا تقيدنا شيئاً لأننا نينا من قبل أن هاتين اللهجتين أكثر تأثيراً في العربية ولا يمكننا أن نميز بينهما بلفظ الكلمة .

فاللهجات الآرامية المذكورة غير السريانية هي التي اقتبست منها اللغة العربية في الدور الأول من تأثير الآرامية فيها وهو زمان الجاهلية وأوائل الإسلام وتختلف في أتماته أزمان تعريب الكلمات الآرامية اختلافاً عظيماً وقد ذكرنا نبذة من ذلك فيما سبق . والدور الثاني هو أول زمان الدولة العباسية إذ كان السريان معلمين المسلمين في العلوم الفلسفية والطبيعية والطب وغير ذلك وكانت اللهجة الآرامية المؤثرة في العربية حينئذ اللغة السريانية المشهورة وكان تأثيرها بالكتب أكثر منه بالشافهة ، ثم بعدما ابتدأ الناقولون بالرجوع إلى الكتب اليونانية نقلها إلى العربية بدل استخدام التراجم السريانية زلزل نفوذ

اللغة السريانية تماماً ، واليكم أمثلة قليلة من فيض وافر وسنقتصر في انتخابها على الدور الأول من الدورين المذكورين فمنها النباتات الكثيرة التي لا تنبت في جزيرة العرب كالرمان والزيت ومنها الحُر والكبريت والارجان والبلور والسم ، ومنها كثير من أجزاء البيت والآلات كالباب والقفل والزجاج والكيس والسكين والسيف والخاتم ، ومنها بعض ما يتعلق بإدارة الممالك كالسلطان والأمة والعالم والمدينة والسوق والغسط ، ومنها السبيل والساعة ومنها أكثر ما يرجع إلى الكتابة والقراءة والتدريس بناء على كون العرب أخذوا الخط نفسه من الأقوام الآراميين ومن ذلك كتب وكتاب وقرأ والنقطة والصورة والتفسير والتأنيذ ، ومنها كثير من الألفاظ الدينية كرحمن وقيوم وسكينة وفرقان وملاك وصلى وصام وتاب وزكا وزكاة وكفر وعبد وصلب وصليب وزنديق ورجز ودجال ، وقصر الوقت لا يسمح لنا بتفسير الأمثلة المذكورة كلمة بعد كلمة فنكتفي ببعض الملاحظات المهمة منها أن الحاء الآرامية تتأوب عنها الحاء في بعض هذه الكلمات كالحُر والخاتم وهما في السريانية *hamra* و *hātina* غير أن الحاء تلفظ حاء في بعض اللهجات السريانية والآرامية على المسموم فيأزم الاقتراض بأن العربية اقتبست هذه الكلمات من واحدة من تلك اللهجات. والشين الآرامية كثير أمانثوب عنها السين العربية نحو سلطان من *sultana* وقسط من *qusta* وسوق من *suqa* وسبيل من *sbila* وساعة من *sa ta* وفسر من *psar* و *passar* وسكينة من *skinta* وقد ذكرنا سبب ذلك قبل ، غير أن فيه احتمالاً ثانياً وهو أن العرب عند تريب الكلمة لم يستعبروها حرفاً بحرف بل استبدلوها بالكلمة المقابلة لها في العربية من جهة الاشتقاق وهذا ليس بعيد ونشاهد مثله في أيامنا حادثاً بين العربية الدارجة في الشام وبين اللهجة الآرامية المستعملة في بعض ضياع في جبل قلمون وخصوصاً في « معلولة » مثال ذلك أن (جرب) أصبحت *garreb* في هذه اللهجة وذلك لأن الـ *g* الآرامية العتقية صارت غينا في لهجة « معلولة » فلذلك وقت ما استعاروا كلمة (جرب) استبدلوا الجيم بالعين . فكذلك يحتمل مثلاً أن العرب وقت ما عربوا كلمة *sultana* أو *skinta* استبدلوا الشين بالسين لأن مادتي (شلبط)

و (شكن) الاراميتين يتقابلهما في العربية (سلط) و (سكن) ومثال ذلك من بين الكلمات الحبشية المعربة طانوت أصلها *ṭān* الحبشية ولذلك أصبح الحرف الثاني في العربية غينا وهو عين في الحبشية . . . وأما التمييز بين الالفاظ المعربة من الارامية وبين الالفاظ العربية الاصلية المتقابلة لكلمات ارامية مقارنة لها في الاصل فقصة كقصة مثله في الكلمات المأخوذة من الحبشية فلا نعود الى ماينداه هناك ونكتفي ببعض الامثلة المهمة : منها تلميذ وثاب وزكان حيث أن لفظها يدل على احتمالة كونها عربية أصلية ، وذلك أن تلميذ مادتها السامية (لمد) بالذال لا الذال فهي في الاكدية *lamadu* وفي العبرية *lamad* أي تعلم ، ولو كانت لام هذا الفعل ذالا في الاصل لكان من اللازم أن تكون زايا في الاكدية والعبرية لان الذال الاصلية انقلبت زايا في هتين اللغتين . وأما الذال في *lamad* العبرية وفي *lamiḡa* الارامية أيضا فقد أبدلت من الذال بحيث أن كل الحروف الشديدة إلا المطبقة منها أصبحت رخوة في العبرية والارامية إذا سبقها حركة وإذا سكن الحرف السابق لها بقيت على حالها شديدة فلذلك نجد في العبرية مثلا *lamiḡi* أي تعلمي بالذال . فرى أن العربية استعارت الكلمة محتفظة في ذلك بلفظها عند الاراميين غير راجعة الى مادتها الاصلية كما رأينا ذلك في كثير من الكلمات التي أحد حروفها الشين ، فيدل ذلك على انقراء كلمة التلميذ عن غيرها في الارامية وفي العربية وعدم كلمات أخرى مشتقة من مادتها والامر كذلك في الحقيقة فمادة (لمد) وإن وجدت في العربية إلا أنها نادرة جدا ولا علاقة بين معناها ومعنى التلميذ ، قالوا نجد (لمده) تعني تواضع له بالذل . وليس في الارامية *lind* في معنى النعام الا في بعض مايحتمل أن تكون العبرية أثرت فيه ولا توجد في السريانية أصلا . والذي يؤكد ماقلناه من كون انفراد « تلميذ » في اللغتين سبب احتفاظ العرب بالذال فيها أننا نراهم عند تعريبهم الكلمات الارامية أرجعوا الحروف الرخوة الى اصلها الشديد في أكثر الاوقات ، مثال ذلك من الكلمات المذكورة خاتم من *ḥatma* ومادتها (*lrm*) فصارعها (*rehtum*) بالهاء ، أو سكينه من *skīnā* مادتها (*skn*)

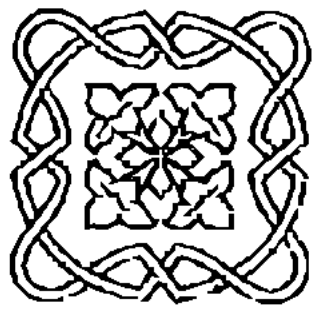
فمضارعها في الآرامية اليهودية *ijiskan* وأما تاب فإدتها الأصلية ثوب فهي في العبرية *šūb* لأن التاء السامية صارت شينا في العبرية ومعناها الأصلي الرجوع وتجد تاب بالتاء في هذا المعنى نفسه في العربية وأصبحت اثناء تاء في الآرامية ، فنستدل على وجود التاء في تاب بدل اثناء على كونها أخذت من الآرامية . وزكا أصل قائم ذال فهي في الأكديّة *zakū* وفي العبريّة *zākā* لأن الذال السامية صارت زايا في هتين الغتين وأما الآرامية فكان من المنتظر أن تكون فيها *zika* أو *zika* لأن الذال السامية أصبحت فيها دالا والكهفي في الحفيرة موجودة على هذا اللفظ في معنى نكف غير أن اليهود لفظوا بها بالزاي في معنى يرى من الذنب وعادل واشتقوا منها *zakūia* في معنى العدل ثم العمل الصالح فعربت الكلمتان في بعض هذه المعاني . وأما سبب لفظها بالزاي عند اليهود فرعا كان من تأثير اللغة الأكديّة في الآرامية فأنما نجد *zakū* الأكديّة قد خضت بالمعنى الحكيم والفضائي فالتفعل منها أي *zakū* أطلق على التبرئة والإطلاق في القضاء والشرع البابي وما يتعلق به أثر تأثيرا فأنذا في اقوام الشرق القديمة وخصوصا الآراميين ؛ فيدل لفظ الكلمات المشروحة على كونها آرامية الأصل ويوجد ما يدل بتأوه أو معناه هذه الدلالة . أما البناء ففي مثل الرحمان والقيوم والمدينة . وأما المعنى ففي مثل السكينة والفرقان والزنديق والرجز والدجال فرحان وإن اشبهت الصفات العربية في وزن فعلان فهي تخالفها في أنه يداخل معناها شيء من الاسمية والعلمية كما جاء في القرآن الكريم (الرحمن على العرش استوى) وهذا نفس معنى الالف والنون اللاحقين في الآرامية : وقيوم آرامية البناء تماما فهي في الآرامية *qaiyam* غير أن الفتحة الممدودة تلفظ *h* في بعض اللهجات الآرامية وتدل قراءة ابن مسعود (القيام) على اللفظ الأصلي بالفتحة والمدينة في العربية فعيلة من (مدن) فجمعها مدن وهي في الأصل مفعلة من دان يدين أي حكم ومعناها الإيالة التابعة للحكمة واحدة ونجدها في الآرامية على هذا المعنى وسكينة وهي *skina* أصلها مصدر أي السكون والتزول في محل فخصت عند العرب بالحضرة الألهة وتنزلها في العالم وفي نفس الانسان . والفرقان

وهي purqana مشتقة من praqن أى أنقذ وحرر و purqana عند النصارى التخليص
والفداء عن الذنوب وجزائها ، فالطوائف الموسمية - gnostikoi gnostiques
(لأنهم كانوا يعتقدون أن وسيلة التخليص هي العلم الإلهي المنزل) أطلقوا purqana
على الوحي . والزنديق أصلها zaddīqa بالتون عوضا عن التشديد وذكرنا هذا ،
والزاي المجهورة في zaddīqa أبدت من الصاد المهموسة في saddīqa تشبيها لها بالدال
المجهورة وكانت هذه الكلمة عند المانوية Manichéens لقب المختارين المدخلين في
معرفة أسرار دينهم وأطلقها العرب على المانوية كاهم وعلى أصحاب بعض الطوائف
المغاربة للمانوية . والرجز هي rugza أى الغضب وإبدال الضمة بالكسرة من إبدال
الحركتين المذكور آنفا وقرأها ابن محيصن رجز على أصلها الآرامي ودجال
هي daggalā أى الكذاب . . ففي كل هذه الحالات وفي كثير غيرها عربت
كلمات آرامية لالعلاقة بينها وبين كلمات عربية أصلية فانا وان وجدنا مثلامادة
(رجز) في العربية فمعناها يخالف معنى rugza الآرامية ومعنى رجز العربية مخالفة
تامة فانه من المعروف أن رجز أى أنشد الأرجوزة وفي بعض الحالات الأخرى
كانت كلمة عربية مرادفة للآرامية موجودة فاستعملوها لتأدية معنى جديد
تفيد تلك الكلمة الآرامية مع المعنى الأصلي مثال ذلك أن (سلام) كلمة
عربية أصلية قديمة ومعناها الصحة والصلح ثم بعد ما رأوا لكلمة الآرامية
المرادفة slama معنى مجازيا دينيا أطلقوا السلام عليه أيضا . ومثله كثير وخصوصا
في باب الديانة من ذلك : العلم والجهل والعبد والشهيد وهذا نوع مهم من أنواع استعارة
الكلمات وهو استعارة المعنى دون اللفظ وقد يكون لهذا نظير بين الحبشية والعربية
أيضا ومثاله الصومعة فهي كلمة أصلية معناها البرج والبناء العالى ثم اقتبسوا من
ثانيا من soma الحبشية أى مسكن الراهب . وكذا الشيطان كان عند العرب
جنسان من الجن ثم خصوا الكلمة بابليس تابعين في ذلك اسمه الحبشى وهو
saïtōn . وبعض الكلمات الآرامية العربية لم تدخل في اللغة العربية
مباشرة بل بتوسط لغة أخرى . من ذلك الزنديق فإن العرب
أخذوا هذه الكلمة من المعجم الذين أخذوها من الآراميين وذلك لاد .

للمناوبة في أوائل الاسلام لم تكن شائعة إلا عند العجم : ومنها ما دخل العربية بواسطة الحبشية من ذلك قدوس فأصلها الأرامي qaddis واستبدله الحبشيون qeddus تبعاً لكثرة بناء قول عندهم : ومن ذلك تابوت أصلها الأرامي tēbūlā وهي في الحبشية tābōt . وجنهم من gēhinnām الآرامية و gahannam الحبشية . وكل هذا نادر وضده كثير وهو دخول كلمات أجنبية في اللغة العربية بتوسط الآرامية وقد ذكرنا أنها توسطت بين العارسية والعربية في بعض الحالات وأهم من ذلك توسطها بين العبرية والآكدية واليونانية من الجهة الواحدة وبين العربية من الأخرى . أما العبرية فمثال الكلمات الآرامية التي أصلها عبري mal'āk من mal'āk وهو الملاك : ونجد سكيئة وأمة في العبرية أيضا وهما هناك skīnā و ummī غير أنه من المشكوك فيه هل دخلتا الآرامية وأصلهما عبري أو العكس ومثل هذا كثير في الكلمات اليهودية وفي بعضها يظهر أن العبرية نفسها أثرت في العربية أيضا مع الآرامية مثال ذلك تورااة فهي في الآرامية ōraīlā وفي العبرية ōrā . فيظهر أن أولها أخذ من العبرية وآخرها من الآرامية ويوافق رسمها في القرآن بالياء لفظها الأرامي ، وفي بعض الكلمات المشتركة بين العبرية والآرامية يجوز كونها دخيلة في كليهما منها الزيت فهو zaita في الآرامية و zait في العبرية والكبريت وهو kebriṭa في الآرامية و goprit في العبرية غير أنه لا شك في أن العرب استعارت الكلمتين من الآرامية لا العبرية وكثيرا ما يصعب استنتاج أصل الكلمات التي تحوات من لغة إلى لغة وطريق تحولانها مثال ذلك البلور فتجد هذه الكلمة في لغات متعددة حتى الهندية ولا يظهر أصلها وطريق شيوعها

والكلمات الآكدية الموجودة في اللغة الآرامية ثم العربية مهمة جدا نجد بينها بعض ما يوجد عند العرب من أقدم عناصر الحضارة الشرقية منها الدين أي القضاء والحكم والسبت وسطر أي كتب والتاميد والترجمان والتاجر والمساكين والجسر والتجار والآجر والفخار والجص والنقط والأتون والتون والكانون والسكر أي محبرة الحداد والقفه والأرجوان والتل وبينها شوميرية منها الهيكل

والكرسى والآسى أى الطيب والكر أى مكبال مستعمل فى العراق
والكلمات اليونانية تعددت فى العربية فى الزمان المتأخر ومن أقدمها
إليس والجنس والزوج والقرطاس والازميلي والفندق والاهس : وبينها لاتينية
دخلت فى اللغة اليونانية ثم الآرامية ثم العربية ومنها العسراط والميل والقعر
والمنطرة واقتطارو والدينارو وبعض الكلمات اليونانية واللاتينية وصلت إلى العربية
عن طريق اللغة الحبشية أو الفارسية مثال ذلك الانجيل وقرأها الحسن البصرى
وغيره انجيل وهى فى الحبشية *angil* وأصلها اليونانى *euangelion* والقلم وهو
فى الحبشية *qalam* وفى اليونانية *kalamos* والدرهم مأخوذ من الفارسية وهو هناك
كذلك والاصل يونانى أى *drachme*
هذا ما كان مرادى أن أتيه لكم تلخيصا نقيسوا بالقليل المذكور الكثير
الذى لم يمكننى ذكره



الفهرس

| صفحة | | صفحة |
|------|-------------------------------|-------------------------------------|
| ٥٣ | أسماء الاشارة | ٣ مقدمة |
| ٥٥ | اسم الموصول - اسم الاستفهام | ٥ الباب الاول |
| ٥٦ | (٢) الافعال | في الحروف |
| ٥٨ | أبذية الفعل | (١) الحروف الصامتة |
| ٦١ | أبذية الافعال المعتلة | ٥ ترتيب الحروف على الخارج |
| ٦١ | (٣) الاسماء | ٩ الحروف التي يختلف نطقها الحالى |
| ٦٨ | الاسماء الثنائية | عن نطقها القديم |
| ٦٨ | صرف الاسماء | ١١ الاشارات المستعملة لتأدية الحروف |
| ٦٩ | جمع التكسير | السامية |
| ٧٢ | جمع الصحيح | ١٦ الاطباق |
| ٧٥ | الأعراب | ١٨ التشابه |
| ٧٦ | إعراب الخبر | ٢١ التخالف |
| ٨١ | إباب المالت | ٢٢ التقديم والتأخير |
| | في التركيبات | ٢٤ إبدالات الحروف الصوتية |
| ٨١ | (١) شبه الجملة | ٢٥ أحوال الهمز |
| ٨٦ | (٢) الجملة البسيطة | ٢٩ أحوال الواو والياء |
| ٨٨ | الجملة الاسمية | ٣٢ مناقشة ما ذكره نحويو العرب عن |
| ٩١ | الجملة الفعلية | الحروف الصامتة |
| ٩٣ | (٣) تركيب الكلمات داخل الجملة | ٣٣ (٢) الحروف الصائتة |
| ٩٣ | أواع الاسم | ٤٢ تقصير الحركات الممدودة |
| ٩٦ | البدل والتوكيد والوصف | ٤٥ الترخيم - الضغط |
| ٩٨ | الاضافة | ٤٧ الباب الثانى |
| ١٠٧ | قواعد الانباع | في الأبنية |
| ١٠٨ | (٤) أنواع الجمل | ٤٧ (١) الضمائر |
| ١٠٨ | الاستفهام | |

| صفحة | صفحة |
|------|----------------------------------|
| ١١٠ | النقى |
| ١١٦ | الاستثناء |
| ١١٧ | (٥) تركيب الجمل |
| ١٢٣ | قيام الجملة مقام اسم موصوف |
| ١٢٤ | قيام مضمون الجملة مقام اسم موصوف |
| ١٣٦ | الباب الرابع |
| | في المفردات |
| ١٤٠ | الكلمات التي تشترك فيها كل |
| | اللغات السامية |
| ١٤٢ | دخول الكلمات الأجنبية الى |
| | اللغة العربية |
| ١٤٣ | الفاظ التي عربت من الفارسية |
| ١٤٦ | الكلمات الحبشية الموجودة في |
| | العربية |
| ١٤٨ | الكلمات الآرامية المعربة |



الخطأ والصواب

| الصواب | الخطأ | صفحة | سطر |
|----------------------------|--------------------------|------|-----|
| verglischenden | verglisdenden | ١٥ | ٤ |
| نبدأ بالقسم الأول من الباب | نبدأ بالباب | ١٦ | ٥ |
| الفتحة | الفتحة | ٢٢ | ٧ |
| د | د | ١٩ | ١٢ |
| د > ت | ت > د | ١٦ | ١٣ |
| semtu | semtu | ١٤ | ١٤ |
| sanna | sanna | ١٥ | ١٤ |
| s | s | ١٦ | ١٤ |
| eser في العبرية و eser | eser في العبرية و eser | ١٧ | ١٤ |
| فمشر فيها sar | فمشر فيها sar | ١٩ | ١٤ |
| s > s | s > s | ٥ | ١٥ |
| sarita | sarita | ١٣ | ١٥ |
| sia a (إ علامة) | sia a (إ علامة) | ١٤ | ١٥ |
| satana | satana | ١٥ | ١٥ |
| sarita | sarita | ١٧ | ١٥ |
| sraqraqa | sakkinna | ٢٠ | ١٥ |
| sakkinna | sraqraqa | ٢٠ | ١٥ |
| t s | t s | ١٥ | ٢٦ |
| innadi | innadi | ١٠ | ٢٠ |
| quppda | quppda | ٢٤ | ٢١ |
| im | im | ٢٢ | ٢٢ |
| scda | scda | ١٨ | ٢٣ |
| tuma | inma | ١ | ٢٤ |
| hinsu وفي العبرية hiasin | hinsu وفي العبرية hiasin | ١٨ | ٢٤ |

| الصواب | الخطأ | منه | طار |
|----------------|----------------|-----|-----|
| hansa | hansa | ٢٤ | ١٩ |
| sallahat | sallahat | ٢٤ | ٢٠ |
| sahna أو slaha | sahna أو slaha | ٢٤ | ٢١ |
| sahl | sahl | ٢٤ | ٢١ |
| i tir | i tir | ٢٥ | ١٢ |
| ma it | ma"ti | ٢٧ | ٢٣ |
| sat afu بدل | satahu بدل | ٢٨ | ٨ |
| al-mamudatu | al-mamudatu | ٢٨ | ٩ |
| al-mau udatu | al-maunduatu | ٢٨ | ١٠ |
| ahtana tani | anat r tani | ٢٨ | ٢٢ |
| hamistu | hamistu | ٣٣ | ٦ |
| ly des | ly des | ٣٧ | ٥ |
| aia | aia | ٣٩ | ٤ |
| aia من | aia | ٣٩ | ١٦ |
| iptah | iptah | ٤١ | ١٠ |
| ieftah | ieftah | ٤١ | ١٠ |
| re eia | re eia | ٤١ | ٢٤ |
| ramaiat | ramaiat | ٤٢ | ١٠ |
| ramiin | ramiin | ٤٢ | ١١ |
| -ti | -ti | ٤٩ | ٣ |
| ifoteh iiftah | ifoteh iiftah | ٥٦ | ٢٤ |
| uaiiqbor | uaiiqbor | ٥٧ | ٦ |
| etqri | etqri | ٥٩ | ٢١ |
| astar aia | astar aia | ٦٠ | ٢١ |
| nerat | nerat | ٦١ | ١٠ |
| ti na | tine | ٦٢ | ١٦ |

| الصواب | الخطأ | سطر | خط |
|-----------------|----------------|-----|-----|
| hemta | hemta | ٢١ | ٦٢ |
| su u | su n | ٢٥ | ٦٢ |
| laiahiu | laiahiu | ٥ | ٦٣ |
| qlil | gfil | ١٢ | ٦٧ |
| laima | laima | ١٥ | ٦٧ |
| qaria | qaria | ١٥ | ٦٩ |
| mlakin | imlakim | ٩ | ٧٠ |
| spahot | spahot | ١٢ | ٧٠ |
| aba u | abau | ١٦ | ٧٠ |
| nisi | iisi | ١٦ | ٧٢ |
| amahot | amahota | ١ | ٧٣ |
| qarib | arib | ١ | ٧٦ |
| sclasa isra | sclasa isra | ٢٥ | ٧٩ |
| sib im is | sib im is | ١٣ | ٨٠ |
| bait | qalt | ١٧ | ٨٨ |
| moi | mio | ٨ | ٩٢ |
| al | al | ١٨ | ٩٣ |
| arba im lom | moi ni 'a bra | ٢١ | ٩٦ |
| abika iamim | abika iamim | ٤ | ٩٦ |
| ba al habbiit | ba al habbiir | ١١ | ٩٦ |
| gin zaiia | gid zaiin | ١٤ | ٩٩ |
| hati at za-hezb | hati atza-hegb | ١٥ | ٩٩ |
| et | et | ٧ | ١٠٢ |
| et ha or ki tob | et ha orkitob | ١٥ | ١٠٣ |
| adi | ad | ٥ | ١٠٥ |
| uaiiipqah | uaiiippah | ٢٣ | ١٠٦ |

| الاصواب | الخطأ | سطر | صفحة |
|-----------------------------|-----------------------------|-----|------|
| hatar | atar | ٨ | ١٠٧ |
| ualla rok lisra el | nalla rok Lisra el | ٣ | ١٠٨ |
| والنقى | والنقص | ٦ | ١٠٨ |
| والبعثها | وإعضها | ٢١ | ١٠٨ |
| hehakam | behakam | ٤ | ١١٠ |
| يا في العربية و itai | ies في العربية و itai | ٥ | ١١١ |
| تفرق | تغرق | ٧ | ١١٦ |
| été fixés | etefixes | ٧٤٦ | ١٢١ |
| iasob | iasod | ١٩ | ١٢٢ |
| e se | a se | ٢٠ | ١٢٢ |
| iddana | iddana | ١٦ | ١٢٥ |
| lahue ulu | lahue um | ٢٠ | ١٢٩ |
| ولد وود، ثم | ولد، ثم | ٢٥ | ١٤٠ |
| والفرسخ | والفرسل | ١١ | ١٤٤ |
| sahifa | sahafa | ٢١ | ١٤٦ |
| li o hat | luhat | ٢٤ | ١٤٦ |
| يوقتنا | يوقنا | ١٢ | ١٤٨ |
| تقوب | تناوب | ١٢ | ١٤٨ |
| الكلمات | الكثات | ٢٣ | ١٥٠ |
| (htm) فمضارعها (nehtum) | (htm) فمضارعها (nehtum) | ٢٥ | ١٥٠ |
| | zakn | ١١ | ١٥١ |
| الموسومة | الموسمة | ٢ | ١٥٢ |

 Bibliotheca Alexandrina



0389523